▪ ما لكم لا ترجون لله وقاراً؟! ▪ (أنابوليس) .. ورصيد السلام المفلس



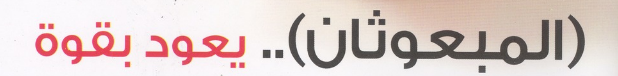
السنة الثانية والعشرون . العدد ٢٤٤ . ذو الحجة ١٤٢٨ هـ . ديسمبر ٢٠٠٧ م



▪ فرص تزول



الشيخ حارث الضاري:
تقسيم العراق خطر..
وما وراءه أخطر!






مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

المراسلات والإعلانات:

الدول العربية:

□ السعودية:

ص، ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦،

هاتف الاشتراكات مباشر ٢٢٥١٩٦٧

هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني:

التحرير:

editors@albayan.co.uk

الاشتراكات:

sub@albayan-magazine.com

التسويق:

sales@albayan-magazine.com

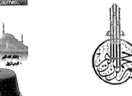
عنوان المجلة على الشبكة العالمية: www.albayan-magazine.com

الموزعون:

- الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص، ب ٢٧٥ هاتف: ٥٢٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
- الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص، ب ٦٠٤٩٩ هاتف: ٢٩١٦٥٠١ ، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
- سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
- البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٢٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
- السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
- السودان: الخرطوم، دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف ٧٩٣٢٨٣ – فاكس ٧٩٣٢٨٤ – ص.ب ١١١٦٦ الخرطوم.
- قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ – ٤٥٥٧٨١١ – ٤٥٥٧٨١٢ – فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
- الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص، ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
- المغرب: سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص، ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
- اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع ، صنعاء : ص، ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٢٥

طبعت بمطابع الأهرام التجارية – ٦ أكتوبر





الحسابات:

- السعودية: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة ـ شارع الأربعين ـ حساب مجلة البيان رقم ٧/٢١٠٠
  - ـ مصرف فيصل الإسلامي ـ حساب رقم: ٠٠٢ ـ ٤٥١٤ ـ ٤٢ ـ ١٠٩
  - ـ الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي ـ حساب رقم ٦٢٤٩٢٤
- الإمارات: بنك دبي الإسلامي ـ (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- قطر: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ١١١١٠٠٥٤٢٣٠٠١

كلمة صغيرة

أمَّا هذا فليس إرهاباً!

حادثة اختطاف وتهريب أطفال (دارفور) من منظمة خيرية فرنسية مرَّت في كثير من وسائل الإعلام العالمية والمحلية مروراً عابراً، لكن لهذه الحادثة دلالات عميقة وخطيرة، من أهمها:

أولاً: أن العمل (الخيري!) الغربي الذي يتشدق بالإنسانية يحمل أهدافاً نفعية تستغل الكوارث والأزمات. ولنا أن نسأل هنا: ما قيمة الإنسان الإفريقي عندهم؟!

والحقيقة المرَّة: أنه عندهم مجرد سلعة رخيصة يتاجرون بها، ويعبثون بإنسانيته وكرامته. والمستعمر الغربي الذي كان يخطف الأفارقة ويبيعهم في سوق النخاسة والعبودية في أوروبا وأمريكا؛ هو نفسه الذي يعود الآن باسم (العمل الخيري) ليخطف الأطفال ويتاجر بأعضائهم، ويستخدمهم في سوق الدعارة والمخدرات!

إنهم (الراقصون في الأزمات) كما يقول الدكتور محمد السلومي في كتابه (ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب).

اسألوا إفريقيا عنهم لماذا
أصبح المسكين باللقمة يُشرى؟
كم فتاةٍ رجعت بالخبز، لكن
ثيِّباً عادت، وكانت قَبْلُ بكراً!

ثانياً: بعد هذه الفضيحة الإنسانية المدوِّية هل تحدَّث الغرب عن إرهاب العمل الخيري الغربي؟ هل حوصر وصودرت ممتلكاته وجُمدت أرصدته؟!

الواقع أن الرئيس الفرنسي يتدخل بنفسه لإنهاء القضية ولإطلاق سراح المجرمين، ولا يحق ـ بعد ذلك ـ لأحد أن يتكلم أو يعترض.. هكذا بكل استعلاء واستفزاز..!

قارن هذا الموقف الغربي مع الحملة الدولية المحمومة لمصادرة العمل الخيري الإسلامي وتجفيف منابعه!

لقد كشفت الحملة الغربية أن الأدلة القانونية والبراهين الواقعية ليست هي السبب الحقيقي لذلك التشنج في مواجهة العمل الخيري الإسلامي، لكنها الانتقائية والكَيْل بمكيالين والشعور بعقدة الخوف من الإسلام!

ودعوى القويِّ كدعوى السباع
من النَّاب والظُّفر برهانُها

إن قضية أطفال (دارفور) أثبتت أن المنظمات الغربية (الخيرية) تقوم بنشاطات مشبوهة وانتهازية في مناطق الكوارث، لكن.. من يجرؤ على الكلام؟!

سعر العدد: السعودية ١٠ ريالات — قطر ١٠ ريالات — الأردن ٧٥ قرشاً
الكويت ٨٠٠ فلس — اليمن ١٠٠ ريالاً — الإمارات العربية ١٠ دراهم
مصر ٤ جنيهات — السودان ٢٠٠ دينار — البحرين دينار واحد
المغرب ١٢ درهماً — سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة — فلسطين نصف دولار أمريكي
أوروبا وأمريكا ٣,٧٥ يورو أو ما يعادلها

الاشتراكات:

السعودية ودول الخليج	١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا	٤٧ يورو
أوروبا	٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠ يورو



مؤتمر (أنابوليس)... ورصيد السلام المفلس



بســم الله، والحمد لله، والصلاة والســلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

- ففي ذكرى مرور تسعين عاماً على صدور وعد (بلفور) بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين...

- وبعد مرور ستين عاماً على وقوع النكبة وتنفيذ ذلك الوعد وقيام دولة اليهود...

- وفي مناسـبة مرور ثلاثين عاماً على زيارة الرئيس المصري الســابق (أنور الســادات) إلى القــدس المحتلة للاعتراف بما دعا إليه بلفور...

- وفــي ظل حصار قاتل يخيّم على ذلك الوطن المحتل، وتلك البقعة المقدسة..

- وفــي ظرفٍ تــزداد فيه حملات التربُّص بالمســجد الأقصى، إلى حد الشروع العملي في تقسيمه مؤقتاً تمهيداً لهدمه نهائياً...

- وفي أجــواء حرب عالمية يخوضها الرئيس الأمريكي جــورج بوش ضد حركات المقاومــة والممانعة والجهاد في العالم الإسلامي، ومن ضمنها حركة حماس...

- وفــي مرحلة تأبى الرئاســة الفلســطينية فيها أي تقــارب أو تفاهم أو تفاوض مع حركة حماس، مع هرولتها ومسارعتها للتقرب والتزلف للصهاينة والأمريكيين...

- وفي وقتٍ بلَغ العجز أو التعاجز العربي الرسمي ذروته، حتى لم يســتطع - أو لم يرغب - فــي إيصال ثمن الغذاء والدواء والكهرباء إلى المحاصرين العُزَّل في فلسطين على مدى عامين...

- وفــي حقبة تمرّغــت فيها كبرياء تحالــف الأعداء في أوحال العراق وأفغانســتان، فتكشّــفت بذلك سوآت الزعامــات العَلْمانية وازداد وعْي شــعوب الأمة بحقيقة أعدائها، وبجوهر دورها...

في ظل كل تلــك الأجواء انعقد مؤتمــر (أنابوليس) في الولايــات المتحدة الأمريكية فــي ٢٧/١١/٢٠٠٧م بدعوة من الرئيس الأمريكي جورج بــوش ليكون علامة فارقة في تاريخ مسلســل الانحدار ومســار النزول الذي تتجــه إليه القضية الفلسطينية.

انعقد المؤتمر في أجواء (احتفالية)، بمناســبة إطلاق عملية التفاوض «مرة أخرى» بين الكيان الصهيوني ومنظمة (التحرير) الفلســطينية بشأن ما اشــتهر بقضايا «الحل النهائي» التي تشمل مصير القدس والأماكن المقدسة فيها، وقضية عودة اللاجئين، وترسيم الحدود، وتوزيع المياه؛ وهو ما يترتب عليه تعيين شكل الدولة الفلسطينية «الموعودة»!

التفــاوض من أجل الوصول إلى حل نهائي ســبق وأن



جرت بشأنه مباحثات صعبة عام ٢٠٠٠م في مؤتمر كامب ديفيد الثاني. وبعد أن وصلت تلك المفاوضات إلى طريق مسدود؛ بسبب إصرار اليهود على عدم التخلي عن القدس عاصمةً موحدة وأبدية لدولتهم اليهودية، وعن (التنازل) عن ملكية أرض المسجد الأقصى التي يعدُّونها مُلكاً لهم ولا بد أن يعيدوا عليها بناء هيكلهم الثالث.. بعد هذا الفشل للمؤتمر، وبمجيء (شارون)؛ اندلعت انتفاضة الأقصى، بعد أن حاول ذلك المأفون أن ينفِّذ عسكرياً ما عجز (باراك) عن تنفيذه دبلوماسياً، وظلت تلك الانتفاضة مشتعلة لخمس سنوات متواصلة، أقدم اليهود فيها على الانتقام بأبشع أنواع الإجرام من الشعب الفلسطيني كله، وبدعم من الولايات المتحدة الأمريكية وسكوتٍ من المجتمع الدولي، ولم تتوقف الانتفاضة إلا بعد أن اتجهت أبرز فصائلها وهي منظمة حماس - في استراحة محارب - إلى خيار الحل السياسي بدخول الانتخابات النيابية. وما إن فازت فيها بأغلبية ساحقة، حتى انقلبت عليها الدنيا، وتنكّر لها العالم، وتجهَّم لها القريب قبل البعيد؛ إذ كيف تُقدِم - وهي جماعة جهادية - على تعاطي الشأن السياسي الذي يمكن أن يُوصِلها إلى السلطة في هذا المكان الأخطر من العالم؟! وكان ما كان مما يعرفه الجميع من خلافات ونزاعات وصلت إلى حالة انقسام غير مسبوق بين الفلسطينيين.

الرئيس الفلسطيني محمود عباس قاد باقتدار ومكر كُبار - لا يُحسد عليه - عمليةَ توريط حماس واستدراجها إلى حالة العزلة الدولية التي تحولت إلى عزلة إقليمية، يُراد لها أن تتحول أيضاً إلى عزلة محلية!

وبالرغم من أن الغالبية العظمى من الفلسطينيين لا تزال وفيَّة للخيار الإسلامي وخيار المقاومة الذي انتهجته حماس؛ فإن محمود عباس وزمرته لا يزالون يزعمون أن لهم الحق الوحيد في تمثيل الشعب الفلسطيني، والدخول باسمه في مغامرات جديدة، قد تكون أشد خطراً من مغامرات (أوسلو) وما قبلها وما بعدها.

عمليات السلام السابقة استنفدت أرصدتها، ولم يعد أمام الفلسطينيين والصهاينة من خيار إلا الالتصاق بالجدار.

والمطروح على موائد التفاوض هذه المرة أصعب بكثير مما طُرِح في المرات السابقة؛ فمن الناحية العملية يستحيل على الطرفين أن يقدِّما ما سمَّاه جورج بوش - ومن قبله بيل كلينتون - (تنازلات صعبة)، وذلك لسبب جوهري؛ وهو أن مطالب اليهود هذه المرة وضعت حجراً ضخماً في الطريق الضيق للتفاوض اسمه (الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية).

التنازلات فعلاً صعبة بل تكاد تكون مستحيلة على الطرفين، ولكن مجرد التفاوض حولها يزيل الرهبة في الحديث فيها والتنازل عنها، حتى تجيء الظروف التي تهوِّن التهاون فيها وتسهِّل التساهل بشأنها، لكنها في هذا الظرف هي بالفعل تنازلات «صعبة»، وذلك لما يلي:

أولاً: رئيس الوزراء الصهيوني (إيهود أولمرت) بالرغم من عناده ورفضه لأي تنازل طالَب به عباس؛ هو في موقف ضعيف؛ فله منافسون في حزب (كاديما) ينتظرون سقطاته، وله غرماء سياسيون في الحزبين الآخرين (الليكود) بزعامة (بنيامين نتنياهو) و (العمل) بزعامة (إيهود باراك)، كلاهما يتربّص بأخطائه للذهاب بها إلى انتخابات مبكرة قد تذهب بعملية السلام الجديدة برُمَّتها إلى ما بعد عهد بوش. أما الطرف الثاني وهو محمود عباس فهو في وضع أضعف؛ فهناك انقسام حاد في الداخل الفلسطيني لا يمكن لعباس - وإن أراد - أن يُقدِّم في ظله أي تنازلات انتهازية تطالب بها الحكومة الصهيونية.

كما أن نوعية هذه التنازلات - على عكس ما يظن بوش - قاتلة للطرفين؛ فلا يمكن أن توافق منظمة التحرير الفلسطينية على مطالب الصهاينة الجديدة بعدِّ دولتهم (إسرائيل) دولة يهودية، بمعنى: أن يكون غير اليهود فيها مجرد رعايا غرباء يمكن طردهم في أي وقت، ولا يمكن القبول أيضاً بما يُبنى على هذا الشرط، وهو أن يقبل الفلسطينيون في منظمة التحرير أو غيرها أن تكون القدس عاصمة يهودية كما يريد اليهود؛ لأن هذا أيضاً ستبنى عليه نتيجة لا تقل خطورة؛ وهي عدُّ أرض المسجد الأقصى ملكية يهودية، وليس للعرب والمسلمين فيها إلا الأحجار المبنية والجدران والأبواب، فتكون هذه النقطة بعينها سبب تفجير العملية التفاوضية في (أنابوليس) كما فجرتها في كامب ديفيد الثانية عام ٢٠٠٠م.

كما أن الاعتراف بيهودية الدولة - كما يطالب الصهاينة - سيُبنى عليه أيضاً شطب حق اللاجئين في العودة؛ لأنه لا يجب على أي دولة أن تعيد (رعايا) من الخارج إلى داخلها، وهذا لا يجرؤ عباس على الإقرار به.

ثانيــاً: من الناحية الفلســطينية؛ فإن المطالب العادلة للفلســطينيين - التي أضاعت المنظمة جــزءاً كبيراً منها في اتفاقات أوســلو - تظل إعادتها بالنسبة للصهاينة في حكم المســتحيل؛ فلا يمكن لليهود أن يتنازلوا عن القدس لتكون عاصمة للفلســطينيين؛ لأن هذا يعني فشل المشروع الصهيوني برُمَّته؛ حيث إن هناك إجماعاً لدى اليهود عبر مــا مضى من عقود علــى أنه (لا قيمة لإســرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل).

كمــا أن المنظمــة لا يمكــن أن تطمح إلــى تفكيك المســتوطنات الصهيونية في القدس والضفة وغزة؛ حيث إن تلك المســتوطنات لم تعــد مجرد بيوت خشــبية، بل أصبحت مدناً عامرة بالمغتصبين، وفيها ما فيها من مرافق ضخمة ومنشــآت حديثة، ومصالح ترتبط بها آلاف الأسر الصهيونيــة. ويقال مثل هذا فــي مطالب أخرى يمكن أن يطالِب بها المفاوض الفلســطيني، مثل: إعادة تقسيم المياه وإعادة ترسيم الحدود، وَفْق ما كان عام ١٩٦٧م.

ثالثاً: هناك أربعة ملايين يهودي داخل فلسطين، ونحو اثني عشــر مليون يهودي في أنحاء العالم سيكونون وراء رفض أولمرت مطالب الفلســطينيين، هذا غير عشــرات الملايــين من الإنجيليين الذين لن يوافقــوا أيضاً على أي تنازل عن (أورشليم) أو (الهيكل)!

كذلك ســيكون وراء رفض الوفد الفلسطيني - إذا ثبت على رفض التنازل - ما يزيد على ســبعة ملايين فلسطيني ومئتــي مليون عربي، ضمن مليار وثلاثمائة مليون مســلم فــي العالم، وهذا ما يجعل (التنازلات الصعبة) التي يدعو إليها بوش، والتي يشــترط الوصول إليهــا لإقامة الدولة الفلسطينية؛ أمراً أشبه بالمســتحيل؛ فكل طرف لو تنازل فإن من وراءه لن يتنازل.

• ما الفائدة إذن من الحوار المفلس في أنابوليس؟

الفائدة مصالح آنية، وأغراض أشبه بالشخصية لأفراد ثلاثة يمثلون ثلاث جهات محددة: حكومة الجمهوريين في أمريكا؛ وعنهم جورج بــوش، وحكومة حزب (كاديما) في الكيان الغاصب؛ وعنه (إيهــود أولمرت)، ومنظمة التحرير الفلسطينية وحكومتها المعيَّنة؛ وعنهما محمود عباس!

بوش والحزب الجمهوري:

أما حكومة الجمهوريين التي يتزعمها جورج بوش، فإن ذلك الرئيس المغامر المقامر الذي ورَّط شــعبه وحزبه على مدى ســبعة أعوام ســابقــة؛ أراد مــــن هــذا المؤتمــر وما أعقبه من مفاوضات الأمور التالية:

١ - الظهــور بمظهر الزعيم الملهــم، الذي أنجز ما لم ينجزه أحد من رؤوســاء أمريكا قبله منذ أن بدأت (أزمة الشرق الأوســط)، حيث يريد أن يسجله التاريخ على أنه أول من وضع أســس دولة فلسطينية شــكلية في مقابل الاعتراف بدولة يهودية حقيقية.

٢ - قطعُ شــوْطٍ آخر في مشــروع بوش المشؤوم الذي ســماه (الحرب العالمية على الإرهاب) بالإمعان في تهيئة الظروف للإجهاز على حركة حماس وإســقاط حكومتها، بوصفها في نظر الأمريكيين «منظمة إرهابية» تحولت إلى حكومة إسلامية في أرض بالغة الحساسية. والمؤتمر أفاد الأمريكيين والصهاينة في تصوير حماس بأنها خارجة عن «الإجماع العربــي»، مثلما أنها خارجة عن الإجماع العالمي والتوجه الفلسطيني الرسمي!

٣ - محاولة التغطية على الفشل الذريع الذي مُنيت به الخطط الأمريكية السياســية والعسكرية والأمنية في كلٍّ من العراق وأفغانستان على مدى سبع سنوات ماضية - هي عمر إدارة بوش منذ جاء - ومحاولة ختم هذه المدة بإنجاز ربما يتوهم بوش أنه سيتسلم بسببه جائزة (نوبل) للسلام بالتقاسم مع أولمرت ومحمود عباس، كما سبق أن تقاسمها ياسر عرفات مع إسحاق رابين.

٤ - تهيئة الأجواء، وإعداد المســرح الدولي والإقليمي لاســتكمال حشــد تحالف جديد ضد إيــران، على غرار التحالف الذي ســبق حشْدُه مرتين ضد العراق، واستغلال التوافــق العربــي على وضع الثقة - للمرة العاشــرة - في الإدارة الأمريكية؛ لكي يكون جسـراً موصــلاً إلى إعادة تحسين صورتها وترسيم قيادتها.

٥ - الاســتجابة لرغبة بعض تلك الــدول العربية في فعل شــيء - أي شــيء - يمكن أن يرفع الحرج عنها أمام شعوبها، بعد أن تكررت استجابتها للضغوط الأمريكية في مغامراتها دون مقابل مفيد يعود على تلك الشعوب.

٦ - استغلال إظهار الثقة العربية الرسمية في الظهور أمام الشعب الفلسطيني بمظهر الحريص على إقامة دولته المستقلة، واستعمال ذلك في انتزاع الورقة الفلسطينية من يد ســورية، وكذلك من يد إيران، حتى تكفَّان عن استعمال هذه الورقة وحدهما من دون الأنظمة العربية والإسلامية.

٧ - إفســاح المجال للابتزاز الصهيونــي بعد الابتزاز الأمريكي لخيــرات المنطقة العربية - وفــي مقــدمتها

النفط - عن طريق عقود الشـــركات العملاقة التي يتقاسم أسهمها أباطرة الرأسمالية من اليهود، بعد أن يشق التطبيع طريقه إلى ما تبقى من دول عربية لها مواقف من التطبيع ممانعة أو مائعة.

٨ - توفير ورقات انتخابية فاعلة من خلال ما ســبق، يمكن أن يستعملها حزبه الجمهوري في انتخابات الرئاسة القادمة، بعدما حرق جورج بوش معظم أوراق هذا الحزب في تنُّور مغامراته الطائشة.

أولمرت وحزب كاديما:

رئيس الوزراء الصهيوني مــن جانبه دخل المفاوضات الناشئة عن مؤتمر أنابوليس وفي جعبته عدد من الأهداف التي يتوقع تحقيقها، وأهمها:

١ - إنقاذ مســتقبله ومســتقبل حزبه السياســي من احتمالات السقوط بعد سلسلة الفضائح السياسية والمالية التي لاحقته ولاحقت عدداً مــن أفراد حكومته، ومحاولة استعادة الهيبة التي تأثرت بعد حرب لبنان عام ٢٠٠٦م.

٢ - جذب المزيد من تأييد أمريكا له ولحزبه ضد منافسيه، عن طريق الاستجابة لرغبات بوش في عقد المؤتمر والدخول فيما تبعه من مفاوضات، واســتغلال ذلــك التأييد في أي انتخابات مبكرة قــد يلجئانه إليها غريماه (بنيامين نتنياهو) زعيم حزب الليكود، (وإيهود باراك) زعيم حزب العمل.

٣ - الاســتناد إلى المؤتمر وما تبعه من المفاوضات في إضفاء شرعية دولية على حكومة الرئيس محمود عباس، بوصفه المدافع الأول عــن أمن اليهود في الضفة الغربية، والنائب عن الدولة الصهيونية وأمريكا في مخطط إسقاط حماس، واســتغلال تلك الشرعية في إكساب عباس القوة المحسوبة لتحقيق ما يريده اليهود في الداخل الفلسطيني، وبخاصة مواجهة حماس، واستعادة السلطة منها على غزة.

٤ - استغلال الحضور العربي المكثف للمؤتمر في إسباغ مشــروعية عربية على ما يمكن أن تتوصل إليه المفاوضات مهما كان حقيراً أو خطيراً، وكذلك إسباغ «الشرعية» الدولية على ما يمكن أن يصدر عن منظمة التحرير من تنازلات.

٥ - استغلال الحضور العربي المكثف أيضاً للمؤتمر في فتــح مزيد من أبواب التطبيع، عن طريق ما تم من لقاءات (هامشية) واجتماعات (جانبية) بين الوفود العربية ووفود الحكومتين الأمريكيـــة والصهيونية، وانتهاز الفرصة لضمِّ عدد جديد من الدول العربية إلى منتدى التطبيع!

إن (إيهود أولمرت) يعلم أن مجرد عقد مؤتمر «أنابوليس» قد أوصله إلى عدد من الأهداف المذكورة. أما التوصل إلى اتفاق ســلام (نهائي) مع الفلسطينيين يسمح بإقامة دولة فلســطينية - كمــا يقول بوش - فمن شــبه المقطوع به أن (إيهود أولمرت) لم يسمح لنفسه أن تتوهم ذلك، ولن يسمح لمحمود عباس أيضاً أن يحلم بذلك في ظل التنازلات التي يطالِب بها بوش.

محمود عباس ومنظمة التحرير الفلسطينية:

كأن مــا حدث للرئيس الفلســطيني الراحل (ياســر عرفات) لــم يكن فيه عبرة كافية لمحمود عباس الذي كان نائباً لـــه في منظمة التحرير الفلســطينية، والذي رافقه طــوال الرحلة من الخنــادق إلى الفنــادق إلى الحصار الخــانق. ولو كان قد اعتبر لما استجاب إلى مقامرة بوش الجديدة التي قد تفقده أي شيء، في الوقت الذي يظن أنه سيكسب منها كل شيء.

لمحمــود عباس والمنظمة - لا شــك - أهداف من وراء العودة إلى التفاوض مع اليهود من خلال مؤتمر «أنابوليس»، وأهم ما يظهر من هذه الأهداف:

١ - استعادة المصداقية المفقودة لدى الشعب الفلسطيني، بالظهور مجدّداً أمامه بوصفه رجل دولة قادراً على إعادة الحقوق وتصحيح الأوضاع، واســتغلال ذلك في الوقوف الجاد والحاد ضد التيار الإســلامــي الفلسطينــي الذي لا يطيق عباس الشراكة أو التفاوض أو المصالحة معه.

٢ - إعادة ترميم سمعة منظمة التحرير بعد انتكاساتها المتعددة أمام حماس سياسياً وعسكرياً وقيمياً، والاستفادة من المؤتمر والمفاوضات في إعادة الاعتبار لها كونها ممثلاً «شرعياً» و «وحيداً» للشعب الفلسطيني!

٣ - استئناف ما بدأه عباس من مشاريع تسوية مشبوهة مع اليهــود، ومن ضمن ذلك اتفاق (مــازن - بيلين) الذي يمنح الصهاينة القدس الشــرقية بوصفها جزءاً لا يتجزأ مــن عاصمتهم الموحدة - كما يقولون - على أن يمنح اليهودُ الفلســطينيين مقابلها مدينة (أبوديس) ليجعلوها عاصمة لهم بعد أن يطلقوا عليها اسم القدس!

٤ - العمــل علــى اســتعادة تلقِّي المســاعدات من الدول الأجنبية - وبخاصة الأوروبية - لاســتعمال ذلك في إعادة بناء منظمة التحرير وجمع الفلســطينيين حول قيادتها بالــرغــبة أو الرهبة، من موقع القوة السياسية والاقتصادية والأمنية التي ستُحرم منها جميعاً حركة حماس، بحسب ما يخطط عباس.

والله غالب على أمره.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



وَلَذِكر الله أكبر



محمد بن شاكر الشريف

alsharif@albayan.co.uk

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد سيد ولد آدم أجمعين، أما بعد:

فإن الله - تعالى - خلق السماوات والأرض كما خلق الملائكة والإنس والجن - لعبادته، قال - تعالى -: ﴿ وما خلقنا السَّماء والأرض وما بينهُما لاعبين ﴾ [الأنبياء: ١٦]، كما قال: ﴿ وما خلقت الْجنَّ والإنس إلاَّ ليعبُدون ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والله - تعالى - غنيٌّ عن عبادة العابدين؛ فمُلْكُه لا يزيد بطاعة الطائعين، كما لا ينقص بعصيان العاصين. وقد شرع الله - تعالى - كثيراً من العبادات الظاهرة؛ من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك مما شرع، والتي يدل الالتزام بها وأداؤها من قِبَل العباد على عبوديتهم لربهم وطاعتهم له. والغرض الأسمى من ذلك ما وَقَرَ في القلب من إيمان إلى جانب ما يظهر من أعمال البدن تصديقاً لذلك، وليس المطلوب مجرد ظاهر من القول والعمل لا حقيقة له في الباطن. وذِكْرُ الله - تعالى - من الأدلة العظيمة الدالة على تعظيمه - سبحانه - وتعظيم أمره ونهيه، ودلالة على ما وقر في قلب المسلم واستقرَّ من إيمان صادق.

ومن فضل الله - تعالى - على عباده أن جعل للخير مواسم يعطي فيها على العمل الصالح ما لا يعطي في غيرها، فينشط فيها المسلم لعمل ما أحبَّه الله ورضيَه، ويجتهد في ذلك حتى يصل إلى غاية عالية.

وقد أقبل علينا موسم الحج، وهو من أعظم مواسم التقرب إلى الله تعالى؛ فلو نظرت إلى هذه العبادة - على ما فيها من مشقة بدنية؛ حيث يأتيها الحاج من مئات الأميال بل آلافها، وما يتحمله من كلفة مالية، إلى جانب هجر الأوطان والأموال والأهلين -؛ لوجدت من المقاصد العظمى لهذه الفريضة ذكر الله تعالى؛ فقد قال - تعالى - آمراً نبيه وخليله إبراهيم - عليه السلام - بالدعوة إلى الحج: ﴿ و ذن في الناس بالحجّ يأتُوك رجالاً وعلى كُل ضامرٍ يأتين من كُل فجّ عميق ﴿٢٧﴾ ليشْهدُوا منافع لهُم ويذكُرُوا اسم اللَّه في أيَّام مَّعلُوماتٍ علَى ما رزقهُم مّن بهيمة الأنْعام ﴾.. الآية [الحج: ٢٧ - ٢٨]، فبيَّن أن ذكر الله من المقاصد العظمى لهذه الفريضة. وقال في تأدية مناسك هذه الفريضة: ﴿ فإذا أفضتُم مّن عرفاتٍ فاذكُرُوا اللَّه عند المشعر الحرام واذكُرُوهُ كما هداكُمْ ﴾.. الآية [البقرة: ١٩٨]،



فكــرر الذكر مرتين تأكيداً وتنبيهاً على أهميته. وقال أيضاً: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣] والأيام المعدودات هي أيام التشــريق. وأمر بالذكر بعد قضاء المناسك وأدائها فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وهذا رسولنا الكريم ﷺ يبين أن الطواف - وهو ركن من أركان الحج - ليس المقصد منه ســوى ذكر الله كما قال ﷺ: «إنما جُعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله». فالطواف بالبيت والســعــي بين الصــفا والمروة إنما جُعلا لإقامة ذكره - تعالى - وليس من أجل تجاذب أطراف الحديث بين الناس أثناء الطواف والسـعي، وكذلك رمي الجمار وليس لرجم إبليس كما يزعم كثير من الناس.

وحتى أيام العيد التي هي أيام فرح وسرور وقد يصحب ذلك أنواع من اللهو؛ فإنها لا تخلو من ذكر الله - تعالى - وقد بيَّن ذلك رســول الله ﷺ في حديثه عن أيام التشــريق التي هي أيام العيد الأكبــر حيث يقول عنها: «ألا وإن هذه الأيام أيام أكل وشــرب وذكر الله عز وجــل»[1]؛ فذكرُ الله - تعالى - يلــفُّ عبادة الحج من بدئها إلــى نهايتها وفي أثناء أدائها؛ ففي الإهلال بالحج ذكر، وفــي الطواف ذكر، وفي الصعود إلــى الصفا ذكر، وفي الوقوف على الصفا والمروة ذكر، وفي الوقــوف بعرفة ذكــر، وفي المبيت بمزدلفــة ذكر، وفي ذبح النسك ذكر، وفي العيد ذكر. وقد ذكر البخاري في صحيحه ترجمة تدل على ذلك فقال: «باب: التكبير أيام منى وإذا غدا إلــى عرفة، وكان أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - يكبِّر في قبَّته في منى فيسمعه أهل المسجد، فيكبرون ويكبر أهل الأســواق، حتى ترتج منى تكبيراً. وكان ابن عمر - رضي الله عنهمــا - يكبِّر في منى تلك الأيام وخلــف الصلوات، وعلى فراشــه وفي فسطــاطه، ومجلســه وممشاه، وكانت ميمونة - رضي الله عنها - تكبِّر يوم النحر، وكنَّ النساء يكبِّرن خلف أبان بن عثمــان وعمــر بن عبد العزيز ليالي التشــريق مع الرجال في المسجد».

وإذا كان ذكــر الله - تعالى - من أهم مقاصد الحج فإن الله - تعالى - من رحمته بالناس أباح لهم أن يبتغوا من فضله في أمور البياعات والتجارات؛ على سبيل الإباحة. لكن انقلب الحــال عند كثير من الــناس بحيــث صــار ذكــر الله أقــل ما يشغل همهم، وأصبح تحقيق المكاسب المالية العظمى في ذلك الموســم العظيم أكثر ما يستحوذ عليهم، حتى يتقاعس الكثيــر منهم عن أداء الفريضة حتــى لا يفوتــه ما يراه من المكســب المادي. وصنف آخر يتتبَّع كل رخصة وردت فيجمع في حجــه الرخص كلها وصــولاً إلى توفير وقتــه للتجارة والكســب، مع أن أربح التجارة هي مــا كانت مع الله - تعالى - فإنــه يعطي ما لا يعطيه أحد؛ فبينما يقابل الناس الشــيء بمثله أو قريب من ذلك فإن الله يقابل الشــيء بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والرسول الكريم ﷺ يقول: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»، والحج المبرور هــو الحج الــذي وُفِّيت أحكامه ووقع مطابقــاً لما طُلب من المكلَّف على الوجه الأكمل.

• صُوَر الذكر:

ذِكْرُ الله - تعالى - يشمل أمرين:

ذكراً قلبياً: وهــو تذكُّرُ الله - تعالى - وتذكُّرُ أمره ونهيه، وعدمُ الغفلة عن ذلك أو نسيانه؛ فلا يُقدِم الإنسان على أمرٍ من الأمور إلا وهو على بصيرة وتذكُّر.

ويدل على ذلك وصية سلمان الفارسي - رضي الله عنه - لسعــد بن أبي وقاص - رضــي الله عــنه - حيــث قــال لــه: «يا ســعد! اذكر الله عند همــك إذا هممت، وعند يدك إذا قسمت، وعند حكمك إذا حكمت»[2].

وذكْراً عملياً: وهو لهَجُ اللسان بالثناء على الله - تعالى - بما هو أهله، ودعاؤه في السر والعلن وفي السراء والضراء، والقيــامُ بما أوجــب الله - تعالى - مــن الواجبات والانتهاء عمَّا حرَّم مــن المحرمات؛ ودليل ذلك ما ذكره في تفســير (الكشــاف): (وذكــر الله يتناول كل مــا كان من ذكر طيِّب: تســبيح، وتهليل، وتكبير، وتمجيد، وتوحيد، وصلاة، وتلاوة قرآن، ودراســة علــم، وغير ذلك مما كان رســول الله ﷺ يستغرق به ساعة ليله ونهاره).

وإذا نظرت إلى كثير من العبادات البدنية الظاهرة تجد التأكيــد على أن المقصــد من ذلك ذكــر اللــه تعالى؛ حتى يعلم المســلم أنَّ ذِكْرَه - تعــالــى - هو المقصــود الأول بما طلب منه؛ فإنّ الذِّكر للعبادة بمثابة الروح للجســد؛ فكما أنّ الجســـد بلا روح ميتٌ؛ فكذلك العبادة بلا ذكْر ميتة. يقول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ..﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقد وَرَدَ في تفسيرها عدَّة أقوال؛ أقواها وأشهرها ثلاثة أقوال:

الأول: يتــحدث عــن المكــافأة التــي يكافئ الــلــه - تعالى - بها الذاكر، فهو يقول: إنَّ ذِكْرَ الله إياك أيها الذاكر أكبرُ من ذكْرك إياه؛ فإن ذكر الله للعبد يرفع منزلته، وأما ذكر العبد ربَّه فلا يزيد في ملكه شيئاً، وهذا لا شكَّ فضل عظيــم ومنــزلــة عظــمى للعبــد الذاكــر أن يذكُره رب الســمــاوات

(١) أخرجه أبو داود في سننه، برقم (٢٨١٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم (٧٨٩١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.



والأرضين، وقد دلَّ على هذه المكافأة العظيمة قوله - تعالى -: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾؛ فمَنْ ذَكَرَ الله - تعالى - فإن الله يذكُره.

وقد جاء في الحديث القدسي قول الله - تعالى -: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم».

والقول الثاني: أنه لا شيء من الأعمال والتعبدات أكبر من ذكر الله - تعالى - كما قال قتادة في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: بل ذكر الله أكبر. وعن أمّ الدرداء - رضي الله عنها - أنها قالت: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: فإن صليت فهو من ذِكر الله، وإن صمت فهو من ذِكر الله، وكل خير تعمله فهو من ذِكر الله، وكل شرّ تجتنبه فهو من ذِكر الله، وأفضل ذلك تسبيحُ الله.

والثالث: أن ذكر الله ومراقبته في نهيه عن الفحشاء والمنكر أكبر من نهي الصلاة عن ذلك.

والأقوال غير متعارضة أو متضادة، ولذا جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: لها وجهان: ذِكْرُ الله أكبر مما سواه، وذِكْرُ الله إياكم أكبر من ذِكركم إياه.

والأقوال كلها متفقة على بيان منزلة الذِّكر وعِظَمه وفضله، حتى يقول أبو الدرداء - رضي الله عنه -: «ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأحبها إلى مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير من أن تغزوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم، وخير من إعطاء الدنانير والدراهم؟ قالوا: ما هو؟ قال: ذِكْرُكم ربَّكم، وذِكْرُ الله أكبر».

وآيُ القرآن كلها تشهد على عظيم منزلة الذِّكر وفضله؛ حيث يذكُر العبد ربَّه فلا يغفل عنه، بل يظل ناظراً لعلم الله - تعالى - به وإحاطته له، حتى يطَّلع على سرِّه ونجواه، وما هو أخفى من ذلك، ويبقى لسانه يلهج بذِكر الله - تعالى - والثناء عليه بما هو أهله، فيحمله ذلك على المتابعة التامة والالتزام بما حدَّ الله له من حدٍّ، حتى إذا غلبته نفسُه لحظةً أو تملَّكه الشيطان على حين غِرَّة سَارَع بكل قواه إلى التوبة والاستغفار.

وهذا كتاب ربنا يُبيِّن أنَّ مَنْ أكثر من ذِكْره فإنّ ذلك يحمله على التأسّي برسول الله ﷺ حتى يكون قدوته في كل ما يأتي ويَذَرُ. يقول الله - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فجعل الإكثار من ذِكره - تعالى - والمداومة على ذلك في جميع المواطن على السراء والضراء خوفاً من عقابه ورجاءً بثوابه - جعل ذلك من المعينات على اتخاذ الرسول الكريم ﷺ أسوةً حسنة؛ لأنّ ذاكرَ الله متّبع لأوامره، بخلاف الغافل عنه. كما بيَّن أنّ ذِكْرَ الله - تعالى - يكون مبعثاً لطمأنينة القلب وسكونه وعدم اضطرابه في الملمات المدلهمات؛ فقال - تعالى -: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. وقد بيَّن القرآن أيضاً أنّ ذِكْرَ الله - تعالى - في مواطن الجهاد والجلاد وملاقاة الكفار مؤدٍّ إلى الفلاح؛ فقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. قال أبو حيان: «أمَرَهم بذِكْره - تعالى - كثيراً في هذا الموطن العظيم من مصابرة العدو والتلاحم بالرماح وبالسيوف، وهي حالة يقع فيها الذهول عن كل شيء، فأُمروا بذِكر الله؛ إذ هو - تعالى - الذي يُفزَع إليه عند الشدائد ويُستأنس بذِكْره ويُستنْصَر بدعائه، ومن كان كثيرَ التعلّق بالله ذَكَرَه في كلّ موطن، حتى في المواضع التي يذهل فيها عن كل شيء ويغيب فيها الحسّ، ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] قال قتادة: افترضَ الله ذِكْرَه أشغلَ ما يكون العبد عند الضِّراب والسيوف». وقال الزمخشري: «فيه إشعار بأنّ على العبد أن لا يفتُرَ عن ذِكر الله أشغلَ ما يكون قلباً وأكثرَ ما يكون همّاً، وأن تكون نفسُه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزِّعة عن غيره». كما أمر الله - تعالى - بالذكر الكثير بعد الانتهاء من صلاة الجمعة فقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. كما بيَّن القرآن أن المداومة على ذكر الله - تعالى - في جميع الأحايين دلالة بينة على أن الذاكر من أُولي الألباب أصحاب العقول الرشيدة، قال - تعالى - في وصف أولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾.. الآية [آل عمران: ١٩١]، فعلى أيِّ وضع شئتَ أن تراه رأيته ذاكراً لله - تعالى - بفعاله وأقواله، فهم يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، قال مجاهد: «لا يكون من الذاكرين كثيراً حتى يذكره قائماً وقاعداً ومضطجعاً». والذاكرون اللهَ بحق لا يشغلهم عن الذكر شيء لا الأموال ولا التجارات ولا الأهلون كما قال - تعالى -: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾.. الآية [النور: ٣٧].

ولا شك أن ذكر الله - تعالى - في الأزمان والأمكنة التي أمر بالذكر فيها أعلى مكانةً وأجلُّ قَدْراً من الذكر العام غير المرتبط بزمن أو مكان.

فهلَّا شمَّر المسلمون والحجاج عن ساعد الجدِّ وأكثروا من الذكر والدعاء في هذا الجمع العظيم الذي يباهي به الله ملائكته، وسألوا الله من فضله لهم ولأمتهم السدادَ والنصر والظهور على مَنْ شاقَّ الله ورسوله وحارب أولياءه!

نسأل الله - تعالى - بمنِّه وفضله وتوفيقه أن يجعلنا ممن يحقق مقاصد الحج، وأن نكون من الذاكرين الله كثيراً.. آمين.

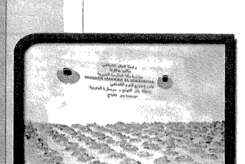






أو

٣٥٠
ريال



نقوم بشراء أضحيتك وفق الشروط الشرعية ونذبحها ونوزع لحمها على الأيتام والفقراء والمساكين والأرامل من المسلمين داخل المملكة وخارجها

سألنا الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين :

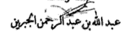
تعلمون حفظكم الله أن مؤسسة مكة المكرمة الخيرية تعمل في مجال كفالة الأيتام، فهل يجوز لنا في المؤسسة قبول وكالات إخواننا المحسنين للذبح عنهم أضاحيهم في الدول الإسلامية الفقيرة، ومن ثم توزيع لحومها على الايتام والفقراء المحتاجين المسلمين الذين قد لا يذوق احدهم اللحم طوال العام إلا في موسم عيد الاضحى المبارك؟

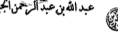


فكان الجواب : وصلنا خطابكم وفيه طلبكم الإفادة عن حكم إرسال قيمة الأضاحي لتذبح في الخارج وتقسم على فقراء المسلمين. وحيث اطلعتم على فتوى لنا بجواز اخذ المؤسسة اثمان الاضاحي من اصحابها وشراء اضاح بها لذبحها وقت الذبح وتوزيعها على الفقراء من المسلمين في بلاد اكثر فقراً واشد احتياجا فإننا قلنا بذلك نظراً إلى ان الحكمة في ذبح الاضاحي إحياء السُنَّة والتوسعة على المسلمين في ايام الاعياد التي هي ايام فرح واغتباط، وحيث ان هذه المملكة يوجد بها اهل ثروة وكثرة خير وانهم قد أكثروا من الوصايا بذبح الاضاحي بحيث يذبح في المنزل الواحد العدد الكثير من الوصايا والقرابين ويقل وجود الفقراء الذين يحتاجون لاكلها في تلك الايام فقد راينا ان من الانسب إرسال قيمتها إلى البلاد الفقيرة ليشتري بها ذبائح وتذبح في ايام العيد باسماء أصحابها وتقسّم على فقراء المسلمين من اهل السنة والجماعة فهو خيرٌ من ان تبقى مصبّرة ياكلها اهلها عدّة اشهر ومع ذلك إذا وجد فقراء في الداخل فإنهم اولى بأن تصرف لهم لسدِّ حاجاتهم، ولتحقيق اهليتهم فهذا ما نراه ولكم طلب الفتوى من غيرنا والله يتولانا جميعاً وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

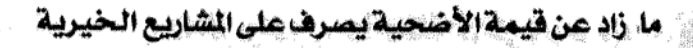


قاله وأملاه





عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين





يمكنكم الإيداع في
الحساب ذي الرقم ٢٠٤٦٠٨٠١٠٠٠٧٣٧٩
بمصرف الراجحي

المكتب الرئيس : الرياض هاتف مجاني ٨٠٠١٢٤٩١٩١ - فاكس : ٤٩٢٠٦٩٣ - ص.ب ٥٧٠٩١ الرياض ١١٥٧٤
الفروع : مكة المكرمة - المدينة المنورة - جدة - الطائف - الخرج - الدلم - الافلاج - الدمام - الإحساء - الخفجي
حفر الباطن - حائل - الزلفي - القصيم - القنفذة
يمكنكم الاتصال على المؤسسة أو أحد فروعها عن طريق الرقم الموحد : رجال ٩٢٠٠٠٠٩٠٣ - نساء ٩٢٠٠٠٠٩٠٦



منهج قرآني في التعامل مع أخطاء المجاهدين (*)

إن الفتن العظيمة التي تموج اليوم في واقعنا المعاصر لَتفرضُ على المسلم أن يكون حذراً يقظاً متأنياً في أقواله وأفعاله ومواقفه؛ سائلاً ربه ـ عز وجل ـ الهداية للحق والثبات عليه. ومن أسباب الهداية للحق البصيرةُ في الدين وتدبّر كتاب الله ـ عزّ وجل ـ وسنّة نبيه ﷺ والاستضاءة بهما في خضمّ هذه الفتن التي تموج كموج البحر.

عبد العزيز بن ناصر الجليل

ومن هذه الفتن التي ظهرت في الآونة الأخيرة تلك المواقف المتباينة إزاء أخطاء بعض المجاهدين في الثغور؛ ما بين مبرِّر لها ومدافع عنها وكأنه يدعي العصمة للمجاهدين، وما بين مواقف مستعجلة من بعض الدعاة إزاء هذه الأخطاء لم يراعوا فيها التثبت أو لم يراعوا فيها مآلات أقوالهم وما يترتب عليها من المفاسد، ودون انتباه لما يقوم به العدو المتربص كافراً كان أو منافقاً من توظيفٍ لأقوالهم هذه في تبرير ضربهم للمجاهدين أو الشماتة بهم.

ولذا يتعيّن على كل من أراد لنفسه السلامة من الزلل والسقوط في الفتن، أن يترسّم القرآن الكريم ويتدبره ويجعله منطلق مواقفه كلها. وفي كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ آيات كريمة عظيمة ترسم لنا المنهج الحق العدل في التعامل مع أخطاء المجاهدين ووضعها في حجمها الطبيعي، دون أن يوظفها العدو في صالحه، ومن هذه الآيات قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقبل أن نقف عند الدروس من هذه الآية وما فيها

(*) اقصد بالمجاهدين هنا أولائك الذين قاموا بأداء فريضة العين؛ وذلك بجهاد الدفع عن البلاد التي غزاها الكفرة واحتلوها، كما هو الحال في أفغانستان والعراق والشيشان وفلسطين.

من منهج حاسم في التعامل مع أخطاء المجاهدين وأعداء المجاهدين، يحسُن بنا أن نقف على سبب نزولها كما جاء في كتب التفسير.

فقد جاء في روايات متعددة أنها نزلت في سريَّة عبد الله بن جحش - رضي الله عنه - وكان رسول الله ﷺ قد بعثه مع ثمانية من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار، ومعه كتاب مغلق، وأمره ألا يفتحه حتى يُمضي ليلتين، فلما فتحه وجد به: «إذا نظرت في كتابي هذا؛ فامضِ حتى تنزل بطن نخلة - بين مكة والطائف - ترصد لنا قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم.. ولا تُكرِهَنَّ أحداً على السَّير معك من أصحابك». وكان هذا قبل غزوة بدر الكبرى، فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعاً وطاعة. ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى بطن نخلة أرصد بها قريشاً حتى آتيه منها بخبر، وقد نهى أن أستكره أحداً منكم؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأنا ماضٍ لأمر رسول الله ﷺ. فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف أحد منهم، فسلك الطريق على الحجاز، حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّ بعير لسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - رضي الله عنهما - فتخلفا عن رهط عبد الله بن جحش ليبحثا عن البعير، ومضى الستة الباقون؛ حتى إذا كانت السَّريَّة ببطن نخلة مرّت عِير لقريش تحمل تجارة، فيها عمرو بن الحضرمي وثلاثة آخرون، فقتلت السَّريَّة عمراً ابن الحضرمي، وأسَرَت اثنين، وفرّ الرابع وغنمت العير. وكانت تحسب أنها في اليوم الأخير من جمادى الآخرة؛ فإذا هي في اليوم الأول من رجب، وقد دخلت الأشهر الحُرُم التي تعظمها العرب، وقد عظمها الإسلام وأقرّ حرمتها. فلما قدمت السَّريَّة بالعير والأسيرين على رسول الله ﷺ قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام!» فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقِط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال) ا. هـ[1].

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية:

(ولما كانت هذه الآية نازلة بسبب ما حصل لسرية عبد الله بن جحش، وقتلهم عمرو بن الحضرمي، وأخذِهم أموالهم وكان ذلك - على ما قيل - في شهر رجب؛ عيّرهم المشركون بالقتال بالأشهر الحُرُم، وكانوا في تعييرهم ظالمين؛ إذ فيهم من القبائح ما بعضه أعظم مما عيّروا به المسلمين. قال - تعالى - في بيان ما فيهم: ﴿وصدٌّ عن سبيل الله﴾، أي: صدُّ المشركين مَنْ يريد الإيمان بالله وبرسوله، وفتنتُهم مَنْ آمن به، وسعيُهم في ردهم عن دينهم، وكفرُهم الحاصل في الشهر الحرام والبلد الحرام، الذي هو بمجرده كافٍ في الشر؛ فكيف، وقد كان في شهر حرام وبلد حرام؟!

﴿وإخراجُ أهْله﴾، أي: أهل المسجد الحرام وهم النبي ﷺ وأصحابه؛ لأنهم أحق به من المشركين، وهم عُمَّاره على الحقيقة، فأخرجوهم [منه] ولم يمكّنوهم من الوصول إليه، مع أن هذا البيت سواء العاكف فيه والباد.

فهذه الأمور كلٌّ واحد منها: (أكبر من القتل) في الشهر الحرام؛ فكيف وقد اجتمعت فيهم؟! فعُلِمَ أنهم فسقة ظلمة في تعييرهم المؤمنين. ثم أخبر - تعالى - أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين، وليس غرضُهم في أموالهم وقتلهم، وإنما غرضهم أن يرجعوهم عن دينهم، ويكونوا كفاراً بعد إيمانهم؛ حتى يكونوا من أصحاب السعير) ا. هـ.

ويقول سيد قطب - رحمه الله تعالى - في هذه الآية أيضاً:

(نزلت هذه النصوص القرآنية فقطعت كل قول، وفصَلت في الموقف بالحق، فقبض الرسول ﷺ الأسيرين والغنيمة.

﴿يَسألونك عن الشَّهر الحرام قتالٍ فيه قُل قتالٌ فيه كبيرٌ﴾..

نزلت تقرر حرمة الشهر الحرام، وتقرر أن القتال فيه كبيرة، نعم! ولكن:

﴿وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخْراج أهله منهُ أكبر عند الله والفتنةُ أكبرُ من القتل﴾ [البقرة: ٢١٧].

إن المسلمين لم يبدؤوا القتال، ولم يبدؤوا العدوان، إنما المشركون هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله، والكفر به وبالمسجد الحرام. لقد صنعوا كل كبيرة لصد الناس عن سبيل الله، ولقد كفروا بالله وجعلوا الناس يكفرون، ولقد

[1] انظر كتب التفسير عند هذه الآية.

كفروا بالمسجد الحرام وانتهكوا حرمته؛ فآذوا المسلمين فيه وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عاماً قبل الهجرة، وأخرجوا أهله منه، وهو الحرم الذي جعله آمناً، فلم يأخذوا بحرمته ولم يحترموا قدسيته..

وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام.. وفتنة الناس عن دينهم أكبر عند الله من القتل. وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين، فسقطت حجتهم في التحرُّز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام، ووضح موقف المسلمين في دفع هؤلاء المعتدين على الحرمات؛ الذين يتخذون منها ستاراً حين يريدون، وينتهكون قداستها حين يريدون! وكان على المسلمين أن يقاتلوهم أنّى وجدوهم؛ لأنهم عادون باغون أشرار، لا يراقبون حرمة، ولا يتحرجون أمام قداسة. وكان على المسلمين ألا يَدَعوهم يحتَمون بستار زائف من المحرمات التي لا احترام لها في نفوسهم ولا قداسة!

لقد كانت كلمةَ حق يراد باطل، وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرَّدَ ستار يحتمون خلفه؛ لتشويه موقف الجماعة المسلمة وإظهارها بمظهر المعتدي.. وهم المعتدون ابتداءً، وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء..

هؤلاء قوم طغاة بغاة معتدون، لا يقيمون للمقدسات وزناً، ولا يتحرَّجون أمام الحرمات، ويدوسون كل ما تواضع المجتمع على احترامه من خلقٍ ودين وعقيدة، يقفون دون الحق فيصدون الناس عنه، ويفتنون المؤمنين ويؤذونهم أشد الإيذاء، ويخرجونهم من البلد الحرام الذي يأمن فيه كل حي حتى الهوام..! ثم بعد ذلك كله يتستّرون وراء الشهر الحرام، ويقيمون الدنيا ويقعدونها باسم المحرمات والمقدسات، ويرفعون أصواتهم: انظروا ها هو ذا محمد ومَنْ معه ينتهكون حرمة الشهر الحرام!) ا. هـ.

نخلُص من سبب نزول الآية والتوجيه الرباني فيها إلى الموقف السليم في التعامل مع أخطاء المجاهدين المتمثل فيما يلي:

أولاً: عدم ادِّعاء العصمة للمجاهدين، بل هم بشر يخطئون ويصيبون، والخطأ لا يُدافَع عنه بل يُقال: إنه خطأ ومخالفة، وهذا ما ذكره الله - عز وجل - في الآية المذكورة وذلك بقوله - تعالى -: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...﴾، فذكر - سبحانه - أن قتال المجاهدين في الشهر الحرام خطأ كبير، ولكن هذا الخطأ لا يُهدَر به جهاد المجاهدين وبلاؤهم الحسن ومقصدُهم الحسن في جهادهم؛ وهو ابتغاء مغفرة الله ورحمته، بل يُوضَع في حجمه الطبيعي. ولذلك ذكر بعض المفسرين أن الله - عز وجل - طيَّبَ قلوب هؤلاء المجاهدين المخطئين بعد ذلك بقوله - سبحانه - في السياق نفسه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]. وهكذا يكون التعامل مع أخطاء المجاهدين بحيث يُنكَر عليهم خطؤهم ولا يُقَرُّون عليه، وفي الوقت نفسه لا يُنسى لهم بلاؤهم وجهادهم، وتنكيلُهم في عدوهم، وهجرُهم لأهلهم وأوطانهم، وهذا ما يتضح بجلاء في هديه ﷺ في تعامله مع أخطاء بعض الصحابة - رضي الله عنهم - أثناء جهادهم في سبيل الله تعالى.

فهذا أسامة بن زيد - رضي الله عنه - عندما قتل المشرك الذي شهد أن لا إله إلا الله بحجة أنه قالها متعوذاً وخوفاً من السيف، عاتبه الرسول ﷺ عتاباً شديداً وأوقف أسامة على خطئه، ومع ذلك بقي هو حِبّ رسول الله ﷺ وبقيت مكانته عند رسول الله ﷺ لم تتغير، حتى إنه أمَّرَه قبيل وفاته ﷺ بالجيش المعروف بجيش أسامة؛ ومعه أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما.

وهذا خالد بن الوليد - رضي الله عنه - عندما عنّفه النبي ﷺ وتبرأ من فعلِه وقَتْلِه لمن أظهر الإسلام من بني جذيمة، لم يمنعه ذلك من إبقائه في قيادة العمليات الجهادية المتتالية في عهده ﷺ وعهد أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما.

فهل بعد هذا الهدي النبوي في تعامله مع أخطاء المجاهدين من عُذرٍ لبعض الدعاة - هداهم الله - الذين ينسون جهاد المجاهدين وبلاءهم الحسن، ويسعون إلى إقصائه بمجرد أن يصدر منهم خطأ ومخالفة شرعية في قولهم أو فعلهم؟! إن هذا ليس العدل! يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في تعليقه على قصة عبد الله بن جحش وما نزل فيها من الآيات القرآنية: (والمقصود: أن الله - سبحانه - حَكَم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف، ولم يبرِّئ أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام، بل أخبر أنه كبير، وأنّ ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم

من مجرد القتال في الشهر الحرام؛ فهم أحق بالذم والعيب والعقوبة ولا سيما أن أولياءه كانوا متأوِّلين في قتالهم ذلك، أو مقصرين نوع تقصير يغفره الله لهم في جنب ما فعلوه من التوحيد والطاعات والهجرة مع رسوله وإيثار ما عند الله، فهم كما قيل:

وإذا الحبيبُ أتى بذنب واحدٍ

جاءت محاسنُه بألف شفيع

فكيف يقاس ببغيضٍ عدوٍ بكل قبيح، ولم يأتِ بشفيع واحد من المحاسن؟[1].

وفي ختام هذه الفقرة، أوصي إخواني المجاهدين بأن يتقوا الله - عز وجل - في جهادهم، وأن يبذلوا الوسع في توقّي الذنوب وما يُسخط الله - عز وجل - فإن الذنوب أخطر على المجاهدين من عدوهم، وهي سبب الهزائم والخذلان، ويكفينا تذكُّرُ ما حصل للمسلمين في غزوة أحد. وإن من أخطر وأكبر الذنوب التي تهدم الجهاد وأهله؛ التنازعَ والتفرق المؤديين إلى الاستهانة بالدماء المعصومة والتعلقِ بأدنى شبهة لاستحلالها؛ وإذا كان الله - عز وجل - سمّى قتلَ المشركين المحاربين في الشهر الحرام كبيراً ﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾؛ فكيف بقتل مسلم لأدنى شبهة؟!

إن مثل هذه المخالفات الكبيرة لهي من أسباب فشل المشروع الجهادي وهزيمته من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يصب في مصلحة الكافر المعتدي والمنافق المتربص؛ حيث يفرحون بها ويشمتون بها، ويوظفونها أحسن توظيف لهم في حربهم على الإسلام والمسلمين.

فاتقوا الله أيها المجاهدون في جهادكم وفي أمتكم: ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]

ثانياً: ومن المواقف المهمة المستوحاة من الآية الكريمة في الحديث عن أخطاء المجاهدين، الحذرُ الشديد من توظيف الكفرة والمنافقين الكلامَ عن أخطاء المجاهدين في الشماتة بهم وبالمسلمين، وبالتنفير من الجهاد وأهله.

ولقطع الطريق على الكفرة والمنافقين من توظيف الحديث في صالحهم والتنفير من المسلمين والمجاهدين؛ نرى في الآية الكريمة أن الله - سبحانه - عندما ذكر أن القتال في الشهر الحرام كبيرة؛ أتبعه في الآية نفسها بالتشنيع على الكفار وما يقومون به من العدوان والصد عن سبيل الله - تعالى - مما هو في جُرْمه وشناعته أكبرُ وأشد من خطأ المجاهدين، ويوضح الله - عز وجل - ذلك في قوله - تعالى -: ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ.. ﴾ [البقرة: ٢١٧].

أي أن ما يقوم به الكفار من صدٍّ الناس عن سبيل الله وكفرهم بالله وإخراج المسلمين من المسجد الحرام والشرك بالله، (أكبر عند الله من القتل).

وبهذا يُقطَع الطريق على الكفرة والمنافقين من أن تتم فرحتهم بأخطاء المجاهدين؛ بأن تُذكر فضائح الكفار وعدوانهم وصدهم عن سبيل الله عز وجل، وعندئذٍ لا يستطيعون استغلال الحديث في صالحهم ضد المسلمين.

فيا ليت إخواننا الدعاة الذين يتحدثون اليومَ عن أخطاء المجاهدين، ينهجون هذا المنهج الرباني؛ فيقرنون حديثهم ونقدهم لأخطاء المجاهدين بذكر ما هو أكبر وأشنع؛ مما يقوم به اليومَ الكفرة الغزاة وأولياؤهم والمنافقون من قتلٍ وتشريدٍ وسجن وتجويع وحصار خانق على المسلمين، وصدٍّ عن سبيل الله عز وجل؛ وقبل ذلك كفرهم بالله ومحادَّتهم للإسلام وأهله في بلاد العراق وأفغانستان والشيشان وفلسطين والصومال.

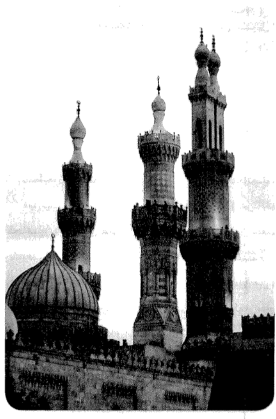
هذا هو المنهج القرآني المستوحى من آية البقرة الآنفة الذِّكر.

أما أن يُفرَد المجاهدون بالنقد، ويُترَك الكفرة المعتدون والمنافقون الخائنون لا تُذكر فضائحهم، ولا يذكر عدوانهم وإرهابهم وصدهم عن سبيل الله؛ فهو من جانبٍ: منهجٌ جائر ينظر بعين واحدة. ومن جانب آخر: يسهِّل الطريق على الكفرة الغزاة والمنافقين معهم في الشماتة بالمجاهدين، ويوظِّف ذلك في مصالحهم وأهدافهم وخططهم.

أسأل الله - عز وجل - أن ينصر المجاهدين في كل مكان، وأن يجنِّبهم شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم، وأن يؤلِّف بين قلوبهم، ويكبت عدوهم من الكفرة والمنافقين، والحمد لله رب العالمين.

(١) زاد المعاد، ٣/١٧٠.







الأزهر والشيعة... الوجه الآخر شقاق لا وفاق(*)

شحاته محمد صقر

لا أحد ينكر ما لمصر من ثقل في العالم الإسلامي، ولا أحد ينكر ما للأزهر من مكانة في قلوب المسلمين في العالم، ولذلك يحاول الشيعة دائماً استغلال ذلك في الدعاية لدينهم الباطل، وذلك بطرق كثيرة، منها: تضليل علماء الأزهر بخدعة التقريب بين السنة والشيعة كما حدث مع الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق وغيره، ومنها: الافتراء عليهم كذباً كما حدث بالنسبة للشيخ سليم البشري، والشيخ حسنين مخلوف، كما سيتضح إن شاء الله.

ونحاول هنا إثبات أن الأزهر وعلماءه ضد تزكية دين الشيعة، وضد عدّه مذهباً خامساً. وإن خالف بعضهم ذلك؛ فإنه فعل ذلك نتيجة انخداعه بتقيّة الشيعة ودعوتهم الكاذبة إلى التقريب بين دين الإسلام دين أهل السنة والجماعة وبين باطلهم.

وسنذكر أقوالاً لعلماء من الأزهر المشهورين تكشف عن حقيقة دين الشيعة.

وسنذكر أيضاً أقوالاً لبعض العلماء الذين خدعتهم تقيّة الشيعة؛ ولو علم هؤلاء العلماء حقيقة دين الشيعة لما قالوا: إنه يجوز التعبد بدين الشيعة وعدّه مذهباً خامساً.

• افتراء جاوز الحدود.. الشيعة وافتراؤهم على شيخ الأزهر الأسبق سليم البشري:

من كتب الشيعة التي امتلأت بالكذب على النبي ﷺ كتاب (المراجعات) لمؤلفه عبد الحسين بن يوسف شرف الدين العاملي الموسوي؛ عامله الله بما يستحق[1]، وقد خرّج العلّامة محمد ناصر الدين الألباني بعضاً من أحاديث الكتاب المذكور، وخاصة فيما يتعلق بفضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ مع العلم أنه قد ورد في فضله أحاديث أخرى صحيحة كثيرة.

قال الشيخ العلّامة محمد ناصر الدين الألباني في (السلسلة الضعيفة: ٢/٢٩٧): «كتاب (المراجعات) للشيعي المذكور محشوٌّ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضل علي - رضي الله عنه -، مع كثير من الجهل بهذا العلم الشريف،

(1) تناول الباحث الشيخ محمود الزعبي مناقشة كتاب (المراجعات) المذكور ونقده في جزئين هامين بعنوان (البينات في الرد على أباطيل المراجعات)، وهما مطبوعان ومتداولان وجديران بالرجوع إليهما لمعرفة مدى التزييف الذي وضعه مؤلفه (عبد الحسين الموسوي)، بالإضافة إلى ما ذكره الكاتب - وفقه الله - من ردّ فضيلة الدكتور علي السالوس على كتاب الموسوي المفترى (البيان).

(*) معظم مادة هذا الموضوع من مجموع فتاوى الأزهر، وكتاب الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري (مسألة التقريب بين أهل السُّنة والشيعة)، وبعض المقالات والأخبار من الشبكة العنكبوتية.

والتدليس على القراء، والتضليل عن الحق الواقع، بل والكذب الصريح، مما لا يـكاد القارئ الكريم يخطر في باله أن أحداً من المؤلفين يحترم نفسه يقع في مثله» ا. هـ.

طار الشيعة الرافضة بكتاب (المراجعات) هذا في الآفاق، وخدعوا به أتباعهم، وزعموا أن هذا الكتاب طُبع أكثر من مائة مرة. وقصة الكتاب عبارة عن مراسـلات ـ كما زعم المؤلف ـ بينه وبين شـيخ الأزهر سليم بن أبي الفرج البِشري، وزعم أن المراسلات انتهت إلى أن صحح شيخ الأزهر مذهب الرافضة، بل شيخ الأزهر أبطل مذهب أهل السنة!

والوضع والكذب على أهـل السـنة ليـس مستـغرباً من الشـيعة، فهم يبيحون لأنفسـهم الوضـع على أهـل السـنة ما دام أن لهم أهدافاً، وذلك على طريقة «الغاية تبرر الوسـيلة». ولكن نقول: لقد أجازوا لأنفسـهم الكذب على رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وأهل بيتـه الأطهار، فكيف لا يكذبون على أهل السنة؟

أمارات الوضع والكذب في كتاب (المراجعات):

أولاً: زعم الموسـوي أن الكتاب مراسلات خطية حصلت بينه وبين شـيخ الأزهر سليم البشري. ولم يوثّق كتابه بصورة واحدة من تلك الرسـائل الخطية. ورسائل الكتاب بلغت ١١٢ رسـالة، منها ٥٦ رسالة لشـيخ الأزهر. وهذا يدل على كذب الموسوي، مما يطعن في صحة تلك الرسائل.

ثانياً: لم يُنشَر الكتاب إلا بعد عشرين سنة من وفاة شيخ الأزهر البشري، فالشيخ البشـري توفي سنة ١٣٣٥هـ، وأول طبعة للكتاب في سنة ١٣٥٥هـ.

ثالثاً: كيف تكون المراسـلات بين شيخ الأزهر البشـري ولا يعلمها على أقل تقدير المقرَّبون من شـيخ الأزهر، وخاصة مَن يعملون معه في الأزهر؟ ولذلك بادر كثير من أهل العلم إلى تكذيب هذه الرسائل، ونفْي نسبتها لشيخ الأزهر البشري.

بل إن الدكتور علي السـالوس ـ أسـتاذ الفقه والأصول، وعضو المجمع الفقهي الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي، والـذي كان الشـيخ جاد الحق علي جاد الحق شـيخ الأزهر الأسبق قد كلَّفه بكتابة ردٍّ على كتاب (المراجعات) ـ قد قال في مقدمة كتابه (المراجعات المفتراة على شـيخ الأزهر البشـري، الفرية الكبـرى): «تـحـدثتُ مع الشـيـخ محـمد ابن الشـيخ سليم البشري، وذكَرْتُ له كتاب (المراجعات)، فقال لي ما نَصُّه: قرأتُ الحديثَ على أبي ثلاثين سـنة فما ذكَرَ لي شـيئاً عن الشيعة، وما كان يُخفِي عنِّي أيَّ شيء». اهـ.

وذكر الدكتور علي السالوس في مقدمة كتابه المذكور أيضاً نموذجاً آخر من كذب الشيعة حدث معه شخصياً؛ حيث قابله أحدهم في القاهرة، وزعم أنه ذهب إلى العلَّامة محمود محمد شـاكر، ودار حوار بينهما، وانتهى الحوار بعجز الشيخ العلَّامة محمود شاكر عن الردِّ على الشيعي الرافضي.

يقول الدكتور علي السـالوس: «وذهبتُ إلى شـيخي في منزله، وسـألته عن هذه الزيارة وما دار فيها، فقال: لم يأتني أحدٌ من هؤلاء، ولم يحدث أيُّ حوار.

فلما رأى آثار تعجُّب تظهر عَلَيَّ قال لي: يا علي! إنهم يكذبون على الله وعلى رسـوله ﷺ، وتعجَبُ أنهم يكذبون على محمود شاكر؟».

رابعاً: أسلوب الرسائل واحد لا يختلف، أي: أن الموسوي هو الواضع للأسـئلة وهو الذي أجاب عنها، ومن دقَّق عرف ذلك.

خامساً: يُشْعِرُك الموسوي أن شيخ الأزهر البشري رجل لا يعرف شيئاً، وليس صاحب تلك المكانة في العالم الإسلامي من جهة منصبه العلمي، وكأنَّ شـيخ الأزهر يُسَلِّم بكل ما يطرحه الموسوي، والأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً.

• خدعوه.. فقال.. وليته ما قال:

لقد شـاع القول: إن الأزهر يعدّ الشـيعة مذهباً خامساً، وإن كان مِـن علماء الأزهـر مَن قال ذلك فإنمـا قاله لعدم علمه بحقيقة دين الشـيعة الروافض، وبسبب انخداعه بدعوة التقريب بين السنة والشيعة.

ولقد استطاع الشيعة الروافض في ظل دعوة التقريب أن يخدعوا شيخ الأزهر محمود شلتوت بالقول: إن مذهب الشيعة لا يفترق عن مذهب أهل السـنة. وطلبوا منه أن يصدر فتوى في شـأن جواز التعبد بالمذهب الجعفـري، فاستجاب لهم وأصدر فتواه في سـنة ١٣٦٨هـ الموافق ١٩٥٩م بجواز التعبُّد بالمذهب الجعفري[1].

طار الشـيعة الروافض بهذا فرحاً، وعدوا فتوى الشـيخ شلتوت هي القطف الشـهيّ والثمرة الكبرى لدعوة التقريب؛ لأنها تعطيهم كما يتصورون (الشـرعية) في التبشير بالتشيع في ديار السنة.

ولكن هل كانت فتوى الشـيخ شـلتوت مبنية على دراسة

(١) وقد ردَّد ذلك بعض علماء الأزهر، ومنهم شيخ الأزهر الحالي الدكتور محمد سيد طنطاوي، ومما يوضح انخداعه بدعوة التقريب بين السنة والشيعة أنه بعد أن نشرت جريدة (الغد) ملحقاً من ثماني صفحات يسيء إلى الصحابة؛ هاجم كل من يسب صحابة الرسول ﷺ مؤكداً أن «من يقترف هذا الذنب العظيم خارج عن ملة الإسلام»، مع أن سب الصحابة من أصول دين الشيعة، فكأنه بهذا قد نقض كلامه الذي قلد فيه الشيخ شلتوت بجواز التعبد بالمذهب الجعفري.



لمذهب الشيعة؟ أم أنها مبنية على تصديق الشيخ شلتوت دعاوى الشيعي محمد القمي مؤسس جماعة التقريب وغيره بأنه لا خلاف بين السنّة والشيعة؟!

الذي رجَّحه الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري صاحب كتاب «مسألةُ التّقريب بين أهْل السُّنة والشّيعَة» هو الثاني؛ بناءً على ما سمعه من بعض معاصري الشيخ شلتوت ومجالسيه.

ومما يؤكد جهل الشيخ شلتوت بالشيعة أنه يرى أن السبيل الوحيد إلى إعادة الصف الإسلامي إلى وحدته وقوته أن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، وأن نطرح وراء ظهورنا تلكم التأويلات البعيدة للنصوص الشرعية من كتاب وسنّة صحيحة، وأن نفهمها كما فهمها المعاصرون للتنزيل، وأن نجعل أهواءَنا تبعاً لديننا، ولا نجعل ديننا تبعاً لأهوائنا، وأن نحارب احتكار فرد أو أفراد تعاليمَ الدين؛ فما كان الإسلام دين أسرار وأحَاج لا يعرفها إلا طائفة خاصة تُطْلِع عليها من تشاء وتمنعها عمن تشاء؛ فما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى بلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، وطلب من أصحابه وأتباعه أن يبلّغوا ما علموه.. (هذا ما قاله الشيخ شلتوت، في مقدمته لكتاب «إسلام بلا مذاهب»، ص ٦).

فالشيخ شلتوت بهذا القول كأنه يحكم على الشيعة - الذين أفتى بجواز التعبد على مذهبهم - بأنهم لم يسلكوا سبيل التقريب؛ لأن الشيعة على خلاف تام لهذه الأركان التي وضعها للتقريب؛ فاتخاذهم للأئمة أرباباً من دون الله منتشر عندهم وفي كتبهم. وهُم أهل التأويلات البعيدة للنصوص الشرعية، ويرون أنه من الكيد للإسلام أن نفهم هذه النصوص كما فهمها الصحابة المعاصرون للتنزيل. وهم بمزاعمهم في أئمتهم ودعاويهم في مجتهديهم يمثلون في الإسلام ذلك الاحتكار للدين الذي يعنيه الشيخ شلتوت.

وهم يقولون: إن في دين الله أسراراً وأحاجيَّ لا يعلمها إلا طائفة خاصة بزعمهم هم أهل البيت؛ لأن الرسول ﷺ كتم قسماً من الشريعة وأودعه إياهم، وهم وحدهم عندهم: الجفر، والجامعة، ومصحف فاطمة، وعِلْمُ ما كان، وما يكون.. إلخ، ولمجتهديهم اتصال بالمنتظَر الذي انتهت إليه هذه العلوم بزعمهم.. إلخ.

فكأن الشيخ شلتوت بهذا القول ينقض فتواه بنفسه.

ومن المفارقات أن أحد شيوخ الشيعة الذين ينادون بالوحدة الإسلامية وهو شيخهم محمد الخالصي؛ سُئل عن جواز التعبد بالمذاهب الأربعة عند أهل السنة فأفتى بالمنع من ذلك. (انظر: كُتيِّبه «التوحيد والوحدة»، ص ٣٣ - ٣٤).

وعلى الرغم من قيام الشيعة بتأسيس دار التقريب ومجلّتها وجماعتها واستجابة بعض علماء الأزهر لفكرتهم؛ فإننا لم نرَ لهذه الدعوة إلى هذا التقارب أيَّ أثر بين علماء الشيعة في العراق وإيران وغيرهما؛ فلا يزال القوم مصرِّين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير الكاذب لما كان بين الصحابة من خلاف، ولا تزال مطابع الشيعة الروافض تقذف سنوياً بعشرات الكتب التي تحمل اللعن والتكفير والتخليد بالنار لخير القرون.

• دور الشيخ حسنين مخلوف مفتي مصر الأسبق في بيان حقيقة دين الشيعة:

للشيخ حسنين مخلوف حديث عن التقريب بين السنة والشيعة وعن موقف الشيخ شلتوت؛ هذا الحديث أملاه الشيخ حسنين مخلوف على الدكتور ناصر القفاري صاحب كتاب (مسألة التقريب بين أهْل السُّنة والشّيعَة)، وختمه الشيخ حسنين مخلوف بتوقيعه.

وأهمية هذا الحديث كما يقول الدكتور القفاري في كتابه تأتي من وجهين:

الأول: أن الكتاب الذي أصدره الرافضي عبد الكريم الشيرازي باسم (الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة) الذي جمعه كما يزعم من مجلة رسالة الإسلام مجلة التقريب - قد افتتحه بمقال للشيخ حسنين مخلوف كونه مفتي مصر يؤيد فيه التقريب ويدعو إليه، في حين أنه في هذا الحديث يؤكد أنه من المعارضين للفكرة من الأصل.

ولا عجب فالكذب تسعة أعشار دين الشيعة، ومن قبله كذب عبد الحسين شرف الدين في كتابه (المراجعات) على شيخ الأزهر سليم البشري.

والوجه الثاني: أنه يحوي تسجيلاً تاريخياً لمعارضة بعض شيوخ الأزهر لمحاولة الشيخ شلتوت تطبيق دراسة مذهب الشيعة في الأزهر مثله في ذلك مثل المذاهب الأربعة.

قال الشيخ حسنين مخلوف: «بسم الله الرحمن الرحيم، بدأت فكرة التقريب بين أهل السنّة والشيعة حينما كان بمصر رجل شيعي اسمه (محمد القمي)، وسعى في تكوين جماعة سماها (جماعة التقريب)، وأصدر (مجلة التقريب) وكتب فيها بعض الناس.

وأنا لم أكن موافقاً على التقريب ولا على المجلة؛ ولذلك لم أكتب في المجلة ولم أجتمع مع جماعة التقريب في مجلس ما.

وقد سعى القمي لدى الشيخ شلتوت في أن يقرر تدريس الفقه الشيعي الإمامي في الأزهر أسوةً بالمذاهب الأربعة التي



تدرس فيه. وأنا حين علمت بهذا السعي كتبتُ كلمة ضد هذه الفكــرة، وأنه لا يصح أن يدرس فقه الشـيعة في الأزهر؛ ألَا ترون أن الشـيعة يجيزون نكاح المتعة ونحـن في الفقه نقرر بطلان نكاح المتعة وأنه غيـر صحيح؟! وقد أبلغتُ هذا الرأي لأهل الحل والعقد في مصر إذ ذاك، وأصدروا الأمر لشـيخ الجامع الأزهــر بأنه لا يجوز تدريس هذا الفقه فيه ولم ينفَّذ والحمد لله». (انتهى كلام الشيخ حسنين مخلوف).

وقال الشيخ حسـنين محمد مخلوف مفتي مصر الأسبق أيضاً: «الشيعة الإمامية يزعمون أن الرسول ﷺ قد نص نصاً جليّـاً على إمامة علي - رضي الله عنه - بعده، وأنه هو وصيه، ويطعنون في سـائر الصحابة وخاصة الشيخين، بل منهم من يُكفِّرُهم، ولهم في أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - مطاعن ومثالــب يظهرونها فيما بينهم عند الأمن، ويخفونها تقيّة عند الخـوف، وكلها كذب وبهتان، ويقدسـون كربلاء والنجف وما فيهما من مشاهد، ويحملون من أرضها قِطَعاً يسجدون عليها في الصلاة». (فتاوى الأزهر ٦/٦٩ بتصرف، تاريخ الفتوى: ذو الحجة ١٣٦٨ هجرية / ٢٥ أغسطس ١٩٤٩م).

• دور الشـيخ جـاد الحق علي جاد الحق، شـيخ الأزهر الأسبق، في بيان حقيقة دين الشيعة:

جاء في كتـاب (بيان للناس من الأزهر الشـريف) الذي أصدره الأزهر الشـريف تحت إشراف الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شـيخ الأزهر الأسـبق: «ومن أهم أصولهم - أي: الشيعة الإمامية الإثني عشرية -:

- تكفيـر الصحابة ولعنهم، وبخاصة أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - إلا عدداً قليلاً جداً كانوا موالين لعليّ، رضي الله عنه. وقد رووا عن الباقر والصادق: «ثلاثة لا يكلِّمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادَّعى إمامة ليسـت لـه، ومن جحد إماماً من عند الله، ومن زعم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب في الإسلام».

- ويقولـون: إن عائشـة وحفصة - رضي اللـه عنهما - كـافرتان مخلَّدتـان في النـار، مـؤوَّلين عليهمـا قـول الله - تعالـى -: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

- ادِّعـاء أن القرآن الموجود في المصاحف الآن ناقص؛ لأن منافقـي الصحابة - هكذا - حذفوا منه ما يخص عليّاً وذريته، وأن القـرآن الذي نزل به جبريل - عليه السـلام - على نبينا محمد ﷺ سبعة آلاف آية، والموجود الآن (٦٢٦٣ آية) والباقي مخـزون عنـد آل البيت فيما جمعه علـي. والقائم على أمر آل البيـت يُخرِج المصحف الذي كتبـه علي، وهو غائب بغيبة الإمام.

- رفْـض كل رواية تأتـي عن غير أئمتهـم، فهم عندهم معصومـون، بل قال بعضهم: إن عصمتهـم أثبت من عصمة الأنبياء.

- التقيّة: وهي إظهار خلاف العقيدة الباطنة؛ لدفع السوء عنهم.

- الجهاد غير مشـروع الآن، وذلك لغيبة الإمام، والجهاد مع غيره حرام ولا يُطاع، ولا شـهيد في حرب إلا من كان من الشيعة، حتى لو مات على فراشه.

وهناك تفريعات كثيرة على هذه الأصول، منها:

- عدم اهتمامهم بحفظ القرآن؛ انتظاراً لمصحف الإمام.

- وقولهـم بالبَداء: بمعنى: أن الله يبدو له شـيء لم يكن يعلمه من قبل ويتأسف على ما فعل.

- والجمعـة معطَّلة في كثير من مسـاجدهم، وذلك لغيبة الإمام، ويبيحون تصوير سيدنا محمد وسيدنا علي، وصورهما تُباع أمام المشاهد والأضرحة، ويدينون بلعـن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -. (بيان للناس من الأزهر الشريف: ٢/١٣-١٥).

• دور الشـيخ عطية صقر في بيان حقيقة دين الشيعة:

ذكر الشيخ عطية صقر - الرئيس الأسبق للجنة الفتوى في الأزهر، وعضو مجمع البحوث الإسلامية - في فتوى له الكلام السابق نفسه في بيان الأزهر الشريف. (انظر: فتاوى الأزهر: ٨ /٤٠٣ وما بعدها، تاريخ الفتوى مايو ١٩٩٧م).

وقال الشـيخ عطية صقـر أيضاً: «نزل القرآن على النبي ﷺ، وكان يأمر كُتَّابه بتدوين ما ينزل، على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، وحُفِظ هذا المكتوب ونُسِـخَتْ منه عدة نسـخ في أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ثم طبعت المصاحف المنتشرة في العالم كلـه طبق المصحف الإمام الـذي كان عند عثمان والنسخ التي أُخِذَتْ منه.

والشيعة يزعمـون أن أبا بكـر وعمر - رضـي اللـه عنهما - بنفسـيهما حذفا من المصحف آيـات كثيرة، منها عدد كبير يتصل بخلافـة علي - رضي الله عنه - ويزعمون أن المصحف الكامــل كتبه علي - رضي الله عنه - بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

جاء في كتاب (الأنوار النعمانيـة) لمحدِّثهم وفقيههم الكبير

نعمة الله الموسوي الجزائري ما نصه: إنه قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أُنزل لم يؤلِّفه إلا أمير المؤمنين، بوصية من النبي ﷺ، فبقي بعد موته ستة أشهر مشتغلاً بجمعه، فلما جمعه كما أُنزل أتى به إلى المتخلفين بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم وآله - فقال: هذا كتاب الله كما أنزل. فقال له عمر بن الخطاب: لا حاجة بنا إليك ولا إلى قرآنك. فقال لهم علي: لن تروه بعد هذا اليوم، ولا يراه أحد حتى يظهر ولَدي المهدي؛... وفي ذلك القرآن زيادات كثيرة، وهو خالٍ من التحريف».

ولكثير من علمائهم تآليف تثبت أن القرآن الموجود بيننا ناقص ومحرَّف، وأن المصحف الصحيح الكامل سيظهر آخر الزمان مع المهدي المنتظر، ولم يتح لنا الاطِّلاع على هذا المصحف، وينقلون هم أشياء يدَّعون أنها فيه، وأكثرها خاص بآل البيت وإمامة علي - رضي الله عنه -.

ومن أمثلة التحريف في زعمهم: أن آية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] نزل بها جبريل - عليه السلام - على نبينا محمد ﷺ هكذا (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا في عَلِيٍّ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه).

ونُقل في (أصول الكافي) عن جعفر الصادق أنه أقسم بالله أن آية: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥] نزلت هكذا (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ في محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم فَنَسِيَ)...» انتهى كلام الشيخ عطية صقر، بتصرف يسير، من (فتاوى الأزهر: ٣/٦٤١، تاريخ الفتوى مايو ١٩٩٧م).

وقد ذكر الشيخ عطية صقر في مكان آخر من كتاب (فتاوى الأزهر) أن الشيعة ينتظرون إمامهم الغائب كل يوم، يقفون بالخيل على باب السرداب، ويصيحون بأن يخرج إليهم ثم يرجعون، وذكر أن بعض الشعراء قال في ذلك:

ما آنَ للسرداب أنْ يَلِدَ الذي
كلَّمتُموه بجهلِكم ما آنَا
فعلى عقولِكُمُ العفاءُ فإنَّكمْ
ثَلَّثْتُمُ العَنْقَاءَ والغيلانا[1]

(فتاوى الأزهر: ١٠/١٢٧)

◦ دور الأزهر في الدفاع عن الإسلام ضد ضلالات الشيعة:

لكثير من علماء الأزهر - وفقهم الله - دور كبير في التحذير من دين الشيعة، وذلك عن طريق إصدار الكتب، والتحدث على القنوات الفضائية، وتحذير طلابهم من ذلك، ومحاولة منع نشر كتب الشيعة، والدفاع عن الصحابة - رضي الله عنهم - ضد افتراءات الشيعة والعَلْمانيين.

فقد قرر الأزهر الشريف في ٣/١٢/٢٠٠٦م منع تداول عدد من المطبوعات الشيعية التي يتم تداولها في مصر، وقامت الجهات الأمنية وجهاز المطبوعات بالتعاون مع مجمع البحوث الإسلامية بعملية المصادرة والمنع.

وطالب الأزهر بمنع تداول كتاب (الملحمة الحسينية) للمدعو مرتضى المطهري، والذي تطاول فيه الكاتب - عليه من الله ما يستحق - على الصحابيَيْن الجليلَيْن معاوية ابن أبي سفيان وسمرة بن جندب رضي الله عنهما.

وأوضح تقرير الأزهر حول الكتاب أنه يجب عدم نشره أو تداوله؛ حفاظاً على عقيدة أهل السنة والجماعة.

كما طالب الأزهر أيضاً بمنع وتداول مجلة (أهل البيت) التي تصدرها دار الهدف للإعلام والنشر[2]، وتتبنى المجلة وجهة نظر الشيعة الإمامية الإثني عشرية والتي تخالف في كثير من أصولها مذهب أهل السنة والجماعة، وتهاجم من أولها إلى آخرها صحابة رسول الله ﷺ.

وأكَّد الأزهر أيضاً أن هذه المجلة تحاول ترسيخ الفكر الشيعي في مصر.

ونشرت صحيفة (القاهرة) التابعة لوزارة الثقافة المصرية كتاباً لأحد علماء الشيعة اللبنانيين، وبعدها بأيام نشرت صحيفة (الغد) التابعة لحزب الغد ملحقاً من ثماني صفحات بعنوان (من عائشة أم المؤمنين إلى عثمان الخليفة الراشد.. أسوأ عشر شخصيات في الإسلام) فيه تطاولٌ على السيدة عائشة أم المؤمنين وعلى عثمان بن عفان وغيرهما من الصحب الكرام، رضي الله عنهم.

ولم تكد تمر ثلاثة أيام حتى انضمت إلى الجريمة صحيفة (الفجر) التي نشرت ملحقاً تطاولت فيه على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ونصرت المذهب الشيعي، ونشرت

---

(١) آنَ: حان، العفاء: الزوال والهلاك، العنقاء: طائر متوهَّم يُضرب به المثل فيما هو مستحيل، الْغِيلَان جمع غُول، والغول: جِنْس مِن الْجِنّ وَالشَّيَاطِين كَانَتْ الْعَرَب تَزْعُم أَنَّ الْغُول فِي الْفَلَاة تَتَرَاءَى لِلنَّاسِ فَتَتَغَوَّل تَغَوُّلاً أَيْ: تَتَلَوَّن تَلَوُّناً فِي صُوَر شَتَّى، وَتَغُولهُمْ أَيْ: تُضِلّهُمْ عَنْ الطَّرِيق وَتُهْلِكهُمْ. وقد نَفَاهُ النَّبِيّ وَأَبْطَلَهُ، قال ﷺ: «لا غُول» (أخرجه مسلم).
وَقِيلَ: قَوْله ﷺ: «لَا غُول» لَيْسَ نَفْياً لِعَيْنِ الْغُول وَوُجُوده، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: إِبْطَال مَا تَزْعُمهُ الْعَرَب مِنْ تَلَوُّن الْغُول بِالصُّوَرِ الْمُخْتَلِفَة، وَاغْتِيَالهَا. فَيَكُون مَعْنَى «لَا غُول»: أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيع أَنْ تُضِلّ أَحَداً.

(٢) هذه الدار المشبوهة تعود إلى المدعو (صالح الورداني)، وقد تراجع عن الاتجاه الشيعي الذي تبنّاه لفترة طويلة بعدما تشيع عن جهل بعد عيشه لفترة ليست بالقصيرة في الكويت، وعمل مع بعض الشيعة. ومؤخراً جرى معه حوار في مجلة (المجلة) السعودية في العدد (١٠٨٢)، والذي يوضح فيه تراجعه عن التشيع الذي كان يدعو إليه، وإن لم يتبرّأ من كتبه ومؤلفاته التي أساء فيها لأهل السنة كثيراً، ولا يعفيه ما جاء في المقابلة معه من وزر ما قاله وكتبه (البيان).

مقالاً بعنوان (سقوط أبي هريرة) هاجم صاحبه راوي أحاديث الرسول ﷺ الصحابي (أبو هريرة) - رضي الله عنه -، مشككاً في صدق رواياته، واتّهمه بالنهم في الطعام والولائم.

وتمادت الصحيفة فطعنت في سيف الله المسلول خالد ابن الوليد - رضي الله عنه - في مقال يصفه بأنه مجرم حرب، ولم ينْجُ الإمام البخاري - صاحب أصح كتب الحديث المعتمدة عند أهل السنة، وهو (صحيح البخاري) - من هذه الحملة المستعرة.

ثم ما لبث الأمر حتى خرجت علينا جريدة (الدستور) الصادرة في ٢٠٠٦/١٠/١١م بالطعن في الصحابيّيْن الجليلَيْن عمر بن الخطاب والمغيرة بن شعبة - رضي الله عنهما - وهو الأمر الذي أكد بما لا يتيح مجالاً للشك وجودَ (لوبي) شيعي أو مجموعة من أصحاب النفوذ الذين يفتحون الطريق أمام غزو شيعي لمصر.

ومن يقرأ النص الذي نشره عادل حمودة في جريدة (الفجر) عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - والنص الذي نشرته جريدة (الغد) في الموضوع ذاته؛ يلحظ تطابقاً تاماً بين النصَّين، الكلمات نفسها، والعبارات نفسها، والألفاظ نفسها، والإفك نفسه، والاتهامات نفسها، بل والفكرة نفسها، فقط أحدهم يقدم عبارة ويؤخر الأخرى، والسؤال هو: من الذي عمَّم النص المشار إليه على الصحيفتين بطريقة الإعلانات مدفوعة الثمن؟!

وعلى الفور قرر مجمع البحوث الإسلامية بالجامع الأزهر في القاهرة يوم ٢٠٠٦/١٠/١١م إعدادَ مذكرة للنائب العام يطالب فيها باتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة تجاه ما نشرته صحيفة (الغد) المصرية والتي أساءت فيه إلى أصحاب الرسول ﷺ وإلى أمهات المؤمنين، رضي الله عنهنّ.

وذكرت وكالة (أنباء الشرق الأوسط) المصرية أن مجمع البحوث الإسلامية طالب في بيان له عقب اجتماعه في جلسة طارئة بردْع هؤلاء الذين يتطاولون على الدين الحنيف، محذراً من تكرار مثل تلك الإساءات التي لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة.

وكانت دار الإفتاء المصرية قد أدانت في بيان مماثل لها تلك الإساءات، ودعت المسلمين في كل أنحاء العالم إلى مقاطعة ما أسمته بالكتابات المسمومة التي تحمل تحليلات يغلب عليها الإلحاد وإنكار الوحي، واصفةً انتقاد الصحابة بأنه فسق بيِّن.

وكان الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الحالي قد ثار على وصف الصحابي الجليل خالد بن الوليد - رضي الله عنه - بمجرم الحرب، واتهم كاتب المقال بالتحلل من جميع الفضائل، لافتاً إلى أن احترام الصحابة - رضي الله عنهم - ركن سادس من أركان الإسلام، وحمل بشدة على هذه الصحف ووصفها بالصفراء التي «تمارس الابتزاز من أجل الحصول على الإعلانات» داعياً إلى مقاطعتها.

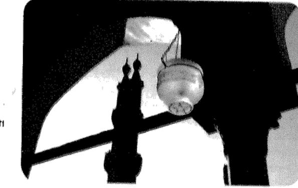
وفي كلمة في ختام فعاليات الموسم الثقافي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مسجد النور في العباسية جدَّد الدكتور محمد سيد طنطاوي هجومه العنيف على كل من يسبُّ صحابة الرسول ﷺ، مؤكداً أن «من يقترف هذا الذنب العظيم خارجٌ عن ملة الإسلام» لافتاً إلى قيامه بتقديم بلاغ إلى النائب العام المستشار عبد المجيد محمود لوقف تطاول أي صحيفة أو مجلة على الصحابة - رضي الله عنهم - وتشديد العقوبة في ذلك.

وفي ٢٠ رمضان ١٤٢٧هـ الموافق ٢٠٠٦/١٠/١٢م وقَّع كثير من علماء الأزهر على بيان طالبوا فيه بملاحقة المجترئين على مقام الصحابة - رضي الله عنهم - قانونياً وفكرياً، منددين بما نُشر في صحف مستقلة من طعنٍ ضمني في صحابة رسول الله ﷺ.

وحذروا من أن الحملة الخبيثة المرادُ منها تشويه وإسقاط قيمة الصحابة الكرام من موقعهم في حمل رسالة الإسلام، واستغربوا تزامن تلك الحملة مع الحملة الأوسع التي تستهدف النبي الكريم ﷺ وثوابت الإسلام في الغرب.

وجاء في البيان: إن العدوان على أيٍّ من أصحاب النبي ﷺ وزوجاته وآله - رضي الله عنهم - أو الانتقاص من قدرهم؛ هو عدوان صريح على مقام النبوة وإيذاء له ﷺ، وقد قال - تعالى -: ﴿ والَّذين يؤذُون رسول اللَّه لهم عذابٌ أليمٌ ﴾[التوبة: ٦١]

وقد كشف الإمام مالك - رضي الله عنه - مقصد أمثال هؤلاء بقوله: «إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدْح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين».





وظيفة الداعية وأخلاقياته

في ظل سلطات غير إسلامية

د. عبد الرحيم شنت ثاني[*]



• تعريف الدعوة:

الدعـوة: مصدر الفعل الثلاثي دعـا يدعو دَعوة، بفتح الدَّال، وقد وردت في اللغة العربية لمعانٍ كثيرة كلها تدور حول: السـؤال، والطلب، والنداء، والدعاء، والاستمالة، والتجمع، إلا أنهـا إذا تعدت بـ «إلى» تحـدد معناهـا بالحث على الشيء، أو سوقه إليه، تقول: دعاه إلى دين أو مذهب، أي: حثه عليه، ودعاه إلى الأمير، أي: سـاقه إليه[1]. وتطلق الدعـوة على الدعاء إلى أي قضية يـراد إثباتها أو الدفاع عنها، سواء أكانت حقاً أم باطلاً. والأصل في مفهوم الدعوة أنه يعتمد على البيان والكلام. قال أحمد بن فارس: «الدعـوة أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك»[2].

وقد أورد العلماء في تحديد المفهوم الاصطلاحي للدعوة تعاريف كثيرة، تعددت أساليبها وتنوعت، إلا أنها تتوحد في مراميها ودلالاتها، وسنقتصر على تعريفين نراهما أقرب إلى وظيفة الداعية، وأكثر شمولية لمهمته:

١ - الدعوة هي: «تبليغ الإسـلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة»[3].

٢ - الدعوة هي: «إبلاغ الناس دعوة الإسـلام في كل زمان ومكان، بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين»[4].

وغـني عـن الذكـر أن مضـمار الدعـوة إلى الله - تعالى - هـو المضمار الذي تتسابق إليه النفوس الطموحة، وتتنافس العقول الواعية المفكرة لخوضه وكسـب قصب السـبق فيـه؛ لأنـه سُلَّمُ النـهوض بالأمة الإسـلامية من سـباتها العميق، ومشـهدها الدامي الحزين، والداعية هـو المبلـغ لـهذه الدعوة، وهـو البطل الذي سـينقذ الأمـة من الغـواية إلى الهداية، وحـداؤه في برنامجه الدعوي: ﴿ ومن أحسنُ قوْلاً مِّمَّن دَعا إلى اللَّه وعملَ صالحًا وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت: ٣٣]؛ ليحوز الخيرية «لأَنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[5].

• حكم الدعوة إلى الله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «والدعوة إلى الله واجبة على من اتبع الرسول ﷺ؛ وهم أمته. وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة، وهو فـرض كـفاية، يسـقط عن البعض بالبعض، كقوله - تعالـى -: ﴿ ولتكُن مِّنكم أمَّةٌ يدعُون إلى الخير ﴾ [آل عمران: ١٠٤]»[6]. وقـد أوضـح الشـيخ عبـد العزيـز بن باز - رحمه الله - هذا بقوله: «صرَّح العلماء أن الدعـوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - فرض كفاية بالنسـبة إلى

(*) عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية في النيجر.

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة، دار الدعوة، إسطنبول - تركيا، ط٢، ١٩٧٢، ص٢٨٦

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٦٦هـ، (٢/ ٢٧٩).

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص١٧

(٤) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، مكتبة لينة دمنهور، مصر، ط ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص٢١

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب، رقم ٣٤٩٨؛ ومسلم، في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب، رقم ٢٤٠٦؛ وأحمد، رقم ٢٢٨٧٢

(٦) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (٢٠/ ٨).

الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإنَّ كلّ قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة، وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية؛ إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملاً صالحاً جليلاً. وعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل - كحالنا اليوم - تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته، وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعيّن بالدعوة على التمام صار الإثم عاماً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه. أما بالنظر إلى عموم البلاد؛ فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله - جلّ وعلا - في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله - عزَّ وجل - بالطرق الممكنة»[1].

• وظيفة الداعية:

انطلاقاً من تعريف الدعوة فإن الوظيفة الأساسية للدعاة هي تبليغ الناس، وإرشادهم إلى الطريق التي سلكها أنبياء الله ورسله، وهي إثبات وجود الله - عزَّ وجل - وإفراده بالعبادة، قال - تعالى -: ﴿ولقد بَعثنا في كُل أُمة رَّسُولاً أن اعبُدُوا اللَّـه واجتنبُوا الطاغُوت﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿ومَا أرْسلنا من قبلك من رَّسُولٍ إلا نُوحي إليه أنَّهُ لا إله إلاَّ أنا فاعبدُون﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وجوهر هذه الوظيفة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي رسالة عظيمة ووظيفة سامية لارتباطها بأشرف الخلق على الأرض؛ وهم الأنبياء والرسل منذ آدم - عليه السلام - حتى نبينا محمد ﷺ.

فمهمة الدعاة الأولى هي التبليغ ودعوة الناس إلى هدي الله، وهذه المهمة العظيمة لا بد أن يرافقها وعي دائم ومتجدد بحاجات الناس، وتغيّر أساليب مخاطبتهم. وقد أوضح المصطفى ﷺ كيفية قيام الداعية بهذه الوظيفة في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان»[2]. ونظرة دقيقة في فحوى هذا الحديث تكشف مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يلي:

١ - التعرف على المنكر، والتأكد أنَّ هناك منكراً.

٢ - التعريف بالمنكر؛ فقد يرتكب بعض الناس المنكر عن جهل بأنه منكر؛ وقد يكفي تعريفهم به لكي ينتهوا.

٣ - الوعظ والنصح والتخويف بالله.

٤ - التعنيف بالقول الغليظ.

٥ - إزالة المنكر باليد، وذلك إذا كانت سلطة إزالة المنكر بيد الداعية، ويكون بمعاقبة أصحابها، وبرفع المنكر وكسره.

ويجب على الداعية أن يحافظ في جميع هذه المراتب على مبدأ (اليسر والتبشير) ومجانبة (العسر والتنفير)، فقد اختار النبي ﷺ معاذاً ومعه أبا موسى الأشعري؛ لتبليغ الدعوة ونشرها في اليمن، وأوصاهما في مهمتهما الجليلة، فقال: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا»[3]. واليسر والبشارة أو العسر والتنفير ليسا من الأمور النظرية المجردة، وإنما هما مرتبطان بواقع الأحكام والدعوة في المجتمع وبين الناس؛ فمَنْ جهل طبيعة الواقع، أو تجاهل أحوال الناس، لم يدرِ هل يسَّر عليهم أم عسَّر؟ وهل نفَّرهم عن الدعوة أم حبَّبهم إليها؟ فضلاً عن متى يكون التكليف يسراً في الواقع، ومتى يكون عسراً؟

• مرتكزات وظيفة الداعية:

وتنبني وظيفة الداعية على ثلاث ركائز أساسية، وهي:

الأولى: فهم طبيعة الدعوة ومداها، ورسالتها العامة؛ إذ إن هناك نفراً من الدعاة يظنون - مثلاً - أن الدعوة إلى التوحيد هي مجرد تصحيح تصورات الناس تجاه مفهوم الربوبية، ومفهوم الألوهية، ومنهج أهل السنة في أسماء الله وصفاته فحسب، دونما بيان شافٍ كافٍ عن تجليات هذه العقيدة في واقع الناس وسلوكهم، ونُظُمهم الاجتماعية والتشريعية، ومشاعرهم وولائهم وغير ذلك. ومستند هؤلاء أن المرحلة الأولى للدعوة تقتضي ذلك، ثم تأتي القضايا الأخرى لاحقاً بعد تثبيت العقيدة. هذا الاتجاه المحدود لو تعززت وجهته في برنامجنا الدعوي فستنتهي بنا حتماً إلى حصر الدعوة الإسلامية بشمولها في نوع من الجهد الكلامي، ومن ثم إتاحة الفرصة تماماً أمام التيارات المنحرفة لصياغة الواقع الاجتماعي، وبنيان الأمة وَفْق مناهجهم الفاسدة. وقد كان النبي ﷺ يدعو قومه إلى التوحيد الخالص في مكة، وكان يجتهد في تصحيح الانحرافات الاجتماعية كلها في الواقع الذي يعيشه، ويقرن ذلك كله بالتوحيد، وحسبنا في السور المكية التي تعالج الظواهر الاجتماعية قوله - تعالى -: ﴿ويْلٌ للمُطَفِّفين ① الذين إذا اكتالُوا على الناس يستوفُون ② وإذا كالُوهُم أو وَّزنوهُم يخسرُون ③ ألا يَظُنُّ أُولئك أنهم مبْعُوثُون ④ ليوم عظيم ⑤ يوم يَقُومُ النَّاس لرَب العالمين﴾ [المطففين: ١ - ٦]، أرأيت كيف ترتبط الدعوة إلى العدل والنزاهة بالإيمان بالله واليوم الآخر؟

---

(1) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٨هـ، ص ٢٠ - ٢١.

(2) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم ٤٩؛ وابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم ٤٠١٣، وفي لفظه «من رأى منكم منكرا فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره...» الحديث؛ وأحمد، رقم ١١٤٧٨.

(3) أخرجه البخاري، في كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن قبل حجة الوداع؛ ومسلم، في كتاب: الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير؛ وأحمد، رقم ١٩٧٥٧.

الثانية: معرفة الزمان، والوعي العميق بالواقع الاجتماعي الذي تتحرك فيه الدعوة وتتنزل به الأحكام، وقديماً قال الصالحون: «رحم الله امرأ عرف زمانه، فاستقامت طريقته». إنّ البصيرة النافذة بأحوال الزمان، وأحوال الناس فيه، والعلاقات التي تتحكم في سلوك الناس الاجتماعي، والضغوط التي تفعل فعلها في الواقع، وهموم المسلمين ومـا عمت به البلوى وما لم تعم، والأخطار المحدقة بالأمة من خارجها ومن داخلها، ومواقع القوة أو الضعف فيها وفي أعدائها، ونحو ذلك من أحوال... إنَّ المعرفة بهذه كلها مطلب شرعي لا تستقيم الدعوة ولا تنضبط أحكام الشريعة بدون تحصيله، وبدون هذا الفقه للواقع لا يمكن لمسلم تنزيل قاعدة (المصالح والمفاسد)، ولا أصل (لا ضرر ولا ضرار)، ولا أصل (ارتكاب أخف الضررين)، ولا باب (سد الذرائع)، ولا باب (الضرورات العامة وما تعم به البلوى)، وغير ذلك الكثير من مقتضيات الدعوة وأصول الأحكام. ومن دخل في شيء من هذا كله بدون معرفة بالزمان، وبصيرة بأحوال المسلمين، وفقهٍ لواقعهم؛ فهو مغامر وضارب في عماية، ولا يؤمَن جانب دعوته وفتواه أن تودي بالمسلمين إلى موارد التهلكة والفساد.

وحاصل الكلام هنا: أن معرفة الزمان، والبصيرة بالواقع، وفقهَ أحوال الناس وهموم الأمة الداخلية والخارجية؛ مطلبٌ شرعي ملحٌّ، ولا سيما في هذه الأيام، ولا تستقيم دعوة ولا يهدى بيان بدون اعتماد هذا الأصل، وإنّ من يخالفون في ذلك يلحقون أبلغ الضرر بالدعوة الإسلامية، ويفتحون باباً واسعاً لفتنة الناس وإفقاد الأمة فاعلية هذه الدعوة.

الثالثة: الوعي التام بأصناف المدعوين ونفسياتهم وطبائعهم؛ إذ إن المدعوين لا يكونون على صورة واحدة مطردة، ولكنهم ينقسمون إلى أصناف عديدة: فمنهم من يرضى بالدعوة ويُقبل عليها ويتفاعل معها، ويثني على أصحابها ويدعو لهم؛ ومنهم من يغلق قلبه أمامها ويصمّ أذنيه عن سماعها؛ ومنهم من يرفضها ويتوجه إلى الداعين بالاتهام والسخرية والاستهزاء والانتقاد، ويجعلهم هم السبب في رفض الدعوة فيتّهمهم بالتزمُّت والتعصب والعنف والقسوة والإيذاء؛ ومنهم ـ وبخاصة إذا كان صاحب مركز أو سلطان ـ مَن يرفض الدعوة ويتهم أصحابها، ثم يوقع بهم الإيذاء والتعذيب والاضطهاد، ويصدر في حقهم الاتهامات والانتقادات والإشاعات. وعلى الداعية أن يكون على وعي وبصيرة بحقيقة كل صنف، ويُوجِد عندهم القناعة بالدعوة والقبول لها، ويعمل باستمرار على تحسين أسلوبه في عرضها وتقديمها، وطريقته في التعامل مع الآخرين، ويستخدم أفضل الأساليب وأجودها وأجملها، ويدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل بالتي هي أحسن.

ولا سبيل لنجاح الداعية في مهمته حتى يكون على قدر كبير من أمرين اثنين هما: التحصيل العلمي الصحيح والمخزون الإيماني، بجانب الخلق الدمث النبيل.

• أصول العمل الدعوي في ظل سُلطات غير إسلامية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «إن مقارنة الفجار إنما يفعله المؤمن في موضعين؛ أحدهما: أن يكون مكرهاً عليها، الثاني: أن يكون في ذلك مصلحة دينية راجحة على مفسدة المقارنة، أو أن يكون في تركها مفسدة راجحة في دينه؛ فيدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصل المصلحة الراجحة باحتمال المفسدة المرجوحة»[1]، وتقول القاعدة الأصولية: «إذا اجتمعت المصلحة والمفسدة فالعمل على أرجحهما». وذلك أن الدعوة في ظل سلطات لا تُحكِّم الشريعة لا تحصل فيها المصلحة إلا بتحصيل المضرة، ولا تُزال المضرة أو تدفع إلا بإزالة المصلحة ودفعها، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما»[2]. وفي ضوء هذا يمكن تلخيص أصول الموازنة بين المصالح والمفاسد عند تزاحمهما في أصلين اثنين هما:

١ ـ احتمال المفسدة الصغرى: إما لدفع مفسدة كبرى، وإما لتحقيق مصلحة كبرى.

٢ ـ تفويت المصلحة الصغرى: إما لتحقيق مصلحة كبرى، وإما لدفع مفسدة كبرى.

وهذا نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ كان نائباً لفرعون مصر، وهو وقومه مشركون. قال ـ تعالى ـ: **﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [يوسف: ٣٩ - ٤٠]، وفعل يوسف ـ عليه السلام ـ من العدل والخير ما قدر عليه، ودعاهم إلى الإيمان بحسب الإمكان، بل إنه طلب من فرعون أن يجعله على خزائن الأرض، مع العلم أنه مع كفرهم لا بد أن يكون لهم عادة وسُنة في قبض الأموال وصرفها على حاشية الملك وأهل بيته، وجنده ورعيّته، ولا تكون تلك جارية على سنة الأنبياء وعدلهم، ولم يكن يوسف ـ عليه السلام ـ يمكنه أن يفعل كل

١) مجموع الفتاوى، (١٥/٣٢٥).
٢) المرجع نفسه، (٢٠/٤٨).

مــا يريد وهو ما يراه من دين الله؛ فإن القوم لم يســتجيبوا له، لكنه فعل الممكن من العدل والإحســان، ونال بالسلطان مــن إكـرام المؤمنين من أهل بيته ما لم يكــن يمكن أن يناله بدون ذلك، وهذا كله داخل في قوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

• أخلاقيات الداعية في ظل سلطات غير إسلامية:

إن طبيعة العلاقات بين الداعية والمدعوين في دولة غير إســلامية تفرض عليه أخلاقيات عملية، يتوقف عليها نجاح مهمته الدعوية، نذكر من أهمها ما يلي:

١ ـ هندسة الأوضاع والنظم السياسية والاجتماعية التي تحكم بها السُّــلطات في هذه الدولــة، ورصد ردود أفعالها تجاه مواقف الدعاة المختلفة، وتشــخيص نفسياتها وطريقة تفكيرهــا، والتنبؤ بطريقة ردِّ فعلهــا لأيِّ تصرف قد يصدر مــن الدعاة، كل ذلك بطريقــة إيجابية، ومن ثم عرض رؤية صحيحة وإيجابية لموقف المسلمين من تلك السلطات، وذلك لكسب ثقتهم في أنشطة الدعاة.

٢ ـ توظيــف حاجات الســلطات لما يملكــه الدعاة من إمكانات وقدرات بشــرية ومادية، وذلك عن طريق إشعارها بدور الدعاة المســلمين، ومســاهمتهم في تنميــة المجتمع وتطويره، من خلال تنفيذ مشاريع خيرية وإنسانية من: بناء مستشفيات، ودُور أيتام، وحفر آبار في الأرياف، بحيث تدرك الســلطات حاجاتها الملحة إلى الدعاة، وأنهم ليســوا مجرد حمل ثقيل عليها يستفيد بكل شيء ولا يفيد في شيء، وهذا لا شك أنجع طريقة للدعوة.

٣ ـ التعايش مع غير المســلمين في المجتمع بشكل سلمي وتحمُّل أذاهم، وترك مواجهتهم بشكل مادي، ولو ترتب على ذلــك وجود واحتمال مفاســد تؤثر على ســير الدعوة، في مقابل تجاوز رســم صورة ذهنية خاطئة للدعوة ـ أو الإسلام كلياً ـ لدى المجتمعات غير الإســلامية، مما قد يترتب عليه صدهم عن دين الله.

٤ ـ العمل على رفع مســتوى المسلمين المعيشي والثقافي والتعليمــي، مما قد يمكنهم من الوصــول إلى بعض المراكز الحساســة في البلاد، فإذا ولّى الحاكمُ غيرُ المسلم الداعيةَ منصباً فإنَّ عليــه توليّــه، قال عــز الدين بن عبد الســلام: «ولو استولى الكفار على إقليم عظيم فولّوا القضاء لمن يقوم بمصالح المســلمين العامة فالذي يظهر إنفاذ ذلك كله؛ جلباً للمصالح العامة ودفعاً للمفاسد الشاملة، إذ يبعد عن رحمة الشارع ورعايته لمصالح عباده تعطيلُ المصالح العامة وتحمُّل المفاسد الشــاملة؛ لفــوات الكمال فيمن يتعاطى توليتها لمن هو أهل لها»[1].

٥ ـ الحذر من تسخير انتشــار الإسلام ودعوته لمصالح أحزاب سياســية معينة، أو لتحقيق مكاســب لكتل سياسية متصارعة؛ فلا يعلن الدعاة أنفسهم حـركات سيــاسية، حتى لا يؤدي ذلك إلى طوق الإسلام وقيد العمــل الدعوي، ولكن يجب أن تكون لهم مشــاركة فعالة في التصويت لانتخابات حكام البلاد؛ لأن الحكام إذا تفاوتوا في الفسوق قدَّمْنا أقلهم فســوقاً، لأنّا لو قدمنا غيره لفات من المصالح ما لنا عنه مندوحة، ولا يجـوز تفويت مصالح الإســلام إلا عند تعذر القيام بها، ولو لم يشــارك في هذا وأمثاله لضاعت المصالح بأســرها[2]. وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

٦ ـ حُســن التعامل مع الأزمات، ومنــع قيام التصورات الخاطئة في أذهان المدعوين، بتقديم توضيح لســلوك معين فــي المواقف ذات الاحتمــالات المتعددة فهمــاً، وإثارة روح التســاؤل، وإذكاء الرغبــة في معرفة الخيــر والعلم، وعدم الظهــور في صورة المنهزم أمام الأزمــات، بل الحرص على اتخاذ مواقف حسنة.

٧ ـ حسن اختيار من يقوم بالمهام الدعوية، ولا سيما في أوقــات الأزمات، بحيث يكون ممن يضبط ردود فعله بحكمة تفادياً لما لا تحمد عقباه، فلا بد من ضبط الكلمة في التعامل مع السلطات والمجتمع غير الإسلامي، وضبط أسلوب التعبير والخطاب الموجه إلى المدعوين الذين لم يدخلوا الإسلام بعد، حتى لا تقع مفســدة راجحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

٨ ـ إيجاد القدوة العملية من عموم الدعاة أمام مجتمعاتهم بالمشــاركة الفعالة في الأعمال الاجتماعية الشــاقة، أو في إزالة تحرُّج خاطئ في نفوس أفراد المجتمع المدعوين.

٩ ـ نشــر تعاليم الإســلام الســمحة، مع التركيز على جوانب سموِّ الإنسانية في شعائره، مثل: دعوته إلى العدالة، والمساواة بين الناس، وبغضه للتفرقة العنصرية.

١٠ ـ العمل على وحدة كلمــة الدعاة وصفوفهم، فيقدِّم الإسلامُ للقبائل والأعراق والطبقات المختلفة في البلاد قوةَ الشــعور بالوحدة، ويؤلف بين أبنائهــا، وإذا اعتنق أحدهم الإسلام احتضنه المســلمون في أحضان الجماعة المسلمة، ليصبح عضواً في مجتمع متماســك يشعر الفرد فيه بذاته وكرامته.

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٧٣ ـ ٧٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٤.



الدعاة وصناعة الإبداع

محمد عادل

إن الإبداع الحقيقي يحتـاج لصناعة عقول متحررة من قوالب التكرار ومساوئ الاستنساخ، محلِّقة في رحابة التجديد. والتواصلُ الإيجابي بين الداعية ومَنْ حوله مِنْ خلال توجيه التصورات والمشـاعر نحو البناء وتوفير بيئة موائمة للرقي بالأداء الإبداعي، هي التي تنتج تلك الشخصيات المبدعة.

إن النجاح الحقيقي للداعية يتحقق بمشـاركة الآخرين في صنع أحلامهم ورسـم خريطة آمالهم، بعيداً عن سـلب الأحلام من عقولها وإلباس الآخرين رداء لا يتسع لهم.

الإبداع في الحضارات الإنسانية ضرورة من ضرورات الحياة لتطوير مهارات الإنسان وإثراء معارفه، وتجديد الحياة بالتجارب وكسر الرتابة. المبدع هو القادر على حُسْن الإنتاج والعطاء وتغييـر الواقع نحو الأفضل. والحرمان من الإبداع يمثِّل جريمة حقيقية؛ لأنه يقتل الطاقات ببطء، ويفتح أبواب الجمود الفكري والتبلّد العقلي، ويُفقد الإنسـان الثقة فيما لديه من قدرة على تطوير النفس وتغيير الواقع.

يمضي بعض الدعاة في دعوته بصورة تلقائية وممارسة نمطيـة دون أن يعطي للتجديد حقه، فيغيب عن بصره نداء التغير بداخله وفيمن حوله، وتختفي من دعوته معالم الابتكار ومحفزات الإبداع، فلا يجهد نفسه لكسر الجمود، ولا يتفنن في بناء صرح الإبداع في نفوس الآخرين.

إن الهزيمة الحقيقية التي تحدُث بداخلنا وتقتل ذواتنا، عندما يغدو مبلغ طموحنا هو تقليد الآخرين وتبنّي أفكارهم، بحيث نحلّق حول شـخوصهم، ونبرع في تلقّي الأفكار دون صناعتها، وفي اسـتهلاكها دون القـدرة على توليد أفكارنا الخاصة؛ فتتعطل حواسنا عن العمل، ويُقتل في ذواتنا القدرة على المبادرة والتجديد.

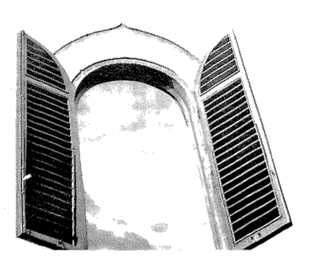
كمـا أن صناعة العقول المأمولة تحتـاج إلى تجرُّدٍ في الصناعـة وإخلاص في العمـل؛ لأن الهوى وحب الذات قد يطغيان على صاحبهما ويدفعانه لصناعة نسـخ مكررة من ذاته، ورسْـم ملامح طموحاته في نفوس الآخرين لتفكر كما يفكر، وتناقش كما يناقش، وتهتم بما يهتم، ولا ترفع رأسـاً ولا تخطو خطوة في غير ما يريد.

الوسـط الدعوي الذي تُشـكِّل فيه (صناعةُ القوالب) أسـاسَ بنائه - حيث يرتدي بعضهـم رداء غيره - لا يتحقق فيه الإبداع ولا تنمو فيه قابلية التعلم، ويُحصر فيه المرء في دائرة ضيقة وحياة رتيبة، ومن الصعب جداً أن يتوفر في بيئة فقيرة في إبداع أفرادها الأداءُ الجيد والمعنويات المرتفعة.

إن تربيـة القوالب لا تُخرِج غير نسـخ مكـررة تتآكل شخصيتها، ويبهت طموحها، ويخفت بداخلها نبضُ الإبداع، وقد تذهب بصاحبها إلى موتِ فكره وضعف عقله.

وفي المقابل؛ فإن الوسـط الدعـوي القائم على مراعاة تميـز الآخرين فـي شـخوصهم وفتح مجـالات التجديد والابتكار، يمنح المشـاركين في هذا الوسط مساحات كبيرة نحو الإيجابية والعطاء كطريق سريع إلى التطور والإبداع.

لا يصح في حسـابات الدعاة التفنُّن في صناعة نسـخ مكررة من ذواتهم، مهما بلغ بهم علو الهمة وارتفعت هاماتهم إلى عنان السماء؛ يدفعهم إلى ذلك معالم الانبهار في عيون متّبعيهم وعلامـات الرضا في نفوس مَنْ حولهم؛ فالطاقات



تتفـــاوت، والهمـــم تختلـــف، والميول والرغبـــات في نفوس أصحابها لا يصـــح إهمالها وتجـــاوزها، ومـــا يوقـــظ هـــمةً أو يحفِّز نفساً قد يميت الأمل في نفوس الآخرين.

لقـــد تميز في جيل الصحابة أبـــو بكر الصديق بورعه، وعمر الفاروق بحزمه، وأبو عبيدة بن الجراح بأمانته، وخرج منـــه أبو ذر الزاهـــد، وابن عباس الفقيـــه؛ والكل قد تربى علـــى مائدة واحدة، وتتلمذ على يـــدي معلم واحد ملهم في صناعته، فريدٍ فـــي تربيته، مؤيَّد بالوحي في خطواته. ومع روعة الانبهار به وعظيم شخصيته وتنوُّع شخوص مَنْ حوله، غير أنه ﷺ أبدع في كســـر قوالب الجمـــود، فأخرج جيلاً متفـــرداً في فكره، متفرداً في عظمة نفوس أصحابه، يحمل كلٌّ منهم عالَماً من التميز الخاص والإبداع الفريد.

كما أن الخوف من سَبْقِ الآخرين لا يعرف طريقاً لقلوب المخلصين من الدعاة، ولا يمنعهم من اســـتفراغ الوسع وبذل المزيد من الجهد لتوليد الطاقات واكتشـــافِ مكامن التميز لـــدى الآخرين، وإفســـاحِ الطريق لبناء معالـــم الإبداع في نفوسهم.

والتواصـــل الإيجابي بين الداعيـــة ومَنْ حوله من خلال توجيه التصورات والمشـــاعر نحـــو البناء وتعلُّـــم مفردات لغة التميز الخاصة واكتشـــاف الذات؛ هـــي التي تنتج تلك الشخصيات الفردية التي تصنع التاريخ.

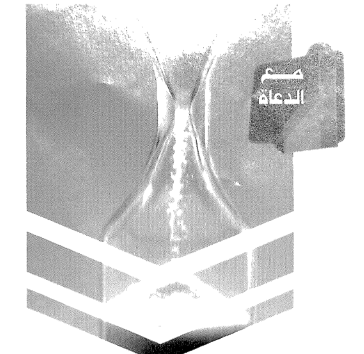
وعندمـــا يفتح الدعـــاة لمن حولهم السُّـــبلَ لتتدفق فيها الأفكار وتنشـــط بها الإبداعات، تبـــرز فيها خيرات النفس التي وضعها الله بداخلنا، لننعم بها وتنعم بها أمتنا.

إن المكســـب الحقيقي للداعية عندمـــا ينجح في غرس بذرة الإبداع في نفوس مَنْ حولَه، وتوفيرِ بيئة موائمة للرُّقيِّ بـــالأداء الإبداعي مـــن خلال جو التفاعـــل، والأخذ بجانب العطاء، والتلقِّي بجانب النقد، والاســـتيعاب بجانب المناقشة وتشـــجيع المناظـــرة وإذكاء روح التنافس، ودفع الآخرين إلى آفاق واســـعة من العطاء الإبداعي والفكري لتجاوز الجمود، وإعطاء حق الابتكار لمن يستحقه، وإطلاق الطاقات الإبداعية مـــن معاقلها، وتحريك النفوس نحو المعالي لتكســـر حواجز الإلف ورتابة الجمود.

وبقدر ما ينجح الدعاة في بناء صروح التميز الخاص في نفوس مَنْ حولَهم، حين يملؤون الأرواح بالثقة في الله وبالثقة في أنفســـهم، فتتجرد العقول من المخاوف وترغب في صنع المستحيل؛ بقدر ما تمتلئ النفوس بالتقدير المضاعف لهؤلاء الصنّاع الذين أقاموا صروح الإبداع في نفوس الآخرين.

بذلك يســـجل الدعاة انطلاقاً متميـــزاً وخطوات مثمرة وجهـــداً مشـــكوراً، والبنـــاءُ الإبداعي لا ينتهـــي إلا بموت الإنسان.

إن النجاح الحقيقي للداعية يتحقق بمشـــاركة الآخرين في صنع أحلامهم ورســـم خريطة آمالهم، واكتشاف مكامن قوتهم لتصبح مصدراً للتعبير عن أرواحهم وخوالجهم، ليس للداعية في ذلك سوى ترشيد الخطوات، وتفجير الطاقات، وتنمية المواهب، وتعليمهم أنماط البناء وقواعد التميز، بعيداً عن سلب الأحلام من عقولها وإلباس الآخرين رداء لا يتسع لهم.



الفرص تــــزول

فيصل بن علي البعداني
albadani@gawab.com

قال محدِّثي: يُذكر أن أحد كبار مشاهير المال في عصرنا سُـئل في إحدى المقابلات: كيف أصبحت مليارديراً؟ فأخرج الثري من جيبه شـيكاً، وناوله لسائله قائلاً له: اكتب في هذا الشـيك المبلغ الـذي تريده، وهو لك! وتحـت وطأة الخجل وصدمة المفاجـأة قال الإعلامي: عفواً؛ فإني لا أقصد ذلك. وعندها استعاد الثري شيكه، وقال لسائله: لقد حانت أمامك فرصة لتصبح غنياً فلم تسـتثمرها، كبقية الناس الذين تلوح أمامهم فرص ثمينة دون أن يستثمروها، أما أنا فأفترق عنكم أني انتهزت الفرص التي سـنحت لي، فصـرت - كما تقول - مليارديراً!

فقلت لـه: إن صحَّت القصة فقد صدق هذا الشـهير، وقـد ورد مثل هذا المعنى في صحيح ابـن حبان وغيره عن أبي موسى الأشـعري - رضي الله عنه - قال: «أتى النبيَّ ﷺ أعرابياً فأكرمه، فقال له: ائتنا فأتاه، فقال رسـول الله ﷺ: سـلْ حاجتك، فقال: ناقةٌ نركبها، وأعنزاً يحلبها أهلي، فقال رسـول الله ﷺ: أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟ قالوا: يا رسـول اللـه! وما عجوز بني إسـرائيل؟ قـال: إن موسى - عليه السلام - لما سار ببني إسرائيل من مصر، ضلوا الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال علمـاؤهم: إن يـوسـف - عليه السلام - لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا: عجوز من بني إسرائيل. فبعث إليها فأتته فقال: دلِّيني على قبر يوسف، قالت: حتى تعطينـي حكـمـي، قـال: وما حكمك؟ قالت: أكـون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة، موضع مسـتنقع ماء، فقالت: أنضِبوا هـذا الماء! فأنضبوه، فقالت: احتفروا! فاحتفروا فاسـتخرجوا عظام يوسف، فلما أقلُّوها إلى الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار»[1].

والأمر في النصوص بانتهاز الفرص واغتنام الأوقات أكثر من أن يُحصر، ومن ذلك:

قولـه - تعالى -: ﴿فَـإِذَا فَرَغْـتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَـى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧ - ٨].

وقولـه - عز وجل -: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِـكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْـرِ مِـنَ الْقَـوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَـالِ وَلا تَكُن مِّـنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقوله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[2].

وقوله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسـاً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[3].

---

(١) صحيح ابن حبان، (٧٢٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٣١٣)، قال الشيخ الألباني - رحمه الله -: (فائدة) كنت استشكلت قديماً في هذا الحديث (عظام يوسف) لأنه يتعارض بظاهره مع الحديث الصحيح: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»، حتى وقفت على حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ لما بدَّن قال له تميم الداري: ألا أتخذ لك منبراً يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك؟ قال: بلى. فاتخذ له منبراً مِرْقَاتَيْنِ». أخرجه أبو داود (١٠٨١) بإسناد جيد على شرط مسلم. فعلمت منه أنهم كانوا يطلقون (العظام) ويريدون البدن كله، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، كقوله - تعالى -: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي: صلاة الفجر. فزال الإشكال والحمد لله، فكتبت هذا لبيانه.

(٢) البخاري (٦٠٤٩).

(٣) المستدرك، للحاكم (٧٨٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥).

وقولـه ﷺ: «بادروا بالأعمال، فتنـاً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسـي كافراً أو يمسـي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيـع دينه بعرض من الدنيـا»[1]. وقوله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمـس من مغـربها، أو الـدخـان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»[2].

والمتأمِّل فـي حال النبي الكريم ﷺ يجـد دون عناء أن اهتبال الفرص واغتنام الأوقات كان هدياً راسخاً وسِمَة ثابتة له ﷺ، ومن شواهد ذلك:

ما رواه المغيرة بن شـعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: «إن كان النبي ﷺ ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو سـاقاه، فيقال له، فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟»[3].

ومـا جاء عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إن كنا لنعدّ لرسـول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم»[4].

وما رواه علقمة قال: «قلت لعائشـة ـ رضي الله عنها ـ: هل كان رسول الله ﷺ يختص من الأيام شيئاً؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق؟»[5].

وقد عظمت مراعاة السـلف لذلك فشـمَّروا عن ساعد الجِدّ في اسـتثمار الفرص واهتبال اللحظات، ومن شواهد ذلك ما جـاء عن أبي هريرة ـ رضي اللـه عنه ـ قال: قـال رسول الله ﷺ: «من أصبـح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر ـ رضـي الله عنه ـ: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر ـ رضي الله عنـه ـ: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسـكيناً؟ قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعْنَ في امرئ إلا دخل الجنة»[6].

وعن ابن مسـعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما ندمت على شـيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيـه عملي» وقال: «إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا، ولا عمل الآخرة»[7].

وقيل لنافع مولى ابـن عمر: «ما كان يصنع ابن عمر في منزله؟ قال: لا تطيقونه! الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما». وقال: «كان ابن عمر لا يصوم في السـفر، ولا يكاد يفطر في الحضر»[8].

وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يقـول: «لـما توفي رسـول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلمَّ نسأل أصحاب رسـول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثيـر. فقال: واعجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي ـ عليه السـلام ـ من تـرى؟! فترك ذلك، وأقبلت على المسـألة، فـإن كان ليبلغني الحديث عن الرجـل فآتيه وهو قائل، فأتوسـد ردائي على بابه، فتسفي الريح عليَّ التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسـول الله! ألا أرسـلت إلـيَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسـألك. قال: فبقي الرجل حتى رآني وقـد اجتمع الناس عليَّ، فقال: هذا الفتى أعقل مني»[9].

وقال الحسـن: «أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم»[10].

وقال الفضيل بن عياض: «أدركت أقواماً يستحيون من الله سواد الليل، من طول الهجعة، إنما هو على الجنب، فإذا تحرك قال: ليس هذا لك، قومي خذي حظك من الآخرة»[11].

وقـال حماد بن أبي حنيفة: «إن مولاة كانت لداود (يعني: الطائـي) تخدمه، قالت: لو طبخت لك دسـماً تأكله، فقال: وددت، فطبخت له دسـماً ثم أتته به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم، قال: اذهبي بهذا إليهم، فقالت: أنت لم تأكل أدماً منذ كذا وكذا، فقال: إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش، وإذا أكلته صار إلى الحش، فقالت له: يا سيدي! أما تشـتهي الخبز؟ قال: يا داية! بين مضغ الخبز وشـرب الفتيت قراءة خمسين آية»[12].

وقال أحمد الرقام: سـألت عبد الرحمن (يعني: ابن أبي حاتم) عن اتفاق كثرة السـماع له وسـؤالاته من أبيه، فقال: ربما كان يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب شـيء وأقرأ عليه. وقـال أبو الحسـن الرازي: وبلغني أنه كان يسـأل أباه أبا حاتم في مرضه الذي توفي فيه عن أشياء من علم الحديث وغيره إلى وقت ذهاب لسانه، فكان يشير إليه بطرفه: نعم ولا)[13].

وإذا كان الشـرع والعقل يدعوان إلى اسـتثمار الأوقات واغتنام الفـرص، وكان العمـر قصيراً، والأحـوال تتبدل،

---

(1) مسلم (118).
(2) مسلم (2947).
(3) البخاري (1078).
(4) سنن أبي داود (1516)، وصححه الألباني.
(5) البخاري (1886).
(6) البخاري (1886).
(7) حلية الأولياء، لأبي نعيم: 1/67.
(8) سير أعلام النبلاء، للذهبي: 10/215
(9) سير أعلام النبلاء، للذهبي: 3/342-343
(10) البحر المديد، لابن عجيبة: 2/401
(11) حلية الأولياء، لأبي نعيم: 2/401
(12) وفيات الأعيان، لابن خلكان: 2/261
(13) تهذيب الكمال، للمزي: 24/388

والأزمنة تمضـــي دون أن تعود، والحاجة جلية إلى إتيان المرء أعمالاً تعود عليـــه بالفلاح وعلى أمته بالرفعة والعزة؛ فلماذا والحالة هذه يتوانى كثير من باذري الخير وسعاة الإصلاح عن اهتبال الفرص الكثيرة السانحة أمامهم، والتي قد تعود على هذا الدين العظيم وهذه الأمة المباركة بالنصر والتمكين؟!

إن غفلة المرء عن اســـتثمار الفرص المتاحة أمامه أو عدم مبادرته إلى اقتناصها قبل أن تزول يعود في الغالب إلى:

- غياب الهدف؛ فالفرص هي مركب المرء وأداته لتحقيق أهدافه؛ فكيف يبحث عـــن مركب أو يقتني أداة من لا هدفَ لديه يسعى لتحقيقه ولا غاية؟!

- الســـلبية وضعف الجِدِّية والشـــعور المتدنِّي بالمسؤولية تجاه النفس أو الأمة. ومن ضعف الباعث لديه ولم يملك قلباً يحترق لإســـعاد نفســـه وإصلاح أمته امتطى بوابة التسويف والكســـل وتوانى عن صعود الصعاب وتحمُّل مشـــاق ارتقاء المكاره.

- الغفلـــة عن النظر والتأمُّل في الآتي ومحدودية التفكير في المســـتقبل؛ نتيجة العيش فـي الماضـــي والتعلق بأحداثه، أو الاشـــتغال بالظرف الراهن واللحظة الآنية، مما حال دون استشراف القادم ومحاولة صنعه أو التأثير في أحداثه.

- الغرق في المشكلات ومعايشـــة عوائق الفعل وضوابط التنفيذ أكثر من التركيز على جوانب الإيجاب وما يمكن فعله، ممـــا حال دون التنبه للفرص الســـانحة ومن ثم عدم التمكُّن من استثمارها.

- اليأس والغرق في التشاؤم. والتجربة مظهرة أن المتشائم يواجه الصعوبات في كل فرصة تســـنح له، بينما المتفائل يجد الفرص حاضرة أمامه في كل صعوبة تواجهه.

- الثقافة السائدة في كثير من مجتمعاتنا المسلمة، والتي تعمق في نفوســـنا مخافة الفشل، ولا تشجع على الجِدِّية في اهتبال الفرص والتعاطي معها.

- طبيعة الفرصة نفسها والتي تأتي في الغالب عائمة غير ظاهرة ولا تبين إلا عقب انقضائها.

- قلـــة التوفيـــق والبركة الناجمة عن تضخيـــم المرء دورَ الأســـباب وقلة التضـــرع والانطراح بين يدي اللـــه - تعالى - والتقصير في طلب معونته وتسديده.

- ضعف المهارة وعدم امتـــلاك أدوات النجاح ومفاتيحه، مما يعيق المرء عن الاســـتفادة من الفرص التي يراها لائحة أمامه. والواقع المعاش والتاريخ بماضيه وحديثه شاهدان على أن أصحـــاب الرؤى الواضحة والرغبـــات الصادقة والنفوس المتفائلة والمهارات الحاضرة هـــم فقط من يتمكن من انتهاز الفرص السانحة.

إن أمتنا - أفراداً ومؤسســـات ومجتمعات - ليست مطالبة فحســـب بانتظـــار الفرص الســـانحة ومن ثم المبـــادرة إلى اغتنامها، بل إنها مطالبة بالقيـــام بزراعتها وتوليدها وتهيئة أســـباب النجاح في اهتـــبالها؛ من خلال ارتباطٍ صادق بالله - عز وجل - ودراســـات معمقة للواقع، ومعرفة عالية بجوانب التأثير وأدواته.

ولو أراد أحدنا أن يتعرف على حجم الإشـــكال وشـــديد الخطورة في هذا الجانب لتســـاءل: كـــم فرصة لاحت أمام الصادقين من أبناء هذه الأمة ولم يتم اســـتثمارها؟! وكم ولَّد عدم الاســـتثمار ذلك في أوســـاط الأمة مـــن جوانب ضعف وأفقدها من عوامل قوة ومفاتيح نهضة؟!

ولـــذا؛ فلا بد مـــن قيام كل مخلص بعملٍ ما في وســـعه لإيقاف هدر اســـتثمار الفرص وعدم الاستمرار في إضاعتها وتوالي فقدانها على المســـتويين الشخصي والجمعي؛ ســـواء ما كان منها ظاهراً نتيجة حضوره ومباشـــرته أو كان شديد الخفـــوت نظراً لكون حدوثه مترتِّبـــاً على تحقُّق عوامل عدة واحداً تلو الآخر.

وختاماً: فإن من تمام صدق أمتنا والوفاء لدعوتنا القول: إن مجالات النهوض كثيرة، والفرص المتاحة للعمل لهذا الدين تفـــوق الحصر في كل مجتمع ومجـــال وبيئة، لكن الغرق في أوحال الترف وضعف الجِدِّية وعدم الشعور العالي بالمسؤولية الدعوية في مجتمعاتنا الغنية، والتعلق بالدنيا والسعي المضني فـــي البحث عن لقمـــة عيش هنية فـــي مجتمعاتنا الفقيرة، إضافة إلى فقر المناهج التربوية، وفقدان الثقة، وشيوع الروح اليائسة، وعدم تشـــجيع ثقافاتنا السائدة للمرء على الجِدِّية وعلـــو الهمة والمبادرة إلى اهتبال الفرص واســـتثمارها؛ مما يزيـــد من عبء نَصَحَة هذه الأمة ويضاعف من مســـؤوليتهم والأمانة المطلوب حملها على عواتقهم.

نســـأل الله - تعالى - أن يســـخِّر لأمتنا من أمرها رشداً، وأن يجعـــل منا مفاتيح خير مغاليق شر، وصلى الله - تعالى - وسلم على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين.





إذاعة طيبة
FM 103

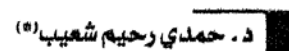
طيبة لأوقات طيبة

FM 103

هاتف ادارة البرامج : +249155184141
هاتف قسم الاعلان : +249155174777
فاكس : +249155184999
الموقع : www.tayba.fm
بريد الكترونى : tayba@tayba.fm
رقم الحساب :3766. بنك التضامن الاسلامى - فرع السوق العربى



ملف أخطائي مع أبنائي



«بينما موسى في قومه يُذكِّرهم بأيام الله ـ أي أيام نعمائه وبلائه ـ فسُئل: أي الناس أعلم؟

فقال: أنا أعلم.

فعتب الله عليه، إذ لم يردَّ العلم إليه جل وعلا.

فأوحى الله إليه: إن عبداً من عبادي بمجمع البحرين ـ أي مكان التقاء البحرين ـ هو أعلم منك.

قال موسى: أيْ ربِ! كيف لي به؟ دُلَّني عليه!»[1].

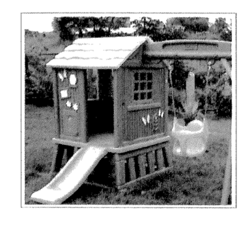
لقد كان موقفاً تربوياً رائعاً أن يعترف موسى ـ عليه السلام ـ بخطئه، ويستجيب سريعاً للعتاب والمراجعة الإلهية. ولهذا كان الموقف الراقي الذي ورثه عنه فتاه يوشع بن نون؛ حينما اعترف أيضاً بخطئه أمام سيده، فخلّده القرآن الكريم بآياتٍ تتلى إلى يوم القيامة:

﴿ فإني نسيت الحُوت وما أنسانيهُ إلا الشَّيطانُ أنْ أذكرهُ ﴾

[**الكهف** : ٦٣].

وكذلك كان اعتراف آدم ـ عليه السلام ـ وزوجه بمعصيتهما؛ وكذلك كانت أوبتهما السريعة للغفور الرحيم:

﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفُسنا وإن لَّمْ تغْفر لنا وترحمنا لنكُونن من الخاسرين ﴾ [**الأعراف** : ٢٣].



• لُمْ نفسك أولاً:

لقد كان من التوجيهات القرآنية الرفيعة؛ أنه إذا أصاب المرءَ مكروهٌ؛ فعليه أن يواجه أخطاءه ولا يبررها، ولا يلتمس لنفسه الأعذار، ولا يهرب من المسؤولية.

وأول خطوة في طريق المواجهة والمراجعات النفسية للبحث عن الأسباب؛ هي أن ينتقد ذاته؛ فيفتش عن أخطائه النفسية وعيوبه الذاتية قبل أن يلوم الآخرين.

وهذا من أبرز الدروس التربوية الراقية؛ التي تعلَّمها الجيل الأول الفريد؛ عُقيب مصيبة أحد:

﴿ أو لما أصابتْكُم مُّصيبةٌ قدْ أصبتُم مثْليها قُلتُمْ أنى هذا قُلْ هُو منْ عند أنفسكُم إن اللهَ على كُل شيءٍ قديرٌ ﴾

[**آل عمران** : ١٦٥].

(*) طبيب واستشاري تربوي من مصر.

(1) رواه مسلم (٤٣) كتاب الفضائل (٤٦) باب من فضائل الخضر، حديث ٢٣٨٠؛ ورواه البخاري (٣) كتاب العلم (١٩) باب الخروج في طلب العلم، حديث رقم ٧٨، وكتاب العلم (٤٤) باب ما يستحب للعالم، حديث رقم ١٢٢ و (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (٢٧) باب حديث الخضر مع موسى، حديث ٣٤٠٠ و٣٤٠١ و (٦٥) كتاب التفسير (٢) باب وإذ قال موسى لفتاه، حديث رقم ٤٧٢٥، و٤٧٢٦ و٤٧٢٧

• **سِمَة بشرية:**

فالخطأ ابتداءً ليس عيباً، بل هو سِمَة بشرية. وكذلك الوقوع في الذنب؛ لأن العصمة للحبيب ﷺ فقط. ولكن العيب هو التمادي في الخطأ، وعدم الرجوع عن الذنب؛ والخيرية لمن تاب وأناب: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(1).

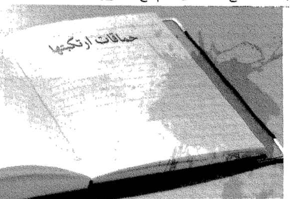
• **قيمة الاعتراف بالذنب:**

ولقد بشرنا الحبيب ﷺ بالقيمة الرفيعة والجزاء العظيم للاعتراف بالذنب:

«سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ [أي: أعترف وأُقرُّ] لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(2).

• **حماقاتٌ ارتكبتُها:**

من اللمحات التربوية الراقية؛ أن تعترف - ولو سراً - بأخطائك مع نفسك أولاً، ثم مع الآخرين.



يقول أحد علماء العلاقات الإنسانية:

(في أدراج مكتبي ملف خاص مكتوب عليه ذلك الشعار؛ وأنا أعتبر هذا الملف بمكانة سجلٍّ وافٍ للأخطاء والحماقات التي ارتكبتها. وعندما أستخرج سجلِّ أخطائي، وأعيد قراءة الانتقادات التي وجهتها إلى نفسي، أحس أنني قادر، مستعيناً بعبء الماضي، على مواجهة أقسى وأشد المشكلات إيلاماً.

لقد اعتدت فيما مضى أن ألقي على الناس مسؤولية ما ألقاه من مشكلات، لكنني وقد تقدمت في السن وازددت حنكة وتجربة؛ أدركت آخر الأمر أنني وحدي المسؤول عما أصابني من سوء، وفي ظني أن كثيراً من الناس يدركون ما أدركت؛ كما قال (نابليون) وهو في منفاه بجزيرة (سانت هيلانه): «لا أحد سواي مسؤول عن هزيمتي، لقد كنت أنا أعظم عدو لنفسي!».

لقد اكتشف (فرانكلين) أن هناك ثلاثة عشر خطأً خطيراً يقترفها على الدوام، وهذه هي أهم ثلاثة منها:

١ - تضييع الوقت سدى.

٢ - الانشغال بالتوافه.

٣ - الجدال.

ويقول (والت ويتمان): (أتُراكَ تعلمت دروس الحياة من أولئك الذين امتدحوك وآزروك، وحَنَوْا عليك؟! أم تعلمتها من أولئك الذين هاجموك وانتبذوك، وقست قلوبهم عليك؟!)(3).

• **كافِئْ أفضل المخطئين:**

من الطريف والجديد أن هذا هو الشعار المبتكر لشركة (بروجان)؛ وهي إحدى وكالات الإعلان في (ديترويت).

فقد تخسر وظيفتك وتدفع منصبك ثمناً لأخطائك؛ لكن الأمر ليس كذلك في هذه الشركة.

فمنذ أربع عشرة سنة أدخلَتْ (ماسي بروجان) مديرة الشركة نظامَ جائزة (أفضل أخطاء الشهر)، والتي من شأنها تكريم الموظفين الذين يعترفون بأخطائهم أمام زملائهم، ويحصل الفائز على مبلغ خمسين دولاراً، وذلك بعد المنافسة مع اثنين من زملائه وبعد تصويت موظفي الوكالة (الستين) في اجتماعهم الشهري على أفضل الأخطاء؛ حتى لا يكررها غيره مستقبلاً.

أليست هذه أفضل وسيلة لتحسين الأداء؟!

لماذا نركز على إبداعاتنا دون هفواتنا؟!

كل الناس يتعلمون من إخفاقاتهم أكثر من إنجازاتهم، ثم إن الاعتراف بالخطأ فضيلة؛ وهذه من سمات القادة(4).

• **الوالد يعترف:**

متى يتعلم الوالدان أن السلوكيات، سواء الحسنة منها أو

(1) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٢٤٢٣. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ.

(2) صحيح البخاري، جزء ٥، صفحة ٢٣٢٠ - ٥٩٦٤.

(3) دع القلق وابدأ الحياة: ديل كارنيجي، دار الندوة الجديدة، لبنان، ١٩٨٧، ٢٣١-٢٣٦، بتصرف.

(4) المختار الإداري (Business Digest)، الشركة العربية للإعلام العلمي (شعاع)، القاهرة، العدد (٣٨)، ١٢ - فبراير ٢٠٠٥م.

السيئة، هي كالمال؛ يتوارثها الأبناء جيلاً بعد جيل، وقبيلاً بعد قبيل؟!

وليس عيباً أن يقف الأب - أو الأم - لحظة صدق مع نفسه؛ ليزيل هذا الحمل الثقيل عن صدره، ولا تأخذه العزة بالإثم، ويريح ضميره؛ فيعترف بأخطائه مع أبنائه؛ ولو سراً على الورق!

فلعله يعين غيره ويحذره من أن يكرر أخطاءه.

وتدبر معي تلك الرسالة الرائعة، من روائع الأدب العالمي؛ وذلك تحت عنوان: (بابا ينسى):

(يا بني! أكتب هذا وأنت راقد أمامي على فراشك، سادر في نومك، وقد توسدتَ كفك الصغير، وانعقدت خصلات شعرك فوق جبهتك الغضة.

فمنذ لحظات خلَت كنتُ جالساً إلى مكتبي أطالع الصحيفة، وإذا بفيض غامر من الندم يطغى عليَّ، فما تمالكت إلا أن تسللت إلى مخدعك ووخزُ الضمير يصليني ناراً.

وإليك الأسباب التي أشاعت الندم في نفسي:

أتذكُرُ صباح اليوم..؟!

لقد عنّفتك وأنت ترتدي ثيابك تأهُّباً للذهاب إلى المدرسة؛ لأنك عزفت عن غسل وجهك، واستعضت عن ذلك بمسحه بالمنشفة..!

ولمتك لأنك لم تنظف حذاءك كما ينبغي..!

وصحتُ بك مغضباً؛ لأنك نثرتَ بعض الأدوات عفواً على الأرض..!

وعلى مائدة الإفطار، أحصيت لك الأخطاء واحدةً واحدة؛ فقد أرَقْتَ حساءك، والتهمتَ طعامك، وأسندتَ مرفقيك إلى حافة المائدة، ووضعتَ نصيباً من الزبد على خبزك أكثر مما يقتضيه الذوق..!

وعندما ولّيت وجهك شطرَ ملعبك، واتخذتُ أنا الطريق إلى محطة القطار، التفتَّ إليَّ ولوَّحت لي بيدك، وهتفت: «مع السلامة يا بابا!» وقطّبت لك جبيني ولم أجبك.

ثم أعدت الكَرَّة في المساء؛ فبينما كنتُ أعبر الطريق لمحتك جاثياً على ركبتيك تلعب «البلي» وقد بدت على جوربيك ثقوب، فأذللتك أمام أقرانك؛ إذ سيّرتك أمامي إلى المنزل مغضَباً باكياً: «إن الجوارب، يا بني، غالية الثمن، ولو كنت أنت الذي تشتريها لتوفرتَ على العناية بها والحرص عليها».

أفتتصور هذا يحدث من أب؟!

ثم أتذكر بعد ذلك - وأنا أطالع في غرفتي - كيف جئتَ تجر قدميك متخاذلاً، وفي عينيك عتاب صامت، فلما نحيت الصحيفة عني وقد ضاق صدري لقطعك عليّ حبل خلوتي، وقفتَ بالباب متردداً، وصحت بك أسألك: «ماذا تريد؟».

لم تقل شيئاً، ولكنك اندفعت إليَّ وطوقت عنقي بذراعيك وقبّلتني، وشددت ذراعيك الصغيرتين حولي في عاطفة أودعها الله قلبك الطاهر مزدهرة، لم يقوَ حتى الإهمال على أن يذوي بها.

ثم انطلقتَ مهرولاً، تصعد الدرج إلى غرفتك.

يا بني! لقد حدث بعد ذلك ببرهة وجيزة، أن انزلقت الصحيفة من بين أصابعي، وعصف بنفسي ألمٌ عاتٍ.

يا الله! إلى أين كانت «العادة» تسير بي..؟

عادة التفتيش عن الأخطاء..

عادة اللوم والتأنيب..

أكان ذلك جزاؤك مني على أنك ما زلت طفلاً؟

كلا! لم يكن مردُّ الأمر أني لا أحبك، بل كان مرده أني طالبتك بالكثير، برغم حداثتك.

كنت أقيسك بمقياس سني، وخبرتي، وتجاربي[1].

• • •

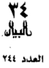
• قف الآن .. وراجع نفسك!

من أجمل اللمحات التربوية أن يحاسب المرء نفسه، وأن يداوم على تقييم وضعه؛ لأن «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[2].

ويروى عن ميمون بن مهران أنه قال: (لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه كما يحاسب

(١) كيف تكسب الأصدقاء؟: ديل كارنيجي - عن رسالة لنفجستون لارند، ٢٦٩-٢٧٢.

(٢) سنن الترمذي، جزء ٤ - صفحة ٦٢٨، رقم ٢٤٥٩، حديث حسن. ومعنى قوله: من دان نفسه، يقول: حاسبَ نفسَه في الدنيا قبل أن يُحاسَبَ يوم القيامة.



شـــريكه: مـــن أيـــن مطعمه وملبسه؟!).

وقـــال عمـــر بن الخطاب - رضي الله عنـــه - : «حاســـبوا أنفســـكم قبـــل أن تحاسَـــبوا، وطالبـــوا بالصدق في الأعمال قبـــل أن تطالَبـــوا، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غداً، وتزينوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

وقال الحسن البصري - رحمه الله -: «أيسر الناس حساباً يوم القيامة الذين حاســـبوا أنفســـهـم لله - عز وجل - في الدنيـــا فوقفوا عند همومهم وأعمالهـم؛ فإن كان الدين لله همّوا بالله، وإن كان عليهم أمســـكوا، وإنما يثقل الحســـاب على الذيـــن أهملوا الأمور فوجدوا اللـــه قد أحصى عليهم مثاقيل الذر؛ فقالوا: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] [1].

والآن.. هل من منصف؟

هـــل من والد - أو والدة - رشـــيد؛ فيَكفّ عن الشـــكوى والصـــراخ وندْب حظه من ســـلوكيات وأخطاء أبنائه؛ فيرى الصـــورة بمنظار آخـــر، ويقـــف لحظات صـــدق فيراجع نفسه..؟!

أي: لِمَ لا يجلس الأب وحده، أو الأم وحدها، أو كلاهما معاً، فيُعين أحدهما الآخر على أن يزيلا هذا الحمل الثقيل عـــن صدريهما؛ ليريحا ضميريهما؛ فيعترفا ولو ســـراً على الورق؛ فيذكرا ثلاثة أخطاء قاتلة ارتكباها في حق الأبناء؟

فلعل هذا الاعتراف يجد مخلصاً كتوماً فيســـجله سراً؛ فينشره على الحائرين الآخرين من الآباء والأمهات، فيحذرهم لعلهم يرجعون عما هم فيه؛ فلا يكررون الأخطاء نفسها.

فَلِمَ لا نتعلم من أخطاء الآخرين؟

وَلِمَ لا نتعلم من تجارب غيرنا؟

فهذا هو مفتاح التطوير والنماء إلى الأفضل.

(١) الياقوتة، جزء ١، صفحة ٨٣، الفصل العاشر.

« لِـمَ لا نتعلم مـن أخطـاء الآخرين؟ وَلِمَ لا نتعلم من تجارب غيرنا؟ فهذا هو مفتاح التطوير والنماء إلى الأفضل »

ومن هنا ســـيبدأ التغيير بعون الله تعالى؛ ســـواء على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي، ثم بعون المخلصين المتعاونين.

والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

• ماذا عن أشـهر الأخطـاء الوالديـة التربوية القاتلة؟!

كانت هذه التجربة الثرية والرائعة عن اســـتبيان سرِّيٍّ وزِّعتُـــه في عددٍ من الدورات؛ التـــي تقيمها (وحدة التنمية البشـــرية) بـ (مركز ولدي الطبي للأطفـــال بدمنهور) على الآباء والأمهـــات، وكان يدور حول: (اذكر - أو اذكري - ثلاثة أخطاء قاتلة ارتكبتها مع أبنائك وندمت كثيراً عليها، وتتمنى ألا يكررها غيرك!).

وكانت نتيجة الاســـتبيان تدور حول هذه الباقة الفريدة من الأخطاء الوالدية التربوية القاتلة في حق الأبناء:

الخطأ الأول: الآبائية:

وهو أن يمارس الوالدان أساليب التعامل التقليدية نفسها وطرق التربية القديمة ذاتها مع أبنائهم، وهي تلك الأســاليب نفسها التي كانوا يُعَامَلون بها من قِبَل والديهم.

بل هي نفسها تلك الطرق التي كانوا ينبذونها وينتقدونها على والديهم؛ حتى وإن كان انتقاداً سرياً.

ونقصـــد بها الموروثات العائلية التي تتحكم فينا عن بعد وكأنها (Remote Control) الريموت كونترول.

• وما أبرز مظاهر هذه الآبائية القاتلة؟

١ - تفضيل الصبيان على البنات:

حتـى ولـو كـانت مجـرد نظـرات، أو لمسـات بسيـطة، أو ابتسامات دفينة؛ فهذه تعطي رسائل قاتلة ومدمرة يفهمها

جيداً الأذكياء الصغار، ويفسرونها بمنظار رؤيتهم وسماتهم الشخصية التي من أهمها حب الذات.

٢ - تفضيل الكبير على الصغير:

حتى ولو بمصاحبته في معظم سفريات الوالدين، ولو بتقريبه من مجالس الوالدين.

٣ - عدم الحوار أو طريقته:

أي إما أن الوالدين لا يسمعان أو لا يتحدثان أو لا يتحاوران مع الأبناء، أو أن طريقة الحوار بينهما تتم بطريقة غير تربوية، مختلة وتقليدية؛ فمثلاً: لا يحدّث الابن والديه إلا واقفاً وليس جالساً، وبعيداً وليس قريباً منهما!

٤ - كثرة الحواجز والقيود والخطوط الحمراء:

ولو بدعوى الاحترام والتقديس والتبجيل؛ فترى الأبناء لا يتجرؤون على محادثة الوالد، أو الجلوس معه أو القرب منه، فتكثر في البيت علامات الممنوع والخطوط الحمراء، وتعيش الأسرة دوماً في ظل قانون الطوارئ.

٥ - كثرة الأخطاء الوالدية الأخرى:

وذلك تأثراً بالأسباب التي ذكرناها.

• فما أبرز أسباب هذه الآبائية القاتلة؟!

١ - الانغلاق البيئي:

وهو أن تتوارث الأسرة قِيَماً أو أعرافاً خاصة بها، ثم لا تستطيع التخلي عنها قيد أنملة؛ بدعوى هذه المقولة الخالدة: (عائلتنا محافظة)، وتعيش الأسرة داخل شرنقتها التي صنعتها بأيديها؛ بحجة (على هذا تربّينا وفلحنا).

٢ - الانغلاق الثقافي:

وهو أن ينغلق الوالدان على ثقافة (معتادة) متهالكة، ولا يجدا الحافز أو الدافع لقراءة الأساليب الجديدة في التربية وفي فن التعامل مع الأبناء، فإذا نبهتهما إلى أهمية الثقافة التربوية في فن الاستثمار في الأبناء، أو دعوتهما لحضور دورة في مهارة التعامل مع الأبناء؛ صدّاك بقولهما: (لا تفلسفوها ولا تعقدوها، بل اتركوها!).

وليت هؤلاء الآباء - والأمهات - صمتوا وما قالوها!

٣ - الانغلاق الاجتماعي:

أي أن يجهل الوالدان فقه الواقع؛ وهو أن يجهل الوالدان فقه الظروف المحيطة بالأبناء، أو أن يتجاهلا مسايرة المتغيرات المستمرة في الزمان والمكان والأجيال.

وتدبّر حكمة علي - رضي الله عنه -: (أدِّبوا أولادكم بآداب غير آدابكم، فإنهم خُلِقوا لزمانٍ غير زمانكم).

• وقفاتٌ مع النفس:

لهذا كان علينا جميعاً - معشرَ الآباء والأمهات - أن نقف وقفات ووقفات؛ لنراجع أنفسنا، ولنفتح ملفات حماقاتنا مع أبنائنا!

ولْنبدأ مشوار نقد الذات بإطلالات تأملية على هذه اللمحات التربوية:

١ - القرآن الكريم ينبذ هذه الآبائية، ويلوم سلوكيات الآبائيين:

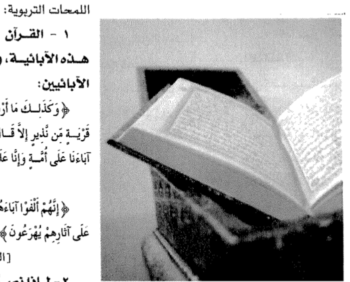
﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩ - ٧٠].

٢ - لماذا نصرُّ على قطع رأس وذيل السمكة؟

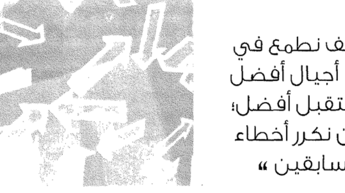
هناك قصة طريفة تحكى عن رجل أكل سمكاً عند صديقه؛ فأعجبه، فذهب إلى زوجته وأخذ يثني على طعم هذا السمك وعلى طريقة طهيه؛ خاصة أنهم يقطعون رأس وذيل السمكة!

فما كان من زوجته إلا أن اتصلت بزوجة صديقه، لتسألها عن سر قطع الرأس والذيل على طعم السمك؛ فأخبرتها أنها تعلمتها من صديقة لها؛ فاتصلت بتلك الصديقة لتعرف السر؛ فأخبرتها أنها تعلمتها من أمها؛ فاتصلت بأمها؛ فأخبرتها أنها تعلمتها من أمها!



" القرآن الكريم ينبذ هذه الآبائية، ويلوم سلوكيات الآبائيين "

فاتصلت بالجـدة العزيزة الذكية؛ فكشـفت لها السـر الكبيـر الـذي أخـذ الجميع يقلدونـه على مر الأجيال، دون محاولة للسـؤال عن السـبب، وقالت الجـدة: إن الموضوع هو أنهـا كانت تقطـع رأس وذيل السمك؛ لأنها كانت لا تملك إلا مقلاة صغيرة لا تستطيع احتواء حجم السمك الكبير.



" كيف نطمع في إيجاد أجيال أفضل لمستقبل أفضل؛ ونحن نكرر أخطاء السابقين "

وهكذا عرفنا السـر العظيم في هـذا التقليد المتوالي والتحجر المتكرر والخالد؛ وهو سـر الآبائيـة ذات الصّور المتعددة؛ إنه التقليد الأعمى؛ وعدم تكلف مجرد عناء السؤال البسيط عن الأسباب.

٣ - هل نحن أغبياء؟

هـذه الآبائية هي صنوان للنمطيـة التي تعتبر من أبرز صـور الغبـاء. لهذا كان (ألبرت أينشـتين) يعـرِّف الغباء بالنمطيـة؛ فيقول: (تعريفي للغبـاء: هو أن تداوم على فعل الأشياء نفسـها بالطريقة نفسها، وتتوقع أن تحصل في كل مرة على نتائج مختلفة).

فقـل لي بربك: كيف سـنتطور، وكيف سـننمو، وكيف سـنتغير، وكيف نطمع فـي إيجاد أجيال أفضل لمسـتقبل أفضل؛ ونحن نكرر أخطاء السابقين؟

يقـول (د. لاري جيه كوينج) مؤسـس أكثر الندوات عن التربية ورعاية الأبناء شهرةً في الولايات المتحدة: عن أخطر الأخطاء السبعة الأساسية التي يرتكبها الآباء في حق الأبناء؛ هو (عدم التعلم من الأخطاء السابقة)[1].

٤ - لماذا نُلدَغ من الجحر نفسه؟!

إنه الغباء.

وإنها النمطية التي هي سـبب دفـين لأي خطأ يتكرر، ولهـذا كان تحذيـره ﷺ: «لا يُلدَغ المؤمن مـن جحر واحد مرتين»..؛[2]. فَلِمَ نستمرئ اللدغ؛ ومن الجحر نفسه؟

٥ - المعالجة السببية:

وهو أن نفتش في أنفسنا فنعرف الأسباب التي ذكرناها؛ لنعالجها معاً.

ولْنتساءل:

(١) هل نحن أسرى لظروف بيئية منغلقة؛ أغلقت عقولنا وقيدت أفكارنا؛ فظلمنا أنفسنا، وأرهقنا أحبابنا؟

فَلِمَ لا نكسر القيود..؟

لِمَ لا نتحرر..؟

لِمَ لا نحرر أنفسنا؛ فيتحرر أبناؤنا..؟

(٢) هل نحن من ذوي الثقافة الضحلة..؟

لِمَ لا نغير أنفسنا..؟

لِمَ لا نحضر دورة في تربية الأبناء؛ فنتطور ونتجدد؟

لِـمَ لا نطالع ولـو كتاباً في تربية الأبناء؛ فنسـموَ على ثقافتنا الرديئة البالية؟

(٣) هـل ما زلنا نصارع مَنْ يكشـف لنا واقعنا، ونقاوم التغيير؟

فَلِمَ لا نفقه ما يحيط بنا وبأبنائنا من ظروف ومتغيرات؛ فنتعامـل معها بمرونـة ورفق؛ فنفهم زمـان أبنائنا، فنفهم سماتهم، ونتفهم سلوكياتهم؟

٦ - لِمَ لا نلجأ إلى الركن الشديد؟

والآن، وبعد أن علمنا الخطأ ومظاهره وأسبابه، فلنحاول الأخذ بالأسـباب لمراجعة أنفسنا والعلاج الذاتي لأخطائنا؛ ولكن هذه المراجعـة الذاتية لا تكتمل إلا باللجوء إلى الركن الشديد سبحانه؛ فندعوه دوماً:

﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِـينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَـهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَـا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَـةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

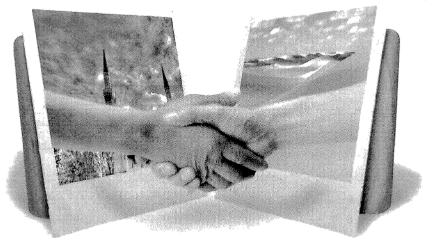
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

(١) التربية الذكية ـ حلول سريعة ودائمة من اجل راحة الآباء وتنمية ثقة الاطفال في أنفسهم: د.لاري جيه كوينج، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤م، مكتبة جرير، الرياض، ٥ ١٧٣، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، رقم ٥٧٨٢، ومسلم في الزهد والرقائق: باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، رقم ٢٩٩٨



الأخوة في الله



ماجد علي حسن حبيب

إن المتأمل في واقعنا المعاصر ليعجب كل العجب لما يرى من انتكاسة في المفاهيم، ومن تفسيرها بغير مدلولها وعدم إعطائها حقها؛ ومن هذه المفاهيم مفهوم الأخوّة في الله.

الأخوّة في الله هي ذلك الرابط المتين الذي يربط بين المحب والمحبوب؛ بسبب قرب المحبوب والمحب من الله عز وجل. ويعرِّف النووي المحبة بأنها: «الميل إلى ما يوافق المحب»، ويزيد ابن حجر: «والمراد بالميل هنا الاختياري دون الطبيعي - الأب والأم وغيرهما - ودون القسري - الإكراه -، والمحبةُ إرادة ما يعتقده خيراً»[1].

ومن القديم كان الناس يحرصون على أخوّة صادق في المحبة ليؤثروه على أنفسهم، وقد كان أبو هريرة - رضي الله عنه - يطلب من الرسول الكريم الدعاء له ولأمه بالمحبة المتبادلة مع المؤمنين؛ فدعا له الرسول ﷺ فقال: «اللهم حبب عُبَيدَك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين...» الحديث[2]، ويقول - تبارك وتعالى -: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلاَّ الْمُتَّقين﴾ [الزخرف: ٦٧]؛ «لأن خلتهم - غير المتقين - ومحبتهم في الدنيا لغير الله؛ فانقلبت يوم القيامة عداوة، إلا المتقين للشرك والمعاصي؛ فإن محبتهم تدوم وتتصل بدوام من كانت المحبة لأجله سبحانه وتعالى»[3]، وقال - تعالى -: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدّين﴾ [التوبة: ١١] أخبر الله في هذه الآية أن الأخوّة مترتبة على التوبة من الذنوب وعلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ويقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿إن المتقين في جنات وعيون ﴿٤٥﴾ ادخلوها بسلام آمنين ﴿٤٦﴾ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴿٤٧﴾ لا يمسهم فيها نصبٌ وما هُم منها بمُخرجين﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨]، مما سبق نلاحظ أن كل خلة تنتهي وتزول إلا خلة المتقين؛ فمن كانت أخوتهم لله وفي الله؛ فإنها تبقى وتستمر حتى بعد دخول الجنة.

• الأصل في الأخوّة[4]:

الأصل في الأخوّة الحب في الله، وأصل الحب في الله أن يكون لكل ما يحبه الله؛ فالله - سبحانه - يحب التوابين والمتطهرين والمحسنين والمتقين والصابرين والمقسطين والمقاتلين في سبيله صفاً.. إلخ، كما أن الأصل في البغض في الله أن يكون لكل ما يبغضه الله؛ فالله - سبحانه - يبغض الظالمين والمعتدين والمسرفين والمفسدين والخائنين والمستكبرين... إلخ. كما أن الأصل في الحب أن يكون عاماً لجميع المؤمنين، ويتفاوت تبعاً لصلاحهم؛ فلا نستطيع أن ننصب العداء لمن وقع في معاصٍ تاب منها أو حُدَّ فيها وما زال في دائرة الإسلام؛ فقد نهى الرسول الكريم ﷺ عن لعن صحابي أقيم عليه حد الخمر - مراراً - فقال: «لا تلعنوه! فوالله ما علمت

(١) فتح الباري (٥٨/١).
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) تفسير السعدي، ص ٧٦٩.

(٤) هذه أخلاقنا حين نكون مسلمين حقا، لمحمود محمد الخزندار، الطبعة الخامسة، دار طيبة، ص ١٦٢ - ١٦٣.

إلا أنه يحب الله ورسوله»[1]، وقد استنبط ابن حجر - رحمه الله تعالى -[2] أن لا تنافي بين ارتكاب المنهي وثبوت محبة الله ورسوله ﷺ في قلب المرتكب للمعصية، وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله.

مما سبق يتبين أن الأصل هو أن لا يكون الحب لذات الشخص وإنما لقربه من الله عز وجل. ويكون الحب بمقدار القرب من الله؛ فكلما كان المحبوب قريباً من الله كان الحب أكبر، وكلما كان العبد بعيداً عن الله كان الحب قليلاً، أي أن الحب موجود وإنما هو في تزايد وتناقص، وقد سمع الرسول ﷺ بعض الصحابة يدعون على رجل سكران أن يخزيه الله (قمة البغض في الله من قِبَل الصحابة لهذا السكران)، وكانت لفتة النبي ﷺ المفعمة بالحب والحنان والرحمة على أصحابه «أن لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم»[3] بدل أن تدعوا عليه فتكونوا عوناً للشيطان على أخيكم؛ لأنه إذا سمع السكران دعاءهم فلربما تمادى في غيه وازداد بُعداً عن الله..؛ ادعوا له بالمغفرة، وتوجهوا إليه بالنصيحة لعل ذلك يعينه على البعد عن معصيته.

• الميزان الضابط لمفهوم الأخوّة في الله:

إن الميزان الضابط لمفهوم الأخوّة في الله، والذي لا يتم الإيمان إلا به، هو ما بينه نبينا الكريم ﷺ في قوله: «والذي نفسي بيده! لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير»[4]، ويعلق الكرماني[5] بقوله: «ومن الإيمان أيضاً أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره ﷺ؛ لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه؛ فترك التنصيص عليه اكتفاءً»، وعلق الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - عند شرحه لهذا الحديث بقوله: «لا يؤمن: يعني لا يكون مؤمناً حقاً تام الإيمان إلا بهذا الشرط: أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، وما يحب لنفسه من ترك الشر..» إلى أن قال: «فإنه لا يمكن أن يغشهم أو يخونهم، ولا يكذب عليهم، ولا يعتدي عليهم، كما أنه لا يحب أن يُفعل به مثل ذلك. وهذا الحديث يدل على أن من كره لأخيه ما يحب لنفسه، أو يحب لأخيه ما يكره لنفسه فليس بمؤمن، يعني ليس بمؤمن كامل الإيمان، ويدل على أن ذلك من كبائر الذنوب إذا أحببت لأخيك ما تكره لنفسك أو كرهت له ما تحب لنفسك»[6].

(١) أخرجه البخاري برقم ٦٧٨
(٢) فتح الباري (١٢/٦٧٨).
(٣) أخرجه البخاري برقم ٦٧٨
(٤) متفق عليه من حديث أنس.
(٥) فتح الباري (١/٥٨).
(٦) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، تحقيق د. محمد محمد تامر (١/٦٤١).

• الصفات التي ينبغي توفرها فيمن نصاحب:

كل مسلم هو أخٌ في الدين لأخيه المسلم، غير أنه لا يصلح كل شخص لأن نطلب صحبته وأخوّته، وإنما هناك صفات يجب توفرها فيمن نطلب صحبته؛ فالرسول الكريم ﷺ يقول: «المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل»[7]، ومن أهم هذه الصفات:

١ - أن يكون مسلماً ملتزماً بدينه قولاً وعملاً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر.

٢ - أن يكون ذا أخلاق إسلامية رفيعة، محافظاً على مكارم الأخلاق. قال الشاعر:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوِّم النفس بالأخلاق تستقم

٣ - أن يكون ذا نفس نظيفة بعيدة عن أدران النقص وعن الرذائل، مستقيماً كما أمر الله ورسوله ﷺ؛ لأنه لا فائدة من مؤاخاة الفاسق والمبتدع؛ إذ إنه لا تُؤْمَن غائلته؛ فهو متغير بتغير الأغراض، وكذلك مصاحبة الفاسق، ورؤية الفسق ومشاهدته، تُهوِّن أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها.

٤ - أن لا يكون حريصاً على الدنيا يعض عليها بالنواجذ؛ لأنها صفات إخوان الدنيا[8]؛ أُخوّةٌ وقتيّةٌ.

قال الشاعر:

ما أكثر الأصحاب حين تعدهم
لكنهم في النائبات قليلُ!

ويمكن أن نستشف مما سبق في كلام الفاروق عمر - رضي الله عنه - حين قال: «عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم؛ فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، وضَعْ أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يقيك منه، واعتزله ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمر دينك الذين يخشون الله تعالى»[9].

فمن ظفر بشخص توفرت فيه هذه الصفات فعليه به، وخاصة أننا نعيش في عصر عزَّ فيه الصديق وقلَّ فيه الرفيق.

• الحقوق المترتبة للأخ على أخيه:

١ - قضاء الحاجات والقيام بها، وهي درجات؛ أدناها القيام بحاجة الأخ عند السؤال والقدرة، لكن مع البشاشة والاستبشار، وأوسطها القيام بالحوائج من غير سؤال، وأعلاها

(٧) أخرجه أبو داود (٤/٢٠٦٢)؛ والترمذي (٤/٥٠٩).
(٨) الأخوة، لجاسم بن محمد الياسين، ص (٩-١١) بتصرف.
(٩) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، ط ، ص ١١٤

تقـديم حوائجه على حوائج النفس. وقد كان بعض السـلف يتفقد عيال أخيه بعد موته أربعين سنة فيقضي حوائجهم.

٢ ـ كفُّ اللسـان والسـكوت عن ذكر عيوبه في حضوره وغيبته، وترك الرد عليه ومماراته وإظهار ما يكره من أحواله، إلا إذا كان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

٣ ـ التسـامح والعفو عن الزلات. واعلـم أنك إذا طلبت منزهاً عن كل عيب لم تجده، ومن غلبت محاسنه على مساوئه فهـو الغاية. وقال ابن المبارك: «المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب الزلات».

تعالوا بنا نطوي الحديث الذي جرى
ولا سمع الواشي بذاك ولا درى
تعالوا بنا حتى نعود إلى الرضا
وحتى كأنّ العهد لم يتغيرا
لقد طال شرح القال والقيل بيننا
وما طال ذاك الشرح إلا ليقصرا
من اليوم تاريخ المحبة بيننا
عفا الله عن ذاك العتاب الذي جرى[٢]

٤ ـ مساندته في السراء والضراء.

٥ ـ كراهية مضرته والمبادرة إلى دفعها، وإن مسـه ما يتأذى به شاركته الألم وأحسست بالحزن لأجله.

٦ ـ أن تسلّم عليه إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمِّته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبرَّ قسمه، وتنصح له إذا استنصحك.

٧ ـ أن تحـب لأخيك النفع وتفرح لوصوله إليه كما تبتهج بالخير يصل إليك.

٨ ـ التناصر بين المسـلمين. قال رسـول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً! قال رجل: يا رسول الله! أنصره إذا كان مظلوماً، أرأيـتَ إن كان ظالماً كيف أنصره؟! قال: تحجزه ـ أو تمنعه ـ من الظلم فإن ذلك نصره»[٣]. قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ عند شـرحه لهذا الحديث: «قال الرجل: يا رسـول الله! أرأيت إن كان ظالماً فكيف أنصره؟ ولم يقـل: فلا أنصره، بـل قـال: كيـف أنصـره؟ يعني سأنصـره ولكن أخبرنـي كيف أنصره، قـال: «تمنـعه ـ أو قال: تحجزه ـ من الظلـم فإن ذلك نصره»، فـإذا رأيت هـذا الرجل يريد أن يعتدي على الناس فتمنعه فهذا نصره بأن تمنعه. ويؤخذ من ذلك وجوب نصر المظلوم ووجوب نصر الظالم على هذا الوجه الذي ذكره الرسول ﷺ» انتهى[٤].

٩ ـ تسهيل الأمور الصعبة.

١٠ ـ الدعاء لهم.

١١ ـ النصيحة. فعن أبـي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن؛ يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه»[٥].

١٢ ـ الوفاء والإخلاص لله لا للبشـر. والوفاء هو الثبات علـى الحب وإدامتـه إلى الموت وبعـده؛ لأن الحب إنما يراد للآخرة؛ فـإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السـعي. وقصة إكرام الرسول ﷺ للعجوز التي كانت تأتيهم أيام خديجة ـ رضي الله عنها ـ خير دليل على ذلك.

١٣ ـ التخفـف وترك التكلـف والتكليف. وفي هذا يقول جعفـر الصـادق ـ رضـي اللـه عنه ـ: «أثقل إخواني عليَّ من يتكلـف وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي مـن أكون معه كما أكون وحدي».

١٤ ـ التزاور في الله. وفـي هذا يقول الرسـول ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة، والشـهيد في الجنة، والصدِّيق في الجنـة، والمولود في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر في الله في الجنة»[٦]. وقال بعض الحكماء: من سـقطت كلفته دامت ألفته. ومن تمام هذا الأمر أن تـرى الفضل لإخوانك عليك لا لنفسـك عليهم؛ فتنزل نفسك منزلة الخادم.

• جملة من آداب المعاشرة للخَلْق:

من حسن المعاشـرة أن تتوقر من غير كبر، وتتواضع من غير ذلـة، وأن تلقى الصديق والعدو بوجه الرضا من غير ذل لهم ولا خوف منهم، وتتحفظ في مجالسك من إدخال إصبعك في أنفك وكثـرة بصاقك والتثاؤب، واصـغ إلى محدِّثك ولا تسـأل الإعادة، ولا تكثر الالتفات إلى الوراء[٧]، واحذر المزاح؛ فإن اللبيب يحقد عليك في المزاح، والسفيه يجترئ عليك[٨].

• سبيل تحقيق الأخوّة:

هناك أمور تؤدي إلـى تعميق أثر الحب والتآخي في الله في نفوس الناس؛ من ذلك أن تحسب حساب أخيك فيما تجره إلى نفسك من نفع أو ترغب بدفعه عن نفسك من مكروه.

ومن الصور المفجرة لمعاني الحب تبادلُ العلاقات الأخوية والإكثـار من الصلات الودية لحديث: «تصافحوا يذهب الغل،

(١) المصدر نفسه، ص (١١٥).
(٢) الأخوة، ص (١٧ ـ ١٨)، مرجع سابق، باختصار.
(٣) أخرجه البخاري، برقم ٦٩٥٢.
(٤) شرح رياض الصالحين، ص (٦٤٢)، مرجع سابق.
(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٣٩)، وحسنه الألباني.
(٦) صحيح الجامع الصغير، رقم (٢٦٠١).
(٧) مختصر منهاج القاصدين، ص (١١٩)، مرجع سابق.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٢٠.



وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء»(1)، وكم تذيب الهدية من رواسب الحقد، وكم يمحو البدء بالسلام من وَحَر الصدر! قال الرسول ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(2)، وإنّ مما يعبر عن صدق الأخوّة وحقيقة الألفة ما تُقدمه لأخيك من دعوات صالحات حيث لا يسمعك ولا يراك، قال - عليه الصلاة والسلام -: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة؛ عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»(3)، ويقول النووي - رحمه الله تعالى -: «وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه بتلك الدعوة؛ لأنها تستجاب، ويحصل له مثلها»(4). وإن مما ينمي هذه الرابطة التبسم والتواضع والتراحم والتعاطف والتواد؛ فلا اختلاف ولا تباغض، القلوب قلب واحد، قال الفضيل بن عياض - عابد الحرمين -: «لأنْ يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسّن خُلُقه معهم خير له من قيام ليله وصيام نهاره»(5).

• ثمرات الأخوّة:

قال - تعالى -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالأخوّة من نِعم الله يهبها لمن يحبهم من عباده ولمن يصطفيهم من أوليائه؛ فالأخوّة شجرة مباركة مورقة مزهرة، تؤتي ثمرها كل حين، ومن ثمرها:

١ - تذوُّق حلاوة الإيمان وحياة السعداء.

٢ - يحيط الله المتآخين فيه برحمته، ويقيهم شدائد يوم القيامة.

٣ - ينال المتآخون في الله الأمن والسرور، ويُعدون في صفوف السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله برضوانه وإحسانه، يقول الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..» وذكر منهم: «ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» الحديث(6).

٤ - استشعار زيادة محبة الله ورسوله ﷺ ووجود حلاوتها في قلب المتآخين في الله.

٥ - الأخوّة في الله عروة الإيمان الوثقى من تمسَّك بها نجا.

٦ - المتآخون في الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة.

٧ - الحب في الله مما يدل على كمال السريرة، والعمل المتقن، وخوف الله ورعاية جانبه، واحترام كتابه وحب سنة نبيه ﷺ.

٨ - الإعانة على طاعة الله تعالى.

» الأخوّة شجرة مباركة مورقة مزهرة، تؤتي ثمرها كل حين «

واعلم أخي الحبيب أن ثمة ثماراً غير ما ذكرنا يطول بذكرها المقام، وقد جعل الله الحب في الله والبغض فيه أوثق عرى الإسلام كما جاء في رواية: «أوثق عرى الإيمان الموالاةُ في الله، والمعاداةُ في الله، والحبُّ في الله، والبغض في الله عز وجل»(7).

واعلم أن الإيمان لا يكمل إلا بصدق هذه العاطفة - كما مر - وإخلاص هذه الرابطة فـ «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان»(8).

ومن أراد أن يشعر بلذة مجاهدة الشيطان وحلاوة التمرد على الأهواء، وعظمة معاني الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، فهذا هو الطريق: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُلقى في النار»(9). وقد جعل الرسول الكريم ﷺ المفاضلة بين الأخوين المتحابين بمدى حب كل منهما لأخيه حيث قال: «ما تحابَّ اثنان في الله - تعالى - إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه»(10)، وإنّ

(1) موطأ مالك (٢/٩٠٨).
(2) صحيح الجامع رقم (٧٠٨١).
(3) أخرجه مسلم برقم (٨٨).
(4) هذه أخلاقنا، (١٦٦-١٦٨)، مرجع سابق، باختصار.
(5) الوفيات (٤/٤٨).
(6) متفق عليه.

(7) صحيح الجامع رقم (٢٥٣٩).
(8) صحيح الجامع رقم (٥٩٦٥).
(9) متفق عليه.
(10) صحيح الجامع رقم (٥٥٩٤).

دخل الشيطان بينهما يوماً من الأيام فليراجع كل منهما قلبه وليحاسب نفسه، لقول الرسول ﷺ: «ما توادّ اثنان في الله فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما»(1).

• **آفات الأخوّة في الله:**

قد يقول قائل بعد كل هذا الفضل والخير المنبعث من رابطة الأخوّة في الله: كيف أحافظ على أخوتي وحبي لأخي في الله؟

اعلم أخي الحبيب أن هناك آفات تعكر على الأخوّة معانيها السامية، عليك تجنبها للمحافظة على أخوتك وحبك لأخيك، أذكرها فيما يلي:

الآفة الأولى: الأثرة:

إن الأَثَرَةَ الغالبة آفة الإنسان وغول فضائله؛ إذا سيطرت نَزْعتها على امرئ محقت خيره ونمّت شره، وحصرته في نطاق ضيق خسيس فلا يعرف فيه غير شخصه، وأما غيره من البشر فهو لا يهتم بهم ولا يلقي لهم بالاً، ولذلك قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس»(2).

الآفة الثانية: التهكم والاستهزاء والسخرية من الآخرين:

وإن مما يمزق أواصر الأخوّة التهكم والاستهزاء والسخرية من الآخرين، وإن هذه الأخلاق تنشأ من جهالة وغفلة، فإن من حق الضعيف أن يُحمل لا أن يُنال منه، ومن حق الحائر أن يرشد لا أن نضحك عليه، وإذا وجدت ذا عاهة أو من عرضت له سيئة فآخر ما يُتوقع من المسلم أن يجعل ذلك مثار تندُّر واستهزاء.

الآفة الثالثة: التفاخر بالأنساب والأموال:

إن مما اتخذه الإسلام لحماية وصيانة الأخوّة بين المسلمين، ومحو الفروق المصطنعة بينهم، توكيد التكافؤ في الدم والتساوي في الحق، وإشعار العامة والخاصة بأن التفاخر بالأنساب باطل؛ لأن أبوّة آدم جمعت الناس تحت نسب واحد. وإن عادة الاستعلاء بالنسب عند العرب غلبت في مجتمعاتهم تعاليم الإسلام ـ أحياناً ـ فكان ذلك من أسباب الإنفاق الخطير في ماضينا وحاضرنا.

الآفة الرابعة: عدم الاحتكام إلى شرع الله في علاقات الناس:

اعلم أخي أن العيش في ظل مجتمع يحكمه الإسلام هو الكفيل الوحيد لاستتباب الروابط بين أفراده واستقامة العلاقات بينهم؛ فالحب يكون لله، والبغض لله، والموالاة لله، والمعاداة لله، والإعطاء لله، والمنع لله ـ كما مر ـ ومن ثم التحاكم يجب أن يكون لله، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

الآفة الخامسة: ترك بعض ما أنزل الله:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «إذا ترك الناس بعض ما أنزل الله، جهلاً أو هوىً، وقعت بينهم العداوة والبغضاء؛ إذ لم يبقَ هنا حق جامع يشتركون فيه؛ بل تقطعوا أمرهم بينهم زُبُراً، كل حزب بما لديهم فرحون»(3).

وهذه الآفات هي التي عبَّر عنها النبي الكريم ﷺ بحالقة الدين في قوله: «فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: هي تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»(4).

وأختم بكلام جميل وقيم للمودودي في رسالته: كيف السبيل إلى وحدة الأمة الإسلامية؟

«لست مبالغاً فيما أقول: إنه لا توجد نظرية، لا في القديم ولا في الحديث، توحد الإنسانية وتصلح أساساً للدولة العالمية إلا نظرية الإسلام.. والإسلام فقط. هذه هي المنهجية الوحيدة التي باستطاعتها أن تجمع بين الناس جميعاً، وتجعل منهم عائلة واحدة يتكون منها مجتمع عالمي وتنشأ عليها دولة عالمية، ولا يمكن للإنسان أن يلتقي مع أخيه على صعيد واحد وينشئ معه علاقات أخوية إلا حينما يشعر في قرارة نفسه بأن الله الواحد هو الذي خلقه، وبأنه مسؤول أمامه، وهو خالقه وخالق الناس جميعاً وربه ورب الناس كافة، خلقه والناسَ جميعاً من مادة بعينها، ويسري في عروقهم دم واحد، ولا فضل لأحد منهم على الآخر لكونه مولوداً من نطفة رجل كذا وكذا، ولا تظن امرأة كذا وكذا، بل الفضل أو الذل، والحسن أو القبح، برهان إلى ما يأتي في الإنسان في حياته من الأخلاق والأعمال، ولم يعرض الإسلام هذا المبدأ على الناس كمجرد نظرية أو فلسفة؛ بل إنه أقام على أساسه مجتمعاً حركياً ساوى فيه جميع البلاد والأجناس والأمم»(5).

وفي الختام نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يجعلنا إخوة متحابين بجلاله، مستظلين بظله يوم لا ظل إلا ظله، وأن يجعل ما كتبْنا حجةً لنا لا علينا، وأن نكون بكلماتنا عاملين، ولجمع شمل المسلمين ساعين، ولإصلاح ذات البين مشمِّرين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

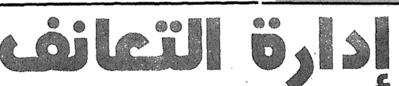
(1) صحيح الجامع رقم (٥٦٠٣).

(2) أخرجه مسلم.

(3) الأخوة، ص (٣٨ ـ ٤١)، مرجع سابق، باختصار.

(4) أبو داود؛ والترمذي، وقال: حديث صحيح.

(5) كيف السبيل إلى وحدة الأمة الإسلامية؟ للمودودي، ص ١٩.



إدارة التعانف

فضيلة الوضوح

(٧-٧)



د. عبد الكريم بكار

www.islamtoday.net/bakkar

يَقْــدَم الواحد منا إلى هــذه الحياة وهو لا يعرف عنها أيَّ شــيء، وســوف يخرج منها وهــو لا يعرف الكثير من الأشــياء، ورحلته بين الولادة والموت زاخرة بأنشطة مكافحة العمــاء و (اللاتكوّن)، إنه كمن امتهن فتح الصناديق المغلقة بشــوق شديد بغيةَ التعرُّف على أسرارها والكنوز التي في داخلها.

إن الله - عزَّ وجلَّ - فطر الإنســان على الخوف من الغموض والالتباس واختلاط الأمور، ولهذا فإنه يرغب دائمــاً في معرفة موطئ قدمــه، لكنه لا يحصل دائماً على ما يريد.

إن الإنســان تعلَّــم من التاريخ، وتعلَّــم من خبرته الشــخصية أن كثيراً مــن العدوان والبغي والشــقاق والنزاع يقع تحــت جنح الظلام وحيــث الافتقار إلى الرؤية الواضحة، ولهذا فإنَّ مســاعينا لإدارة التعانف والسيطرة عليه لن تكتمل من غير جعل الوضوح في كل شــيء جزءاً من تقاليدنا الثقافية وجزءاً من معاملاتنا

وعقودنـــا، ونحن نجد في هذا الإطار أن أطول آية في كتاب الله ـ تعالــى ـ تحدَّثت عن توثيق الديون والإشــهاد عليها؛ ذلك حفظاً للحقوق، ومنعاً للجهالة التي تُفضي إلى الصدام والنزاع.

وهذه بعض الملاحظات في هذا الشأن:

١ ـ على مدار التاريخ كان الإنســان فــي كل مكان من الأرض يعاني من الغموض الذي يسبِّبه قصور النظم اللغوية، حيث إن اللغة ليست أداة للتواصل فحسب، ولكنها قبل ذلك أداة للتفكيــر والفهم والتصور، فنحــن حين نفكِّر نفكِّر عبر جُمل، ونكون وقت التفكير كمن يلقي درســاً على نفسه، لكن المشـكل الأكبر هو أن كل اللغات تعاني مــن نوع من العجز عند التعبير عــن الصفات والكيوف وعــن التدرج الموجود داخل المعنى الواحــد والظاهرة الواحدة. إننا فعلاً لا نعرف كيف نعبِّر عن الفروقات الموجــودة بين القبيح والقبيح جداً والقبيح جداً جداً، كما أننا لا نعرف كيف نعبِّر عن الفروقات بين الجميــل والجميل جداً والبارع فــي جماله، ولا نعرف مدى وقع هذه الكلمات في نفوس الســامعين وهم أنفســهم لا يعرفون كيف يعبِّرون عن ذلك، وهذا شــيء يجعلنا ونحن نتحدث عن الشــيء الواحد نبدو وكأننا نتحدث عن أشــياء مختلفة. وإذا تأمَّلنا في النزاعات القائمة في البيوت وأماكن العمل فســنجد أن قدراً لا بأس به منها ناشــئ من مشكلة قصور اللغة ونظم الفهم والتأويل التي يستخدمها الناس.

قد تقولون: ما الحل لهذه المعضلة؟

الجواب: هــو أنه ليس هناك حلٌّ جــذري ونهائي، لكن يمكــن أن نتخلَّص مــن بعض الغموض فــي التعبير والفهم مــن خلال تحويــل دلالات الكلمات مــن دلالات كيفية إلى دلالات كميــة، كما فعلنا في توضيــح مدى صواب الطلاب فــي اختباراتهم، وذلك حين قلنا: إن (٧٠) تعني (جيد)، وإن (٨٠) تعنــي (جيد جــداً)، وإن (٩٠) تعني (ممتاز) وهكذا.. ويجب إلى جانب هذا أن نصرف جزءاً من وقتنا في شــرح التعريفات والمصطلحات وتوفير فهم مشــترك لكل ما نريد التحدث فيه والنقــاش حوله، فإذا أردنا أن نعرف هل فلان من الناس (ملتزم)، وإلــى أي درجة هو كــذلك؛ فإنَّ علينـا أولاً أن نـعــرِّف الالتــزام وما يشــكل خروجاً عليه، كما هو معروف عند المناطقة حين قالوا: (الحكمُ على الشــيء فرعٌ عن تصوُّره).

٢ ـ ينشــأ الكثير مــن التوتر والظلم والتعانف بســبب الغمــوض في توصيف الحقــوق والواجبات والمســؤوليات والصلاحيات، ومن العجيب أنك تدخل على بعض المؤسسات فتــرى فيضاً من الناس الذين يريك بعضهم بعضاً ثم لا ترى أيَّ إنجاز جيد، بل ترى الكثير من الأخطاء؛ وحين تحاول فهم ما يجري وتحديد الجهة المســؤولة عن الخطأ؛ فإنك تخرج بنتيجة محيِّرة: الكل مســؤول، والكل بريء أو مدَّعٍ للبراءة! والسبب هو تعمُّد الغموض والتسيب حتى يستخدمَ الأقوياء قوتهم من دون أيِّ محاســبة، وحتى يمر كل أشكال التقصير والإساءة دون أيِّ مساءلة من أيِّ أحد!

فــي بعض الأحيان يكون إلى جانــب كل قانون أو نظام مكتــوب قانونٌ أو نظام غير مكتوب، وحين نســأل: هل هذا ممنوع؟ أو شــيء لا يجيزه القانــون؟ يكون الجواب: لا؛ إنه ليس ممنوعاً ـ أي: بحســب القانون المكتوب ـ ولكن ننصحك بعــدم القيام به. لماذا؟ نحن ننصحك. وهذه النصيحة تذكير بالقانون غير المكتوب والذي يطبَّق عند الحاجة. وهكذا هناك خوف وتوتُّر، وظلــم وطغيان، ومع الظلم والطغيان تنمو روح الانتقام بالوسائل غير المشروعة، مما يجعل (إدارة التعانف) في غاية المشقة.

٣ ـ نحــن نعرف أن الله ـ تعالى ـ نهى عباده عن الذهاب مع الظنون والشــكوك التي تشتمل على إســاءات وإدانات للآخرين من غير حجة، وهذا واضح في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا اجتنبُــوا كثيرًا من الظَّنّ إنَّ بعض الظَّنّ إثمٌ....﴾ [الحجرات: ١٢]، وذلك لأن اتِّهام الآخرين ببعض النقائص من غير بيِّنة يثير حفائظهم، ويــؤدي إلى توتر العلاقات معهم، وفــي ذلك ـ قبل هذا ـ ظلم لهــم وعدوان عليهم، ولهذا فإن علينا جميعاً التوقِّي من ذلك، وعلينا إلى جانب هذا أن نبتعد عن مواطن الرِّيبة، حتى لا نســهِّل على الآخرين الوقوع في اتِّهامنا بما ليــس فينا، ويقدِّم لنا رســول الله ﷺ النموذج العملــي في ذلك، حيث ذكر أصحــاب الصحاح أنه ﷺ كان معتكفاً في مســجده، فجاءت زوجه صفية ـ رضي الله عنها ـ تــزوره، فلما رجعتْ خرج معها فلقيــه رجلان من الأنصار؛ فنظرا إلــى النبي ﷺ، ثم مضيا، فقال لهمـــا: «تعاليا! إنها صفية بنت حيي». فقالا: ســبحان الله يا رسول الله! فقال لهما: «إن الشــيطان يجري من الإنســان مجرى الدم، وإني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئاً».

إدارة التعانــف تحتاج إلى اســتقامة وعلــم وفهم وإلى إدراك لروح العصر وتحدياتــه ومتطلباته، وعلينا توفير كل ذلك والعمل به، وإلا فإن من الممكن أن تخرج الأمور عن حدِّ السيطرة، والله المستعان.







البابا يرفض مبدأ الحوار مع المسلمين

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

أرسل عدد من الشخصيات الإسلامية البارزة من السُّنة والشيعة بلغ عددهم ١٣٨ شخصاً؛ رسالة إلى البابا وكل أو معظم أكابر النصرانية في العالم، خاطبوهم فيها بأحبِّ ألقابهم الرسمية إليهم. أرسلوها ـ كما قالت الرسالة ـ بمناسبة عيد الفطر المبارك لهذا العام، وأسموها (كلمة سواء بيننا وبينكم).

رحَّب كثير ممن أُرسِلت إليهم الرسالة بها، لكن البابا لم يرد عليها، بل ترك الأمر للشخص المسؤول عن موضوع الحوار بين الأديان في الفاتيكان. قال هذا الشخص وهو الكاردينال جون لوي تيران، لجريدة فرنسية كاثوليكية يومية في عددها الصادر يوم الجمعة ٢٦ أكتوبر (أي: بعد ثلاثة عشر يوماً من إرسال الرسالة إلى البابا) قال: إن حواراً لاهوتياً حقيقياً مع المسلمين أمرٌ صعب؛ لأنهم ينظرون إلى القرآن على أنه كلمة الله بالمعنى الحرفي. إن المسلمين لا يقبلون أن يناقِش أحد القرآن بعمق؛ لأنهم يقولون: إنه كُتِب بإملاء من الله. يصعب بهذا التفسير المطلق مناقشة محتويات الإيمان»[1].

( ) AMP Report - October 29, 2007
Vatican rebuffs Muslim outreach: Quran cited as the main obstacle.
http://www.amperspective.com/html/vatican_rebuffs_outreach.html

- **هذا كلام مليء بالأباطيل والتناقضات:**

أولاً: كيف تشترط للحوار مع من يخالفك أن يكون موافقاً لك؟ كيف تطلب من المسلم كي يحاورك أن يتخلى عن الاعتقاد بأن القرآن كلام الله - تعالى - وينظر إليه كما بدأتم أنتم تنظرون إلى كُتبكم الدينية على أنه كَتَبها بشرٌ مُلهمون؟!

ثانياً: إن الحوار مع من يخالفك حتى في أهم القضايا أمرٌ ممكن بل هو الداعي إلى الحوار. هو أمر ممكن ما دام المخالف ملتزماً بالمعايير العقلية المتفق عليها بين البشر. فبإمكان البابا - إذن - أن يحاور المسلمين أو أن يرسل إليهم مَنْ يحاورهم نيابة عنه لإقناعهم، مستخدماً تلك المعايير القائلة: إن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله، ويستمع إلى حججهم بأنه لا يمكن إلا أن يكون كلام الله.

ثالثاً: إنه لا معنى لمفهوم الدين إلا كونه رسالة من رب العالمين، ولا سيما إذا كان ديناً يوصف بأنه سماوي. لقد كان هذا هو اعتقاد معظم النصارى ولا يزال هو اعتقاد الكثيرين منهم، أعني: أنهم يؤمنون بأن العهد الجديد هو كلمة الله، وأنه لذلك لا يمكن أن يكون فيه خطأ، وهذا هو سبب اعتقادهم فيه وتسميته بالمقدَّس ومحاولتهم الاهتداء به في حياتهم.

رابعاً: أما الاعتقاد بأن الكتب التي تُسمَّى بالمقدَّسة إنما كَتَبها بشرٌ ملهَمون؛ فأمرٌ اضطُر إليه علماء النصارى اضطراراً بسبب دراساتهم العلمية المتعلقة بتاريخ هذه الكتب وترجماتها وما فيها من اختلافات، حتى قال أحدهم في كتاب من آخر الكتب التي صدرت في هذا الموضوع: إن عدد الاختلافات بين مصادر الكتاب المقدَّس تساوي عدد كلماته[1] وقد كان ما فيها من دعاوى تخالف الحقائق العلمية ما جعل الكثيرين منهم يقولون - وقولهم حق -: إنه لو كان كلامَ الله لما حدث فيه مثل هذا الخطأ؛ لأن الله - تعالى - هو خالق الكون فلا يمكن أن يخطئ في وصفه.

خامساً: لماذا يُطلب من المسلمين أن ينظروا إلى القرآن هذه النظرة النصرانية إلى العهدين القديم والجديد، مع أن دارسي القرآن حتى من غير المسلمين، بل ومن بعض المختصين بدراسة كتبهم المقدَّسة؛ يقولون: إن القرآن هو الكتاب الديني التاريخي الوحيد، وأن محمداً ﷺ هو النبي التاريخي الوحيد؟ ويعنون بالتاريخي: كونه - على العكس من كتبهم - ثابتاً تاريخياً.

كلمة سواء
A COMMON
WORD

» رحَّب كثير ممن أرسلت إليهم الرسالة بها، لكن البابا لم يرد عليها، بل ترك الأمر للشخص المسؤول عن موضوع الحوار بين الأديان في الفاتيكان «

سادساً: إذا كانت الدراسات العلمية قد دفعت النصارى في الغرب إلى الاعتقاد بأن كُتبهم لا يمكن أن تكون كلام الله تعالى، فإن مثل تلك الدراسات قد أكدت للمسلمين أن القرآن لا يمكن أن يكون إلا منزَّلاً من عند الله؛ لكثرة ما وجدوا فيه من تقرير لحقائق كونية ما كانت معروفة في زمن الرسول ﷺ، بل ما كان يمكن لبشر أن يعرفها إلا في عصرنا هذا.

سابعاً: لماذا يكون ما اضطُر إليه النصارى اضطراراً بالنسبة لكتبهم، هو القاعدة التي يقوم عليها بنيان الدين كله؟ لماذا يقال: إن الله - تعالى - يمكن أن يُلهِم بشراً لأنْ يقول كلاماً مقدَّساً، لكنه لا يمكن أن يوحي إلى أحد كلاماً من كلامه هو سبحانه؟ القرآن الكريم يعلِّمنا أن الذين ينكرون أن الله - تعالى - يرسل رُسلاً وينزِّل كتباً لا يقدِّرون الله حقَّ قدْره. قال - تعالى -: ﴿ **وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر مِّن شيء** ﴾ [**الأنعام**: ٩١].

فكأن القرآن الكريم يقول لك: كيف تعتقد أن الله - تعالى - هو الذي خلقك وهو الذي يرزقك ويمدُّك بكل ما يحتاج إليه جسدك، لكنه لا يمدُّك بما هو أهم لك من هذا؛ وهو الهداية إلى ما يقربك منه ويرضيه عنك؟!

ثامناً: ثم إذا كان الإلهام لا يعصم الكلام الملهم من الخطأ، بل يكون قابلاً له، وقابلاً بسبب ذلك لأنْ يُقبَل أو يُرفض؛ فقد زال الفرق بينه وبين كلام أي إنسان غير مُلهَم من المفكرين والفلاسفة والأدباء والسياسيين؛ لأن كل واحد من هؤلاء يخطئ ويصيب؛ فلماذا تضفى القداسة على كتابات الملهَمين ويُدْعى الناس إلى تصديقها ويُبشَّر بها؟!

(1) Bart D. Ehrman Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why.

تاسعاً: يبدو من كل ما ذكرنا أن السبب الحقيقي لرفض البابا وغيره من زعماء النصارى محاورةَ المسلمين؛ هو ضعف موقفهم واعتقادهم بأنهم سيكونون هم الخاسرون في أي حوار ديني علمي.

> " حُبُّ الله - تعالى - مرتبط في الإسلام بحب رسول الله ﷺ "

• **تعليق على الرسالة:**

الحوار مع غير المسلمين أمرٌ تقتضيه طبيعة الدعوة التي نحن مأمورون بها، فأنت لا تستطيع أن تدعو أحداً إلى الحق ثم إذا سألك أو استشكل ما قلت أو اعترض عليه؛ قلت له: هذا فراق بيني وبينك؛ إنك لا تستحق أن تُخاطَب!

والحوار أنواع، والمحاورون أنواع، وقد وجدْنا بالتجربة أنّ أجدى أنواع الحوار هو الذي يكون مع عامة الناس، أعني: مع من ليسوا مفتونين بمنصب أو مال يصدهم عن قبول الحق. لكنه قد تكون هنالك دواعٍ لمحاورة بعض الأكابر ودعوتهم.

إن الوضوح هو أهم سمات الرسالة الموجهة إلى غير المسلمين، وضوحاً لا يقلل من شأنه؛ لكونه بالتي هي أحسن. لكنني وجدت هذه الرسالة مضطربة بين أمرين: بين دعوة النصارى إلى الأخذ ببعض نصوص كُتبهم وفهمها فهماً ترى الرسالة أنه يجعلها موافقة لما في القرآن الكريم، وبين افتراض أن هنالك - فعلاً - أموراً مشتركة بين المسلمين والنصارى تجعل من السهل عليهم أن يتعاونوا ولا يتحاربوا.

تقول الرسالة في فقرتها الثانية:

«.. فوحدانية الله، وضرورة حبه تعالى، وضرورة محبة الجار، تعتبر بالنتيجة الأرضية المشتركة بين الإسلام والمسيحية».

ثم تستدل على الوحدانية في القرآن بقوله - تعالى -: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢]، لكنها لا تكمل بقية السورة! هذا مع أن الواضح من السورة أنّ كونَ الله - تعالى - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، هو لوازم كونه واحداً؛ فالذي ينفي شيئاً من هذه الصفات لا يكون قد وحَّد الله سبحانه وتعالى، والنصارى يعتقدون أن لله ولداً هو كفء له.

ثم تقول الرسالة:

«.. وهكذا؛ استجابة لما جاء في القرآن الكريم؛ فإننا - كمسلمين - ندعو المسيحيين إلى التلاقي معنا على الأسس المشتركة بيننا، والتي هي أيضاً أساسية بالنسبة لديننا وممارسة حياتنا: ندعوهم إلى وصيتَي الحب».

وصيتا الحب كما بيَّنتهما الرسالة هما: حب الله - تعالى - وحب الجار. لكن حب الله - تعالى - الذي تفترض هذه الكلمات أنه مشترَك بيننا ليس هو الحب نفسه، كما يتضح من الرسالة نفسها في أماكن أخرى، وكما يمكن أن يفهمه كل متدبر لها من النصارى؛ فالرسالة تستدل بقوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

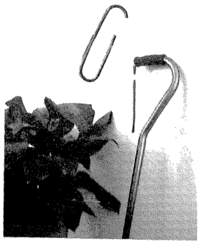
فالآية لا تنفي حب غير المسلمين لله تعالى، لكنها تؤكد أن الإيمان بالله - تعالى - يلزم عنه أن لا يُحَبَّ أحدٌ كحبِّ الله أو أشد، لكن هذا الذي حذّرتْ منه الآية هو مما يقع فيه معظم النصارى؛ لأنهم يحبون عيسى كحبهم لله أو أشد. ولذلك؛ فإن بعض من أرسلت إليهم الرسالة قال: إنها تقلل من شأن عيسى.

إن حُبَّ الله - تعالى - مرتبط في الإسلام بحب رسول الله ﷺ، وهذا أمر أشارت إليه الرسالة نفسها باستدلالها بالآية الكريمة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وعليه؛ فإذا ما نظرنا إلى النصوص الإسلامية نظرة متكاملة تبيّن لنا أنه ليس هنالك من شيء مشترك بيننا وبين النصارى في مسائل توحيد الله - تعالى - وحبه، لكن هذا لا يمنع من التعايش معهم، بل والتعاون معهم في أمور يرونها كما نراها من الخير الديني أو الدنيوي.

وهذا معناه أن الحب الحقيقي الذي يثمر عملاً يرضاه الله - تعالى - لا بد أن يكون مبنياً على اتّباعٍ لرسولٍ أرسله الله تعالى.





العيد البعيد

سلوى عبد المعبود قدرة

قال لها وهو يتوجه بنظراته إلى الأرض: لا تحزني يا أم محمود! للشباب متطلبات.

صمت لحظة.. بلع ريقه.. تابع وهو يهزُّ رأســـه: العمر يتغير دائماً.

رفعت بصرها إليــــه، دموعها كانت لا تزال تجري على خدَّيْهـــا المجهدَيْن.. لم يُخْفِ عنها مـــا يعاني ويصارع من ألم وحزن. تمتمت: لـــماذا يخذلوننا دائماً؟! لم نطلب منهم الكثير! إنهما فقط يومان نريد أن نســـعد فيهما بصحبتهم ونشعر بأنفاسهم.. لماذا يبخلون علينا بهما؟

أخذها النشـــيج فصمتت في استسلام بينما تابع هو: نريد أن نســـترجع في صخبِ حياتهم حياتَنا الماضية. نريد أن نشـــعر بأحضان أحفادنا. لربما يجعلنا هذا نشتاق لهذه الأيام الرتيبة البطيئة القاسية.

وأخذت هي تمسح دموعها.. وشرد هو بعيداً عنها.

تسلَّلت من الكرسي الذي تجلس عليه دون أن يشعر بها واختفت بين جدران المنزل.

لحظات ثمَّ عادت إليه حاملةً ثلاثة أكواب: كوباً من عصير الليمون، وآخر من عصير البرتقال، وثالثاً من عصير العنب.

بذل جهداً ليزيح عن وجهه الكآبة.. ابتسم لها ابتسامة مهزومـــة متحررة وهو يقول مداعباً: أأشـــرب كل هذا؟ ثم إنها ثلاثة أكـــواب يا أم محمود! فلِمَـــنْ الثالث؟ وعدلت من كرســـيِّها لتقابله. مدَّت إليــــه يدها بكوب من عصير البرتقال. عاد يمازحها: وما أدراك أنني لا أريد العنب أو ربما الليمون؟ هزَّت رأســـها تحـــاول أن تجاريه.. ابتســـمت في شحوب ثم همســـت له: هذا ما خلَّفه لنا الأولاد.

رشف رشفة مـن الكـوب ثـم فجـأة سألها: ألا زلـتِ لا تقدِّمـــين لـــي إلا ما يخلِّفه لـــي الأولاد؟ وخنقته العبرة؛ فالتفـــت بعيداً عنها.. وقفت مســـرعة وقد شـــعرت أنها تختنق.. همســـت وهي تغادر: وأنت أيضاً ألا زلت تفرح بما يقدِّمه لك الأولاد؟

ربَّتت على كتفها بحنان وهو لا يدري أيواسيها أم يواسي نفسه الحزينة.. أمسكت بيديه تحتضنهما وتبكي: لم أشبع منهم بعدُ يا إســـماعيل! هذا الرضيع يذكِّرني بـأبيه، وذاك المتمرد يذكِّرني بأمه، وتلك الثائرة المدلَّلة أرى فيها نفسي.. ذاك العالم أحبه.. أحبه، شيءٌ ما في داخلي ينزف الماً، إنهم يتركوننا عاماً كاملاً، ثم يتذكروننا فقط في يوم العيد.

صمتت لحظة ثم تابعت: ألم يكـن العيـد أربعـة أيـام يا إسماعيل؟! لماذا هو في أيامهم يـوم واحـد؟! يوم واحد لا يكفيني.. ما زلت أشتاق إليهم.

ســـكنت هي وتابع هو دون أن يشعر: في أيامهم لا يأتي العيد ســـريعاً.. عليكِ أن تنتظري أياماً كثيرة كثيرة ليعودوا إليكِ.

ولم يجد فائدة من الحديث فصمت.. لعله أشفق عليها فآثر الصمت.. انشغل كلٌّ بعالمه.

فجأة ســـألته: ألا تراهم يشـــعرون بما نشـــعر به؟ أم سرقتهم منا الحياة؟

وكمن اســـتيقظ فجأة من نوم مضطـــرب أجابها: غداً سيشـــعرون بما نشـــعر به.. عندما يكبـــر الأولاد وينحني الظَّهر وتخور القوى وتُســـتنفَد الطاقة، عندها سيشعـــرون بما نشعر.. عجلة الزمن دائرة لا تتوقف.



الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق

الشيخ حارث الضاري:

تقسيم العراق خطر.. وما وراءه أخطر!

حـــوار: خباب بن مروان الحمد

kalhamad@albayan.co.uk

• **حول الهيئة:**

البيان: فـــي البدايـــة نرحب بكم فضيلة الشـــيخ حارث الضاري، ونبدأ حوارنا معكم عن هيئة علماء المسلمين؛ فهل للهيئة أن تطرح مشـــروعها لما بعد الاحتلال وتناقشـــه مع الجماعات المقاومة بحيث تكون هي الواجهة السياسية لهم؟

■ لقد طرحت الهيئة مشروعاً منذ بداية الاحتلال وهي تؤكده دائماً، وهـــو يتلخص في أمور، هذه الأمور التي دعت جميـــع المعارضين للاحتلال وللعملية السياســـية، المقاومين منهم وغيـــر المقاومين، إلى أن تكون هـــي أولويتهم الأولى، وهي تتمثل فـــي تحرير العراق ووحدته وأمنه واســـتقراره، والمحافظة على ثرواته وعلى حدوده الطبيعية، وعلى المساواة بـــين أبنائه، وعلى أن يحكموا العراق هم دون ســـواهم، وأن يشـــترك في حكم العراق كل الذين رفضـــوا الاحتلال؛ من قاوم بسيفه، ومن قاوم بلسانه أو بقلمه، أي: أن يكون العراق لكل العراقيين الشرفاء بكل فئاتهم وطوائفهم؛ الذين رفضوا الاحتلال ورفضوا التقسيم وغير ذلك من مشاريع الاحتلال. هذه هي الأهداف الأساسية لمشروعنا السياسي المستقبلي، ومـــا عدا ذلك من أمور فإنه يمكـــن التفاهم عليها بين أبناء العراق الذين اشتركوا في مقاومة الاحتلال ورفضه.

هـــذه هي الأمور التي تهمهم بعـــد تحرير العراق؛ وهي كيفية إدارة العراق بوصفه دولة وإدارة العراق مســـتقبـــلاً، ولذلـــك نحن لا نحتاج إلى أن نركز على أكثر من الأهداف الرئيسية التي يتفق عليها كل العراقيين الرافضين للاحتلال. كما أننا أيضاً في رسالتنا لإخواننا في أبناء المقاومة وضَعْنا لهم رؤية كاملـــة لما ينبغي أن تكون عليـــه المقاومة في هذه المرحلة وفي المرحلة الثانية التي تلي رحيل الاحتلال، وهي أن يتفقوا على منهج واحد لحُكم البلاد وإدارتها، مع الأخذ في الحسبان أنهم ليســـوا وحدهم الذين سيحكمون العراق، بل كل من شارك في تحرير العراق ولو بشطر كلمة فهو شريك لهم، وهو ممن يستحق أن يشارك في إدارة العراق وفي بناء العراق الجديد؛ عراق المستقبل، عراق ما بعد التحرير.

البيان: كان موقفكـــم في الهيئة ـ ولا زال ـ ضد تشـــكيل شرطة وجيش من أهل السُّنة إلا بشروط معلومة في فتواكم المعروفة. ولكن يدعي بعضهم أن واقع أهل السُّنة تغير كثيراً في الســـنين الماضية، وأن الحال تستحيل أن تستمـــر على ما هـــي عليه، وأن الأمن لا يمكن أن يتحقق في مناطق أهل السُّنة بغيرهم؛ فما قولكم: حفظكم الله؟

■ لم نصـــدر فتوى بمنع دخول الجيش والشـــرطة في أي مرحلة من مراحل سياســـة الهيئة، وأما ما يشاع من أننا أفتينـــا بذلك فهو كلام غير صحيح يشـــيعه المحبطون ومن في قلوبهم مرض. وهذه الإشاعة الكاذبة ـ للأسف ـ انطلت على الكثير ممن نحســـن الظن بهم فـــي الداخل والخارج، فلـــم نصدر فتوى في الماضي، ولن نصـــدر فتوى الآن بعدم دخول الجيش والشـــرطة، ولكننا كنا نحبذ عدم الدخول إلى

الجيش والشرطة لأمرين اثنين؛ أولاً: لأنه يكون قوة للحكومة العميلة التي أنشأها الاحتلال، ثانياً: لأن الجيش والشرطة كانا مستهدَفَيْن من المقاومة، لذلك ما كنا نود أن يُستهدَف إخواننا من خلال الجيش والشرطة؛ لأنهما في عهد هذه الحكومات العاملة في ظل الاحتلال مشاركان للاحتلال في كل جرائمه وفي كل معاركه، وفي كل ما قام به من أفعال إجرامية ضد العراقيين الشرفاء المعارضين للاحتلال؛ وفي مقدمتهم أهل السُّنة.

• تقسيم العراق:

البيان: ما قراءتكم لموضوع تقسيم العراق الذي طرحه الكونجرس الأمريكي ومَنْ مضى في خطِّه الصليبي الخبيث؟

■ قراءتنا لمشروع التقسيم أنه مشروع يلبِّي رغبة صهيونية قديمة، ويحقق أطماع الاحتلال ومن سار في ركبه، وأيضاً هو هدف لبعض الفئات المحسوبة على العراق وهي تعمل جاهدة لتمزيق أوصال العراق. هذه الفئات التي ارتبطت بالاحتلال، بل أسهمت في مجيء الاحتلال للعراق وأسهمت أيضاً في تدمير العراق وتقطيع أوصاله، والعمل على هدم كل ما يرتكز عليه العراق من بنى حضارية وعمرانية، وما يربط أبناءه من وشائج وعلاقات اجتماعية قديمة وأصيلة جعلت من هذا الشعب العراقي وحدة اجتماعية لا نظير لها، لم يفرق بين أهلها في المذهب ولا في العرق على مدى القرون الماضية. لقد واجه أبناء الشعب العراقي بكل أطيافه كل الكوارث والغزوات والاجتياحات التي أصيب بها العراق على مدى تاريخه، ولهذا لا نستغرب أن يثار موضوع التقسيم؛ لأن مخاوف التقسيم لدينا ولدى الواعين من أبناء شعبنا مخاوف حقيقية، وأكَّدها حِرصُ العملاء بعد الاحتلال مباشرة على العمل على ما يؤدي إلى تقسيم العراق، وذلك من خلال الدستور الذي فرضوه على العراقيين بعد الانتخابات المزيفة والتي شهدت الوسائل الإعلامية الأمريكية والمخابراتية على أن هذه الانتخابات كانت مزيفة، كما أن الاستفتاء على الدستور وإمراره كان استفتاء مزيفاً دعمه الاحتلال لتحريره.

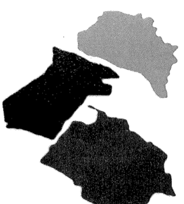
البيان: ولكن - فضيلة الشيخ - هناك من الأحزاب السُّنية الإسلامية من ترى أن الموافقة على الدستور مصلحة وطنية، بل انخرطت في الحكومة العراقية؛ فما رأيكم؟

■ للأسف الشديد بعض من يُنسَبون إلى السُّنة وافقوا على الدستور بقولهم: (نعم)، وكان هذا الموقف من المواقف التي ساعدت الجهات الشريرة الساعية إلى تدمير العراق وزادتهم قوة وإصراراً على التمسك بهذا الدستور المسخ والذي وضعت فيه الكثير من الألغام التي يمكن أن تفجَّر في أي مرحلة وفي أي وقت لتمزيق العراق وتقطيع أوصاله؛ ومنها: موضوع الفدرالية. والفدرالية ما هي إلا وصفة للتقسيم، وإن الذي تبنَّاها يحلم بها منذ زمن قديم وهم الأطراف المهيمنة على الحُكم في ظل الاحتلال والمتمثلة في الأحزاب الشيعية الإسلامية والعَلْمانية والحزبين الكرديين: حزب الاتحاد الوطني الكردستاني لجلال طالباني، والحزب الديمقراطي الكردستاني لمسعود البرزاني، هذه الجهات هي المتمسكة بالفدرالية لحسابات عرقية وطائفية، وقد وُضعت في الدستور إجباراً وعلى غير رضى الكثير من المشاركين في العملية السياسية، فضلاً عن غير المشاركين الذين عارضوا الدستور والفدرالية معاً.

وعليه؛ فلا غرابة في أن يؤيد الدستورَ علناً الأكرادُ السياسيون وقياداتهم بالذات؛ والمتمثلة بجلال الطالباني ومسعود البرزاني، الذين يسعون دائماً إلى الانفصال عن العراق ويسعون دائماً إلى إضعاف العراق وتقطيع أوصاله. والمجلس الأعلى، وإن كان قد اعترض بعض قياداته على مشروع التقسيم الذي قُدِّم إلى مجلس الشيوخ الأمريكي، غير أن هذه المعارضة لا تدل على كُرههم لهذا المشروع؛ لأننا علمنا أن صاحب المشروع المدعو (جوزيف بايدن) كان قد زار بغداد قبل عرض المشروع على الكونجرس بأسبوع تقريباً، وعرضه على القيادة العراقية - كما يسميها - فوافق عليه ممثل المجلس الأعلى ونائب عبد العزيز الحكيم في الائتلاف عادل عبد المهدي، وأيضاً وافق عليه ضِمْناً طارق الهاشمي؛ الذي قال فيما نُقِل عنه الإعلام: إن قلبي يقول: الأفضل المركزية، وعقلي يقول: الأفضل نظام الأقاليم!

ونظام الأقاليم يعني: الفدرالية، والفدرالية تعني: التقسيم، ولذلك أجزم أن القيادة العراقية المشاركة في الحُكم في مجلس الرئاسة ومجلس الوزراء موافقة على هذا المشروع، لذلك لم نفاجأ بموافقة من وافق ولا بمعارضة من عارض ظاهرياً، وإنما المفاجأة هي أن تتبنى الإدارة الأمريكية

هذا المشروع. وإن كانت أرادت أن تخفف وقعه على السامعين وأن تمتص ردود الأفعال الغاضبة العراقية والعربية بقولها: إن هذا الدستور غير ملزم؛ لأن مثل هذا العمل سابقة خطيرة في التعامل الدولي، وهو يعارض كل الأعراف والقوانين الدولية، ولا ينسجم مع أدبيات التعامل بين الدول المستقلة ذات السيادة والأعضاء في الأمم المتحدة؛ فمن الذي أعطى أمريكا الحق في أن تطرح مشروعاً كهذا في تقسيم دولة مستقلة عضو في الأمم المتحدة وعضو مؤسس في الجامعة العربية ولها مكانتها وتاريخها؟ فهي لذلك انتهكت سيادتها بالإضافة إلى احتلالها من قِبَل أمريكا. وعليه؛ فإن هذا المشروع الخطير لَهو نذير شؤم للعراقيين وللعرب الذين ينبغي عليهم أن ينتبهوا إلى ما وراء هذا المشروع من أخطار جسيمة عليهم وعلى المنطقة كلها.



«مشروع تقسيم العراق ما هو إلا وصفة يراد لها التعميم في المنطقة»

البيان: ما أثر التقسيم على المنطقة؟

■ قلنا: إن هذا المشروع يمثل خطراً كبيراً على المنطقة كلها؛ لأن مشروع تقسيم العراق ما هو إلا وصفة يراد لها التعميم في المنطقة؛ فإذا سلَّم العراقيون بهذا التقسيم واستجابوا له، وتوفرت الأسباب لهذا التقسيم لا سمح الله؛ فإن هذه الوصفة إذاً تجربة ينبغي أن تُعمَّم على دول المنطقة وذلك في إطار ما يسمى بالشرق الأوسط الجديد، أي: المقسم المجزأ الذي لا يلتقي كل طرف منه بالطرف الآخر، وبذلك يتحقق حلم الدولة الصهيونية بتمزيق المنطقة وسهولة الهيمنة عليها، اقتصادياً وسياسياً، وإبقائها في دائرة الضعف والتخلف إلى ما لا نهاية.

البيان: ما الحل الذي ترونه لمقاومة مثل هذه المشاريع؟

■ الحلول كثيرة، وبعضها متَّبع الآن؛ وأول هذه الحلول يعتمد على الرفض الشعبي العراقي، وهو الآن وبفضل الله متصاعد، وبلغ عدد الرافضين من أبناء الشعب العراقي ما يزيد على (٩٠٪) سواءً للاحتلال أو للتقسيم، وقد ظهرت دراسة أمريكية قبل فترة قريبة تقول: إن العرب السُّنة والشيعة رافضون للتقسيم. ولذا؛ فإن من الأسس الرئيسية التي نعتمد عليها هو الرفض الشعبي الحقيقي لمشروع التقسيم من قِبَل العراقيين كلهم وبكل أطيافهم، والحمد لله. ثانياً: نعتمد على المقاومة العراقية التي تقاوم الاحتلال لطرده وطرد كل مشاريعه الخبيثة؛ وعلى رأسها التقسيم. ثالثاً: نعتمد على الإعلام الذي نريد من خلاله أن نستنفر كل القوى الوطنية العربية والإسلامية، وكذلك المسؤولين العرب والمسلمين، إلى أن يقفوا في جانبنا في رفض هذا المشروع والقضاء عليه بعون الله تعالى. ولقد لمسْنا ـ والحمد لله ـ استجابة كبيرة من إخواننا العرب والمسلمين حكاماً ومحكومين، في رفض هذا المشروع الخطير، لذلك نعمل نحن ومن معنا من العراقيين الوطنيين ـ الذين يعملون لرفع شأن بلدهم وحمايته من التقسيم وغيره ـ على إدامة صِلاتنا بإخواننا العرب، واستنهاض هممهم أكثر فأكثر ليقفوا أمام هذا المشروع، وليُفهموا الأمريكان ومن وراءهم أن العراقيين والعرب جميعاً بل والمسلمين يرفضون تقسيم العراق الذي لا يلبِّي إلا رغبة أعداء العراق وأعداء الأمة، وفي مقدمتهم الصهاينة.

البيان: إذا وقع التقسيم ـ لا سمح الله ـ فهل تعتقدون أن هذا التقسيم سيستمر إلى ما لا نهاية؟

■ أنا لا أعتقد أن هذا التقسيم سيقع، ولا سيما بالنسبة لمنطقتَيّ الجنوب والوسط والكثير من أجزاء الشمال، أعني: المنطقة العربية؛ لأن المزيج الاجتماعي لسكان العراق في هذه المنطقة ليس سهلاً اختراقه، وليس من السهل تقسيمه على حسب رأي وذوق دعاة التقسيم من أصحاب العملية السياسية، ولو كان بإمكانهم أن يقسِّموا العراق لقسَّموه منذ سنتين؛ فهم وبعد فرضهم فقرة الفدرالية في الدستور المزيف، أرادوا مباشرةً أن يعملوا على التقسيم، ولكنهم لم يستطيعوا. وما يجري اليوم في الجنوب خير دليل على أنهم عاجزون عن تحقيق هذا الحلم الخبيث؛ فإخواننا في الجنوب بأغلبيتهم الساحقة اليوم رافضون لهذه الفدرالية، بعدما انكشف لهم أن القيادات التي تكلّمت باسمهم وادّعت رفع الظلم عنهم هي اليوم تقف وراء مأساتهم ووراء الاغتيالات، ووراء الحرمان الذي أصاب غالبية أهل الجنوب وأوصلهم إلى حالة مأساوية لم يشهدوها على مدى تاريخهم الحديث.

وإذا حدث - لا سمح الله - أن قُسِّم العراق بالقهر؛ فإن هذا التقسيم لن يدوم بعون الله تعالى؛ لأن العراقيين مرّوا بتجارب كثيرة مماثلة أو مقاربة لما مرّوا به اليوم، وخرجوا منه صفاً واحداً ويداً واحدة وكلمة واحدة.

• صفوف المقاومة:

البيان: مما لا شك فيه أنّ وحدة الصف بين الجماعات المقاومة مطلب شرعي، وقد كانت هناك مؤخراً بعض الدعوات لتوحيد الصف؛ فما جدوى ذلك؟ وما توجيهاتكم لتحقيق هذا الأمل؟

■ كنا نود منذ البداية - وقد دعونا إلى ذلك ولكن ليس من خلال وسائل الاعلام، بل من خلال وسائلنا الخاصة - توحيدَ جهود المقاومة وتوحيد أهدافها ووسائلها، وتشخيص العدو الأساس ومن يساعده، وحصر الجهد على هذين العدوين: الاحتلال ومن يساعده، وأن تكون المقاومة منضبطة بضوابط الشرع ومتقيدة بمصالح العراق والأمة؛ من حيث إن العراق يتألف من مزيج متنوع ومن أطياف مختلفة ومتنوعة دينياً ومذهبياً وعرقياً وسياسياً؛ فكنا دائماً نُلِحُّ على هذا، ولكن كنا نتمنى اللقاء من خلال مجلس للتفاهم وللحوار أو مجلس للتنسيق، وألا يصل ذلك إلى الوحدة الاندماجية؛ وذلك لما في الوحدة الاندامجية من المخاطر التي منها ضعف العمل لاعتماد بعضها على بعض إذا توحدت، ومنها أيضاً الخوف عليها من أن تُخترق؛ فإنها إذا اختُرقت وهي مجتمعة فسيكون الخرق لها كلها. أما إذا كانت مستقلة بعضها عن بعض قد يكون الخرق لفئة دون أخرى، أو لفصيل دون الفصائل الأخرى. لهذه المحاذير وغيرها كنا نود أن تكون الوحدة في إطار التفاهم أو في إطار مجلس للتنسيق لتحقيق الأهداف التي ذكرناها آنفاً.

البيان: نريد تقييماً لواقع الحركات الجهادية في العراق في نظركم، ومدى شعبية هذه الفصائل في العراق؟

■ لا نريد أن نتكلم في هذا الموضوع حتى لا نميِّز فصيلاً على آخر؛ فكلها عملت وكلها أحسنت، وبعضها وقع منها ما يسيء؛ فمن يعمل خيراً فخيره يُرى، ومن يعمل غير ذلك فعمله أيضاً يراه الناس؛ لذلك لا أرى من المصلحة أن نثني على فصيل دون فصيل، أو نميز فصيلاً على فصيل.

البيان: هل لك أن تطلعنا على حقيقة الصحوات التي انتشرت في نواحٍ عديدة من العراق؟ هل الذين دخلوا في الصحوات خونة لدينهم وأمتهم؟ أم أن الواقع المعاش من ظلم وحيف وانفلات أمني وصل بالناس إلى هذا الحد؟

■ الصحوات التي نشأت في العراق والتي طبَّل لها الإعلام وزمَّر تنقسم إلى قسمين: منها صحوات ضد ما أصاب هذه المناطق من عسْفٍ وجوْرٍ من الحكومة وغيرها، هؤلاء انتفضوا للدفاع عن أنفسهم من غير أن يستعينوا بالاحتلال، فهؤلاء معذورون؛ لأنهم في موقف الدافع للصائل، ودفع الصائل في الشرع جائز مهما كان هذا الصائل مسلماً أو غير مسلم. أما النوع الثاني وهي الصحوة التي يطبل لها الاحتلال وعملاؤه، فهذه غفوات وليست صحوات، وبخاصة ممن رضيت لنفسها أن تعمل مع الاحتلال.

• الواقع الشيعي والإيراني:

البيان: ما آخر طموحات التيار الإيراني في العراق؟ وكيف تنظرون إليها؟ وخصوصاً بعد قول زعيمهم الرئيس (نجاد): إنهم سيكونون ممن سيملأ الفراغ بعد الانسحاب الأمريكي من العراق؟

■ الإيرانيون لا يريدون فرصة احتلال العراق أن تضيع عليهم، ولذلك جدُّوا منذ بداية الاحتلال لدخول العراق بشتى الوسائل الممكنة، ومن خلال حلفائهم في العراق: (المجلس الأعلى)، و (حزب الدعوة)، و (التيار الصدري)، و (جلال طالباني)، وغيرهم والذين كانوا حلفاء قدماء لهم أو حالفوهم بعد الاحتلال، وعملوا كثيراً على أن يكون العراق بعيداً عن أمته ودائراً في فَلَك إيران والنفوذ الإيراني، من خلال أن تحكمَه شخصية من الشخصيات الرئيسة الحليفة لإيران كعبد العزيز الحكيم أو جلال الطالباني أو إبراهيم الجعفري أو من سواهم، أو من خلال تقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام؛ ليضعف العراق ويخرج من ميدان منافسة إيران في المنطقة، ولكي تكون الفدرالية الجنوبية أو القسم الجنوبي من العراق بيد إيران من خلال حلفائها؛ لتستحوذ على خيراته ونفطه؛ ولتتحكم من خلاله بمنطقة الخليج حتى تستطيع التأثير على دول الخليج ومن ثم تسويق النفوذ الإيراني للمنطقة بواسطة حلفائها وأتباعها في دول الخليج. وما تصريحات نجاد إلا دليل على هذه الرغبة، بل تجاوزوا ذلك حينما قالوا مؤخراً - على لسان نجاد ووزير خارجيته -: إن إيران مستعدة لملء الفراغ إذا رحل الاحتلال. فهذه التصريحات من المسؤولين الإيرانيين وعلى رأسهم الرئيس أحمدي نجاد تدل

علـى ما ذكرنا من أن إيران لا تريد أن تضيع فرصة احتلال الولايـات المتحدة الأمريكية للعراق وضعف هذا الأخير دون أن تحقق الأهداف التي ذكرناها.

البيان: ما حقيقة ما يقال عـن حزب الله في العـراق؟ وما أجندته وحساباته في رأيكم، إن كان له وجود؟

■ هناك كلام كثير حول وجود مجاميع من حزب الله في العراق، وأنها تقوم بأعمال المخابرات والاستطلاع والتدريب لبعـض الفئات، ولا سـيما جماعات من التيـار الصدري، وقد أكدت هذا مصـادر مخابراتية عراقية وأجنبية، بل إنه قد قُبض على شـخص نُسِـب إلى حزب الله من قِبَل قوات الاحتلال، وهو معروف لدى المتابعين لهذه التطورات.

البيان: نشـهد تضامُناً بين حزب الصدر وحزب الحكيم في العراق: فماذا يعني ذلك برأيكم؟

■ لا يعني ذلك شـيئاً؛ لأن هـذا التضامن لا يخرج عن كونـه تضامناً مظهريـاً دعت إليه ظـروف معينة، أو ربما اسـتجابة للممارسات أو الضغوط الخارجية على الطرفين، وإلا فإن الطرفين لا يلتقيان، والعداء بينهما مسـتحكم وهو الآن في أشد حالات تأزّمه؛ إذ نرى خصاماً واشتباكات تندلع بين الفينة والأخـرى في محافظـات الجنـوب - وحتـى في بغداد - بين ميليشيات الطرفين، وقد تتطور هذه الاشتباكات إلى حرب مسـتعِرّة بينهما؛ لأن كلاً منهمـا يعد العُدة للقاء الآخر، وذلك في إطار التنافس على النفوذ لقيادة الشـيعة في العراق والاسـتئثار بحُكمه، أو علـى الأقل حُكم مناطق الجنوب.

البيان: كان لكـم موقـف ثابت بقولكم: إن المشـكلة في العراق ليسـت طائفية بل سياسـية! فكيف تعللون انقسام المجتمع العراقـي تبعاً لخلفيّته الطائفيـة وما تلا ذلك من مذابح رسـمها المحتل وأعوانه؟ وما الضير من الإقرار بأن المشكلة طائفية؟

■ قلنا من البداية: إن المشـكلة ليسـت طائفية حقيقة وإنما هي سياسـية ولا زلنا نقول ذلك؛ لأن هذا هو الواقع. وهذه هي الحقيقة فيما نراه، وقد نطق بها اليوم معارضونا من أصحاب العملية السياسـية الذين كانوا يخطّئوننا حين نقول: إن الخلاف سياسـي وليس مذهبياً أو طائفياً، فقالها الدكتور عدنان الدليمي الذي طالما عارضَنا في هذا وأقرّ به قبل أيام، بل قالها قبل بضعة أيام رئيس وزراء العراق الحالي نوري المالكي، وهو ما قلناه سـابقاً منذ ثلاث سنين واعترف به معارضونا اليوم وأقروا به لسبب أو لآخر. أما الضير في القول: إن المشـكلة طائفية، فلا نريد أن نعمِّمها؛ لأن الفتنة لم تكن عامة، بـل كانت محصورة في فئـات معينة؛ فئات طائفية مدفوعـة من قِبَل الاحتلال وعملائـه، والمخابراتُ الإيرانية كانت تقف وراءهـا وكذلك الأحزاب؛ لتدفع هؤلاء الأغرار والسـذَّج والجهلاء والمأجورين من هذه الطائفة أو تلك ليوسِّعوا الفتنة وليصِلوا بها إلى مستوى الحرب الأهلية العامة، ولكن لم يتحقق لهـم ذلك. فلو قلنا: إنها طائفية أو مذهبية في ذلك الوقت، لربما أسـهمنا في تعميمها، ولربما فرِح أولئـك الذين كانوا يخالفوننا حينمـا نقول: إن الفتنة سياسـية وليسـت طائفية، ولقد أثبت الواقع بأنها سياسية وليست طائفية، وذلك بتلاقي أبناء شعبنا شيعةً وسنةً اليومَ على عداء الاحتلال وعملائه وعلى معارضة مشاريعه؛ وعلى رأسها الاحتلال، وأكثر من ذلك على معارضة مشاريع إيران وتدخُّلها في العراق، فاليوم أبناء العراق من شـيعة وسـنة يلتقون ويتصافحون ويتكلمون باسم العراق، ويحملون معاً هَمَّ العراق وهمَّ تحريره وتوحيـده، وهمَّ الخلاص من الاحتلال وعملائه.

البيان: هـل تقلّصت بالفعل العمليات الطائفية التي تقوم بها الميليشيات الشـيعية في العـراق ضـد أهـل السُّنة؟ وما السبب في ذلك؟

■ نعم! تقلصت ولكن نسـبياً، والسبب الرئيس في ذلك أن الاحتـلال والأحزاب المشـاركـة فـي حكومـته أيقنوا أنه لا يمكن أن يحققوا مشـروع التقسيم، ولا مشروع الفتنة الطائفيـة بعد عملِهم على هذا ما يقارب من ثلاث سـنين، وبعد عجْزهم عـن مقاومة المعارضة العراقية لهم، بعد هذا كله اقتنعوا أن مشـروع الفتنة غير مجدٍ وأنه قد فتح عليهم أبواباً من الشـر والإزعاج أضعف الطرفين، ولذلك أوعزوا إلـى كثير من فِرَق الموت التابعة لهم بالتوقف، كما عملوا مع الاحتلال والحكومة على كَبْح جِماح بعض الميليشيات المنفلتة التابعة لبعض الأحزاب المشـاركة في الحُكم؛ لذلك تقلصت نسـبياً الأعمال المسيَّسـة طائفياً والتـي كان يقف وراءها الاحتلال وعملاؤه.



• السُّنة والقضايا السياسية:

البيان: هل حققت العملية السياسية لأهل السُّنة شيئاً في ظل الاحتلال؟ ولماذا؟

■ لم تحقق العملية السياسية لأهل السُّنة أولاً، ولا لأهل العراق جميعاً ثانياً؛ الأهدافَ المرجوة؛ لأنها عملية فاشلة لم تقدم أي شيء لأبناء العراق، بل أسهمت في تدمير العراق، وتدمير بناه العمرانية والبشرية وكل النواحي الحية فيه: التعليمية والصحية والخدمات. وكل ما من شأنه أن يُنشئ دولة قضتْ عليه العمليةُ السياسية. فالعملية السياسية عبارة عن سُلطات مسيَّرة أعطيت لهذه الفئة أو تلك، وقد هيمنت بعض الأطراف على بعض، وأقصى بعضها بعضاً في ظل الاحتلال، ولم يقدم الجميع شيئاً للعراق ولا للعراقيين، وإنما كانت عبارة عن مكاسب للمشاركين فيها من الأحزاب والفئات السياسية ليس إلا.

البيان: ما موقفكم من مهاجمة تركيا كردستان العراق؟ وما التصور السُّني لحل المشكلة الكردية؟

■ نحن لا نريد اجتياح أي بلد خارجي للعراق، ولكننا في الوقت نفسه نعطي الحق لتركيا في أن تدافع عن نفسها وعن حدودها وعن أمن مواطنيها ضد كل عدوان، شأنها شأن أي بلد يُعتدى عليه، ولكنا طلبنا في بياننا الذي أصدرناه في بداية الأزمة من الإخوة الأتراك أن يحاولوا حلَّ القضية حلاً سلمياً حوارياً، وألا يلجؤوا إلى السلاح وإلى الحرب؛ خشية أن يُؤذى إخواننا الأكراد الآمنون في الشمال. أما الحل للقضية الكردية فنرى أنه لا يمكن أن يكون إلا من خلال تفاهم وطني عام، وهذا لا يكون إلا بعد رحيل الاحتلال. أما أن تُفرض الحقوق الحقيقية والوهمية - أحياناً - على الآخرين بالسلاح وبقوة الأجنبي؛ فأعتقد أن هذا الحل مرفوض ولا يدوم طويلاً؛ لذلك نرى أن الحل يكون في التفاهم فيما بين العراقيين، ويعطى من خلاله كل ذي حق حقه بطِيب نَفْس وتحت أي عنوان تقتضيه المصلحة العامة؛ مصلحة العراق أولاً، ثم مصلحة الفئة أو الفئات التي تدّعي أن لها حقاً مغصوباً.

البيان: تزعم الحكومة العراقية أن جهود المصالحة الوطنية أثمرت؛ فما مدى صحة تأثير ذلك في تقديركم؟

■ لا توجد أصلاً مصالحة وطنية، وليس لها أي نتائج ملموسة في أرض الواقع. المصالحة الوطنية هي شعار سياسي استهلاكي أرادت الحكومة أن تغطي به سوأتها، وإلا فإن أكره ما تكرهه هو المصالحة الوطنية؛ لأن المصالحة الوطنية تعني: إنصاف الجميع، وإنصافُ الجميع قد يحدّ من سُلطات الحكومة وسلطات المتنفذين في الشأن العراقي. فما المصالحة الوطنية التي تتكلم عنها الحكومة إلا مصالحة إعلامية لا وجود لها إلا من خلال الإعلام؛ لتُقنِع العرب وغيرهم من المهتمين بالشأن العراقي أنها تسعى إلى المصالحة الوطنية، والواقع أنها لم تتقدم خطوة في عمل أي شيء تُبنى عليه عملية المصالحة الحقيقية؛ فلا السجون انتهت، ولا الإعدامات والمتابعات انتهت، ولا الاحتلال حُدِّد له موعدٌ لرحيله، ولا الدستور أعيد النظر فيه، ولا أي شيء من المفرزات السيئة والخطيرة التي أفرزتها العملية السياسية الفاشلة صُلِّح أو عُدِّل. إذاً؛ أين المصالحة الوطنية التي تزعمها الحكومة الحالية؟! وبالمناسبة فإن الحكومة الحالية هي أظلم وأفشل حكومة في سلسلة الحكومات التي توالت على العراق في ظل الاحتلال.

البيان: ما رؤية الهيئة للدور التركي الفاعل في العراق؟ وكيف يمكن الاستفادة من قوة تركيا الإقليمية وتسخيرها في دعم وحدة العراق واستقلاله في ظل مشروع التجزئة الأمريكي؟

■ كل دول جوار العراق عدا إيران يمكنها أن تُسهِم في وحدة العراق من خلال الضغط على الفئات المتنفذة فيه، والتي تطمح إلى تمزيقه تنفيذاً لأجنداتها الخارجية. تستطيع دول الجوار بما فيها تركيا أن تساعد على وحدة العراق، وأيضاً تساعد على حل الإشكال العراقي من خلال علاقاتها بأمريكا ونُصْحها لها من ناحية، ومن ناحية أخرى مساعدة القوى الوطنية الرافضة للاحتلال والرافضة للتقسيم والتي تسعى إلى أمن العراق، بل أمن المنطقة كلها واستقرارها؛ لأن أمن العراق واستقراره يعني أمن المنطقة واستقرارها؛ فبدون أن يتحرر العراق ويستقر فلا استقرار ولا أمن للمنطقة كلها؛ لأن المشاريع المُعَدَّة لتمزيق العراق هي أيضاً معَدَّة لتمزيق دول الجوار.

البيان: ما توقعاتكم لمرحلة ما بعد انتهاء ولاية بوش عام ٢٠٠٨م في حال فوز الديمقراطيين أو الجمهوريين؟

وما التأثير المتوقع على مستقبل العراق؟

■ لا أعتقد أن الأمور ستتغير بتغير الحُكم في الولايات المتحدة بفوز الديمقراطيين أو الجمهوريين؛ لأن أداء الحزبين كما نشاهده متقارب، فلذلك نحن لا نعوِّل على تغيُّر الحُكم، وإنما نعوِّل على عمل العراقيين وعلى نشاطهم وعلى همتهم في كيفية تحرير بلدهم؛ فقـوة العراق في النهاية هي التي ستضغط على الحاكمين في البيت الأبيض - سواء كانوا ديمقراطيين أو جمهوريين - فتجبرهم على الحوار أو الحل الذي يمكن أن يخلِّص العراق من شرور احتلالهم وآثاره المدمرة على العراق والمنطقة.

البيان: ألا ترون أن هناك انفصالاً تاماً مع إخواننا السُّنة الأكراد، حتى استولى عليهم العَلْمانيون ولم نعد نسمع لهم صوتاً؟

■ للأسف سيطر العَلْمانيون ومنذ أكثر من عقدين من الزمان على شمال العراق، وأصبح صوتهم هو الصوت السائد وهو الحاكم والمتنفذ، وأما مَنْ عَدَاهم - للأسف الشديد - فمأخوذ عليهم، مكمَّمة أفواههم، ويبدو لي أنهم حذِرون حذراً أكثر من المطلوب من مواجهة هؤلاء، أو التصريح بما ينبغي أن يصرِّحوا به أو يقولوه بوصفهم مسلمين. وعلى أية حال؛ فإن القيادة الكردية الحالية منبوذة من الشعب ومكروهة، وهي حاكمة بالحديد والنار كأيِّ حاكم ظالم مستبدٍّ مُكمِّم لأفواه شعبه الذي ينتظر اليومَ الذي يتخلّص فيه من هذه القيادات الباطشة المقْصية لغيرها؛ القيادات التي لا تهتم إلا بنفسها وبمحسوبيها وميليشياتها، أما باقي الشعب فهو مقصى ومهمَّش ومحروم من أدنى مقومات الحياة الإنسانية الكريمة.

البيان: كان لكم لقاء بالقيادة السورية في الشهر الماضي حول مشكلة استضافة العراقيين اللاجئين في سورية والتغييرات التي طرأت على القوانين الخاصة بهم هناك؛ فماذا وجدتم لديهم؟ وهل حصلتم على وعود بتخفيف شروط دخول النازحين إلى سورية وإقامتهم فيها؟ وهل من عوائق حيال ذلك؟

■ نعم! ذهبنا إلى سورية وكان ذهابنا بناءً على دعوة خاصة، وقد التقينا ببعض الإخوة المسؤولين السوريين وكلّمناهم حول موضوع التأشيرات وتأثيراتها على إخواننا اللاجئين العراقيين، فوعدونا خيراً بأنهم إذا فرضوا التأشيرة فإنهم سيدخِلون عليها الكثير من التعديلات التي ستسهل على الإخوة المقيمين في سورية إقامتهم ولن تؤثر عليهم كثيراً، من ذلك: أن تكون التأشيرات من الحدود؛ وهذا ما ركزنا عليه خوفاً أن تكون من السفارات، كما طلبنا أيضاً أن تدخل فئات أخرى في السماح بالدخول، فوعدونا بذلك، وقد حققوا الوعد قبل أيام؛ حيث وافقوا أن تكون التأشيرة من الحدود، كما وافقوا أيضاً على دخول المرضى ودخول فئات أخرى إلى جانب الفئات السياسية والتعليمية والتجار وما إلى ذلك، وعلى أية حال فالأمور عادت إلى طبيعتها الأولى، والإخوة العراقيون اليوم في سورية مستقرون نسبياً ولله الحمد.

البيان: للمحتل الأمريكي من الفظائع والفضائح والجرائم ما لا يُعقل، والأعجب أن جرائمه قد سجّلها بعض الغربيين بل بعض الأمريكيين في كتب ومقالات وعدّوها جرائم حرب بمعنى الكلمة! فماذا عملتم حيال توثيق هذه الجرائم ورفعها إلى الجهات المعنية؟ نعم! قد لا يستجاب لها، ولكن على الأقل هي تسجيل موقف وفضح للمحتل المتغطرس؟

■ لا أُبالغ إذا قلت: إن أي جريمة من الجرائم المنظورة التي ارتكبها الاحتلال - وكثيراً ما ارتكب، وما زال يرتكب الجرائم والفضائح من قتل العوائل وتدمير المدن وانتهاك الأعراض، وما إلى ذلك من هذه الجرائم - كلها مسجلة لدينا في الهيئة في مقرها وفروعها ولدى لجنة حقوق الإنسان التابعة للهيئة، ونتكلم عنها دائماً في وسائل الإعلام ومع مَنْ نقابل من مسؤولين عرب وغيرهم، وشهّرنا بهذه الفضائح، ومنها ما انتبهت لها قوات الاحتلال واعتذرت عنها، أو تظاهرت أنها ستحقق فيها أو حققت وحكمت ولكنها أحكام تافهة وبسيطة لا تساوي حجم الجرائم التي يرتكبها جيش الاحتلال. ولم نكتفِ بهذا، بل كل الجرائم التي ارتُكِبت سواء من قوات الاحتلال أو من سُلطات الحكومة وأحزابها وميليشياتها ومجرميها وفِرَق موتها وما إلى ذلك؛ كلها مسجلة في سجلات، وستُكشَف - إن شاء الله - في يوم من الأيام عندما يتحرر البلد، وعندما يصحو الضمير الإنساني إذا كان له من صحوة في يوم من الأيام.

وفي نهاية هذا الحوار نزجي الشكر لفضيلة الشيخ الدكتور حارث الضاري على هذا الحوار الماتع الغني بالمعلومات والإفادات - البيان -.





المسلمون والعالم



● ما هو عسل القولون العصبي؟

عسل القولون هو عسل نحل طبيعي تمت تغذية النحل على أزهار تستخدم عادة في علاج القولون، وحيث إن طريقة تصفية العسل وفرزه عن الشمع قد تؤثر في قدرته على العلاج فقد حرصنا على إنتاج هذا النوع من العسل بطرق علمية مدروسة تحافظ على كل فوائده العلاجية والغذائية.

● هل تأثير هذا العسل علاجي أم أنه تسكين فقط؟

بمجرد استخدام هذا العسل فإنه يؤدي إلى إزالة المغص وطرد الغازات وسهولة إخراج الفضلات، ويصبح يومك طبيعياً. والاستمرار على استخدامه فترة أطول يؤدي إلى التخلص من القولون العصبي بشكل نهائي عند أكثر الناس بإذن الله تعالى.

● هل صحيح أن للقولون العصبي علاجاً نهائياً؟

لا يجوز الاعتقاد بأن هناك مرضاً من الأمراض ليس له علاج؛ لأن هذا يخالف ما ثبت في شرعنا أن الله تعالى ما أنزل من داء إلا وأنزل له دواء علمه من علمه، وجهله من جهله.

● هل يحتوي على أعشاب قد تضر بالكلى أو الكبد أو المعدة أو غيرها؟

لا يحتوي عسل القولون على أية أعشاب على الإطلاق إلا أن أكثر تغذية النحل على زهور تفيد في علاج القولون العصبي فهو عسل طبيعي يمكن تناوله من قبل الصغير والكبير دون أية مخاوف.

● هل له فوائد أخرى؟

نعم! فهو أولاً عسل نحل طبيعي له كل فوائد العسل الطبيعي، كما أنه يتميز عن أنواع العسل عدا عن أنه علاج للقولون العصبي بأنه مضاد حيوي قوي جداً كما أنه طارد للبلغم، منظف الصدر، منشط للكلى، مدر للبول، مدر للحليب، مهدئ للسعال، مضاد للأرق ويساعد على النوم.

● لماذا يُفضل عسل القولون العصبي؟

يُفضل لعدة أسباب، منها:

١ – إن حصولك على كيلو غرام من العسل يعطيك فوائد عديدة جداً فإنك تستطيع أن تعطي منه لأي شخص في البيت يشتكي من مشاكل في البطن أو حتى الأمراض العارضة كالتهاب اللوز والرشح والجروح والحروق وغيرها. أما الأدوية الكيميائية فلا يمكن استخدامها إلا للشخص نفسه وبجرعة محددة ولمرض واحد فقط.

٢ – العسل محبب للصغار والكبار وطيب المذاق جداً فضلاً عن فوائده الصحية.

٣ – هذا العسل يعطيك نشاطاً وحيوية وطاقة تتمتع بها طول اليوم.

٤ – كثير من الأطباء ينصح بالعودة إلى الطبيعة وخاصة العسل إذا ثبتت جدواه لمرض معين ولا مانع من استشارة الطبيب، وفي حالة وجود مرض السكر فلا بد من استشارة الطبيب قبل استخدام أي نوع من العسل.

● هل هو مضمون؟

هذا العسل مضمون ١٠٠٪ وقابل للتحليل في أي مختبر وفي حال ثبوت غش ولو بنسبة ١٪ فإنك تسترجع قيمة العسل كاملاً مع كلفة التحليل بالمختبر ولا نحسم ثمن عينة التحليل.







(المبعوثان)(*) يعود بقوة..

متابعة مشاهد عربي لجلسة البرلمان التركي

ربيع الحافظ(**)
alhafidh@hotmail.com

مناقشة البرلمان التركي للورقة الأمنية حول إرهاب حزب العمال بدت عزفاً في غير زمانه؛ فاللحن ودّعته الأذن منذ حين، والمعاني ارتحلت عن هذا المكان من العالم، والنبرة قد شيّعها عالم القطب الواحد، إلا ما يُرى في أمريكا اللاتينية الباحثة عن هويتها، والتي تحولت إلى كتلة يُحسب لها حسابها. جلسة البرلمان كانت جلسة جمعت عروض السيادة، والاستقلال، والإرادة، والعزة، والوحدة الوطنية.

• **المشهد:**

الحزب الحاكم الذي دعا إلى عقد الجلسة الاستثنائية جاء مصطحباً فوزاً ثميناً صنعه على الساحة الداخلية، وفي المنطقة الكردية الساخنة على وجه الخصوص، ومندفعاً في اتجاه برنامج إصلاحي سياسي، ومفعماً بقناعة الطيف السياسي التركي بطروحاته الجديدة التي تجمع بين الجذور الإسلامية والمصلحة الوطنية.

البرلمان الذي التأم بحضور نواب حزب المجتمع الديمقراطي الكردي الرافض للورقة الأمنية، والذراع السياسي لحزب العمال الكردي؛ كان مؤشراً على الشوط الذي قطعه مسار الإصلاح السياسي، لكن حضور النواب التسعة عشر كان في الوقت ذاته صورة فوتوغرافية لأرض المعركة الأيديولوجية التي خاضها حزب الحكومة مع حزب العمال تُظهِر حجم خسارته وفلوله.

إصلاحات الحكومة وتعديلاتها الدستورية وعبورها خطوطاً حمراء ثقافية وقانونية في اتجاه مجتمع الفُرَص المتساوية الذي يضمن لفسيفسائه حقوقَها أمام القانون؛ بدت أشبه بخطوة إلى الوراء لإعادة الالتحام بمفاهيم من الميراث العثماني الذي أحدث إقصاؤه في الفترة السابقة خروقاً في نسيج المجتمع ليس من السهل رَتْقها.

البرلمان بدا مذكِّراً ببرلمان سابق على هذه الأرض أدار مشهداً فسيفسائياً أوسع، ضم أكثر من ٨٠ قومية ومذهباً وديناً؛ هو (المبعوثان) العثماني، ويقترب في إصلاحاته السياسية والدستورية وحقوق الأقليات بخطىً حذرة من (نظام الملل) الذي ابتكره (المبعوثان) ثم طوَّرته أوروبا المعاصرة ليكون أساساً لتعدُّديتها الثقافية.

(*) البرلمان في عهد الدولة العثمانية.
(**) مدير معهد المشرق العربي - لندن.

• **رسائل إلى الجوار:**

(المبعوثـــان) الجديـــد بتكوينه وأدائـــه وإدارة حكومته؛ كان رســـالة ضمنية تطمينية إلـــى المنطقة القلقة من حوله، التي أنهكها الفراغ السياســـي والهشاشة الأمنية، وتهدِّدها المشروعات الانقسامية العرقية والطائفية، ويغيب عنها دور اللاعب الكبير، وباتت توقن أن صراعاً إقليمياً وإعادة رســـم للخريطة السياسية هي الأكبر مـــنذ مطـــلع القـــرن الماضي قـــادم لا محالة.

رســـالة (المبعوثان) المطمئنة كانت قد ســـبقتها رسائل مطمئنة متفرقة بعثت بها تركيا ولامســـت مواطن القلق في المنطقـــة، منها: اقتصـــاد تركيا الضخم، قوتها العســـكرية، مكانتهـــا على المســـرح الدولـــي، الجمع بين نظـــم الاتحاد الأوروبي الحديثة وبين الجذور الإسلامية الشرقية، سجلُّها الطويل في احترام الجوار، ومواقفها الاستراتيجية في صالح الشأن الإقليمي، وغيرها من المقومات الاستراتيجية.

لكن جلســـة البرلمان كانت بمثابة الستار الذي يُزاح عن مبنـــىً اكتمل بنـــاؤه منذ حين في حفل مؤجَّل في مناســـبة يحضرها الملايين وعدســـات الإعلام، وقد كانت مناقشـــة الورقة الأمنية مناســـبة محلية وإقليمية وعالمية في آنٍ واحد انشـــدَّت إليها أعين العالم الذي شـــهد إزاحة الســـتار عن مقومات مجتمعة.

• **بين أنموذجين:**

الأهم أن المشـــهد هـــو لأحد ثلاثة برلمانـــات فاعلة في المنطقة، إلى جانب (برلمان ولاية الفقيه) الإيراني و (الكنيست الصهيونـــي). وإذا كان الحديث عن الأخير تحصيلَ حاصل؛ فإن المنطقة الباحثة عن ضالتها ومظلَّتها السياسية والأمنية تقف أمام أنموذجين سياسيين إقليميين:

الأول: ولايـــة الفقيه، الذي قاد مشـــروعاً طائفياً داخل إيران وخارجها، ومزَّق مجتمعات المنطقة بجيوب طائفية كما في بلاد الشـــام ولبنان تحديداً وبعض دول الخليج وشـــمال إفريقية، وجلب الحروب.

الثـاني: الأنمـــوذج التركي الجديد الـــذي لم يخفض لافتـــة العَلْمانية ـ ولن يقدر وإن أراد ـ لكنه يدأب على إعادة الالتحـــام بمفاهيم أرســـتها وتميزت بها النظم السياســـية السُّنية، وأنجبت بها من عقم الفسيفسائيات العرقية سبائك اجتماعية متماسكة، وحضارة خصبة هي على الجملة أعظم ما عرفته مجتمعات الإنسانية.

أي: أن المنطقة تتجاذبها قوى إقليمية متعاكســـة بنسبة ٢/١، وفي الاتجـــاه المضاد لمصالح الشـــعوب، وأن البرلمان التركي هو الـ (١) في هذه النســـبة. بذلك يكون (المبعوثان) الجديد قد حســـم معركة أيديولوجية أخرى، ليست محلية هذه المرة، وبرهن لشـــعوب (المبعوثان) ـ القديم العائد إليها في الوقت الضائع ـ أيَّ الأنموذجين أقدر على الإدارة وأَوْلى بـ (المصداقية).

وإذا عددنـــا إيران قد خلعت جلدهـــا العَلْماني في عام ١٩٧٩م بمجـــيء الخميني، وأن تركيا ارتـــدَت ثوبها الجديد بمجيء حزب العدالة والتنمية في عام ٢٠٠١م؛ فإن السنوات الســـت الأخيرة كانـــت حرباً باردة بين أمتـــين عائدتين إلى انتمائهما الحقيقي: إيران الساســـانية المتوشـــحة بالتشيع، وتركيا الباحثة عن ضالتها في ميراثها العثماني.

• **العناوين التي ترسـلها هذه الحرب إلى دواوين التاريخ ومعاجم السياسة هي:**

ـ (ســـتة أعوام من أنموذج سياسي، مقيد الأيدي، جزئيِّ الحلول في مهد آخر النظم السياسية السنية؛ تكفي لإزاحة ثلاثـــة عقود عن القلوب والعقول مـــن نظام المذهب الواحد والحزب الواحد والعرق الواحـــد الذي قادته ولاية الفقيه): العنصـــر الفاعـــل في هذا الســـياق هو أن الســـلوك العام للجماعـــة أو الفرد هو أهم عامل حســـم عنـــد الرأي العام عند تقرير علاقته مع الطيف السياســـي، وأن شريحة رجل الشـــارع ـ التي هي الأغلبية في كل مجتمع ـ تبني قناعاتها على المشاهدة وليس القراءة، مثال ذلك: دخول شعوب شرق آســـيا في الإســـلام على يد تجار كانت ذخيرتهم الدعائية الوحيدة هي الأخلاق، وتغيَّر كل شـــيء في المجتمع واستمر دون ســـلطان سياسي أو حراســـة أمنية. المثال المعاكس هو

الأسلوب الإيراني، الذي تغيَّر فيه مذهب المجتمع في انقلاب دموي قاده الصفويون، وتقوم الدولة منذ ذلك الحين بحراسة بوليسية للمذهب الجديد (مذهب ولاية الفقيه)!

- (أيديولوجيـــة الأقليـــة تفشـــل في أن تكـــون مظلّة اجتماعية): الأقلية التي تختلف مـــع محيطها الكبير بالفكر وليس بالعرق، وتعيش بموازاة المجتمع بطقوس وأدبيات قامت أساســـاً لإدارة مجتمع منغلق، واللمز من الأغلبية والنِّدِّية مع الأقليات الأخرى، فهي تجيد فن المعارضة وتتآكل في الحكم، ولكونها أقلية عددية فإن وســـائلها للتغيـــير غير ذاتيـــة على الـــدوام، وما ســـعت إلى إبـــدال الواقع من حولها إلا وجدت نفســـها في حلف مع قوة خارجيـــة تلتقي معها في المصلحة؛ فتتحول فترة تمكُّنها السياسي - القصيرة - إلى صدام تلقائي مع المجتمع الكبير.



- (مفهـــوم المذهب يتجاوز البعد الفقهي ويحمل نظريات اجتماعية):

يحمل المذهب الفقهي في كل دين البصمة الوراثية للبيئة السياسية والاجتماعية التي تأسس فيها، والتي تنعكس على ســـلوك الفرد والجماعة في محيـــط المذهب، ونظرتهم إلى المجتمع وطريقة التعامـــل مع الآخر. وعندما تتحدث أوروبا العَلْمانية عن البروتســـتانتية اليوم فإنما تتحدث عن جانب فيها كان مســـؤولاً عن تأســـيس العالم الجديد في الأمس وصناعة العولمة اليوم مقابل الجمود الكاثوليكي. ومن ثم فإن انحسار مفهوم المذهب عندنا - نحن المسلمين - ووقوفه عند البعد الفقهي حرم المجتمع المســـلم من الخريطة الاجتماعية والقوانين التي أقامت وأدارت النظمُ السياســـية السنية على أساسها مجتمعاتٍ هي أفضل ما عرفته الإنسانية.

- (لكل حضارة مدرســـة أغلبية هي التي تتوسط الطيف العقدي والسياسي وهي صِمَام أمان المجتمع):

ليـــس مصادفة أن تبقى الأقليـــات المذهبية أو الفكرية أقلياتٍ في أي مجتمع؛ فهي أينما وجدت عكست غلوّاً تنأى عنه فطرة الأغلبية، وتبقى الأقليات (بارومتر) يؤشـــر على الحالة الصحية الثقافية للمجتمع صعوداً ونزولاً وفي اتجاه معاكس.

- (الأغلبيـــة في مفهوم الحضارات نمـــط تفكير وليس إحصاءً سكانياً):

مفهوم الأقلية والأكـــثرية ثـــابت في مفهـــوم الحضارات لا يتغيـــر كلما تغيـــرت الخرائـــط الجغـــرافيـــة كمـــا في (سايكس - بيكو) أو في (كانتونات) الشرق الأوسط الجديد القـــادم. والحضارات لا تقودها الأقليات، وإنما تتســـع هي للأقليات وخصوصياتهـــا وأنماط حياتها، وفي المقابل فحق الأغلبيات على الأقليـــات أن تحترم مفاهيمها، وتكون بذلك جزءاً من نسيجها العام.

هـــذه النتيجـــة هي الأهم فـــي تاريخ الســـجالات بين الأنموذجين؛ فقد حســـم (المبعوثان) القديم ســـجالاته مع خصمه حســـماً عسكرياً في ساحات الحرب بعيداً عن أعين المجتمع، وهذه هي المرة الأولى التي يتواجه الأنموذجان فيها داخل أسوار المجتمع في ميادين القضاء والسياسة والاجتماع والحقوق والمصداقية وغيرها، وأمام أعين الناس الذين عاينوا المشهد عن كثب ووجدوا في طرفيه مدرسة لبناء المجتمعات وصَوْنها، وأخرى للمعارضة والمشاكســـة السياسية تقوى في طور المعارضة وتتآكل عند وصولها إلى الحكم.

ليـــس من طبـــاع إيران أن تدع ســـجالاتها السياســـية ومقوماتها الاســـتراتيجية لوسائل التنافس الحر، وما فعلته مع أمريكا في إســـقاط طالبان وصـــدام حيٌّ في الأذهـــان. ما صار بعيداً عن الأذهان هو ســـجالها مع العثمانيين الذي



كسرته بحلف مع أوروبا، يوم كتب سفير النمسا في إستانبول إلـى ملوك أوروبا ناصحاً: لن ينقذنا من الطاعون الأسـود (الفتوحات العثمانية) سوى الصفويين. والبعيد عن الأذهان كذلك هو احتفال إيران في كل مرة كانت تسـقط فيها أرض عثمانية في يد روسيا في حرب البلقان.

• بصمات إقليمية:

صـورة تركيـا الظافرة، سياسـياً واقتصاديـاً، محلياً وإقليمياً؛ لم تعجب أحداً من الذين طال وقوفهم في (طابور) تقاسـم المنطقة. هي لم تعجب حزب العمال الذي قاد نزاعاً مسلَّحاً منذ عشرين عاماً ضد تركيا لكنه اليوم يخسر معركة لا يملك أسلحتها ففتح النار على تجربتها. ولم تعجب زعماء الأحزاب الكردية في شمال العراق الذين لم يَرُقْ لهم مشهد أكراد تركيا وهم يرقصون في شـوارع (ديـار بكر) ابتهاجاً بدخولهم البرلمان التركي واندماجهم في العملية السياسية، ولسـان حالهم ـ الزعماء الأكراد ـ يقول: رقص في ديار بكر اليـوم وغداً في أربيل، مدركين أن التجربة التركية نسـفت من الأساس شـعارهم: لا صيغة تعايش بين الأكراد وشعوب المنطقة إلا بالانفصال.

من حق تركيا التي أصلحت واسـتدركت وطوَّرت وشقَّت طرقاً جديدة للتعايش بين مكونات شـعبها؛ من حقها الدفاع عن تجربتهـا وملاحقة الذيْن فتحوا النار على نجاحها. النار تفتح على تركيا من أرض عراقية، بأسـلحة أمريكية، وألغام أرضية إيطالية، وتفرُّج أوروبي، وتعاطف أرمني، ولوبي يهودي ـ أمريكي داعم للملف الأرمني؛ فالحرب إقليمية إذاً، ويصبح من حقها تفعيل أدواتها الإقليمية وزجُّها في الدفاع عن نفسها.

ومن حق المنطقة التي أفزعتها المشروعات الانشطارية، والشذوذات السياسية والفكرية التي تتحدى لغتها وثقافتها وتراثها؛ من حقها رؤية دور قيادي إقليمي يضع حداً للفوضى التي استطار شـررها، ويعيد للمنطقة هيبتها الأمنية، ومن حقها على نفسها أن توفر الأدوات لهذا الدور.

• ثقة دون ثقة:

الثقة التي أبداهـا (المبعوثان) الجديد عند مناقشـته الورقة الأمنية بدت عند التنفيذ أدنى حداً وأقل حيلة. كانت المبالغة في طمأنة الجوار العربي والتأكيد على حسـن نوايا تركيـا ونفي أطماعها بأرض العـراق ونفطه؛ كانت تعويضاً واضحـاً عن قنوات إيصال الثقة إلى الجوار التي لم تجدها في حوزتها.

كان واضحاً أن تركيـا تهاونت بأرصدتها الأخلاقية في المنطقـة؛ فبعد أربعة أعوام علـى قبضها أكبر صك معنوي برفـض برلمانها نزول الجيش الأمريكـي على أرضها لغزو العـراق؛ لا زال الصك مجمَّداً في حسـابات مصرفية من دون اسـتثمار. الحكومة التركية تحظى اليوم بشـعبية في الشـارع العربي لم تعرف منذ قرار السلطـان عبد الحميد ـ رحمه الله ـ رفض مبادلة فلسطين بديون الدولة العثمانية، وقرارهـا لا يقل ثمناً مادياً عن ديـون الدولة العثـمانية، أما ثمنه السياسـي فلا يقل عن قرارات (الأنفة) الديغولية التي أدخلت العلاقة بين فرنسـا وأمريكا في فتور لا مخرج منه. ومع ذلك لم يرقَ القرار إلى مصاف القرار الأول.

شـعبية اليوم أهم من شـعبية الأمس؛ فهي ليست على رقعة تمارس الحكومة عليها نفوذها ودعايتها، وإنما تشغف العقول والقلوب من وراء الحدود. لكن هذه الشـعبية لا قناة لها توصلها إلى رقعتها الواسـعة وتنقلها من دائرة العواطف التـي تأتي وتذهب إلى دائرة الحقائـق والأرقام التي تدوم؛ فالإعـلام التركي الموجه إلى العالم العربي لا يتناسـب كماً ونوعـاً مع حجم التحديات؛ فمقابل ٢٠ قنـاة عربيـة تملكها أو تمولهـا إيران، لا توجد قناة فضائيـة تركية واحدة تبث باللغة العربية، ولم يوظف الإعلام التركي أبسـط الحقائق التي في حوزته لتصويب ركام من المفاهيم الخاطئة.

سياسـة ما يسـمى (الفوضى الخلاقة) التي اختارتها أمريكا لهـذه المنطقة تعني: أن المزيد من الفوضى الإقليمية وضعف الحكومات المركزية لا زال في الطريق. وقد أظهرت فوضى العراق أن الشارع هو من يؤول إليه القرار في لحظة الحسـم، وأن من يملك ثقة الشارع هو الذي يمسك بالورقة الرابحة. وقد عارض الشـارع العراقـي في بداية الاحتلال



دخول الجيش التركي إلى المدن العراقية، وهـو نفسه اليـوم الـذي يتمنى لو أنه رأى جندياً تركياً بباب منزله حين غلقه في المسـاء وفتحه في الصباح، وليس ذئبـاً من ذئاب (لواء الذئب) التابع لوزارة الداخلية أو جيش المهدي، ولكنها أُمْنية بعد ضياع الكثير من الوقت. إيران هي خير مَنْ وعى الدرس، والتي انتزعت ثقة من قطاع من الشـارع العراقي وجلسـت تنتظر وقوع الفوضى التي أتى بها الاحتلال.

سياسـة الانكفاء الداخلي التي اختارتها تركيا الحديثة لنفسها كانت نهجاً تبنَّته الدول التي خسرت مواقعها بوصفها قوى عظمى في أعقاب الحـرب العالمية الثانية وهي ألمانيا واليابان إلى جانب الدولـة العثمانية. ما أرادته هذه الدول هو أجندة للاتجاه بشـكل كامل إلى الجبهة الداخلية وإعادة البناء. قسـم رئيسي من النجاح الذي حققته ألمانيا واليابان بعد الحرب يُعزَى إلى هذه السياسـة، في حين تعاني تركيا من مضاعفات جانبية لسياسة طُبِّقت في محيط فسيفسائي غير مسـتقر، كان النفوذ العثمانـي فيه على الدوام ضرورة لاسـتقراره. هذا المحيط يغرق اليوم في فراغ وفوضى ثبت من خلاله أن التدخلات العسكرية ليست بديلاً.

• غيرنا أعاد الاصطفاف:

ليس مـن المصادفة أن ينجح تكتُّل سياسـي قائم على فسيفسـاء كأوروبا وبين شـعوب لم تعرف سلاماً متواصلاً أكثر من ستين عاماً، ويفشـل غيرهم. لقد أعاد الأوروبيون لأنفسهم تعريف المفاهيم وبالغوا في ذلك، وجعلوا الضرورات العامة مسـوغاً لتجـاوز المحظورات الخاصـة، حتى وإن اصطدمت بثوابت الديمقراطية والسـيادة. وقد كان حصار الاتحاد الأوروبي للنمسـا بعد فوز حزبهـا اليميني بزعامة رئيسـه ذي الجذور النازية في الانتخابات العامة، وإرغامه علـى التنحِّي عن منصبه والتواري السياسـي؛ كان امتحاناً للمفاهيم الجديدة؛ إذ لا حرية خاصة مطلقة لشعب أو دولة ضمـن كتلة إقليمية إذا ما تعارضت تلك الحرية مع المصالح العليا للكتلة، مثلما أنه لا حرية مطلقة للفرد ضمن الوطن.

شـعوب منطقتنا بحاجة إلى إعـادة تعريف مفاهيمها تجاه بعضها: السـيادة، المواطنة، والاستقلال، بما يتيح لها اصطفافاً جديداً ولاعباً كبيراً وفرصاً أفضل لحماية أنفسها، حتـى وإن بدت التعريفات الجديدة كأنهـا تمر على معاني الكبرياء الوطني؛ فليـس كل ما في الاتحاد الأوروبي يعجب أو يداري الكبرياء الألماني، والإمبراطورية الفرنسية، والإرث الإنكليزي، لكنها الضرورات والمصالح الإقليمية العليا.

ليسـت هذه تبعية أحد لأحد، ولكن مـا من جغرافية سياسـية اليوم تخلو من لاعب كبير تلتقـي عنده المصالح الكبرى لشـعوب المنطقـة. هذا اللاعب نجـده في أمريكا اللاتينيـة حيث البرازيل، وفي الاتحاد الأوروبي حيث ألمانيا، وفي إفريقيا حيث جنوب إفريقيا، وفي شـرق آسـيا حيث الصين، وعند الشعوب السلافية الشمالية حيث روسيا.

وفـي الوطن العربـي حاولت دول عربيـة القيام بهذا الدور؛ كمصر فـي حكم جمال عبد الناصـر، والعراق في حكم صدام حسين، والجزائر في منطقة المغرب العربي في حكـم هواري بومدين، وتوفرت لهـذه الأنظمة من الظروف السياسـية والاقتصادية والدولية ما لا يتكرر بسهولة، لكن الدور استأثر به أشخاص وليس مؤسسات، واصطدم بهوية الشـعوب؛ فتعطلت المهمة وبقي الدور شاغراً، وهو ما تطمح إيران لـمَلْئه اليوم.

دور اللاعب الكبير هذا رسـّخناه في أدبيات حضارتنا نحن - العرب - سواد هذه الأمة وحملة مشعل الرسالة الأوَّل إلى أمم الأرض، وقبِلْنا أن يحمل اللواء غيرنا من الشـعوب الإسـلامية لأكثر مـن ١٢ قرناً من مجمـوع القرون الـ ١٤ مـن تاريخ حضارتنـا، ومع ذلك فلا زال عنـوان الحضارة هو (العربية الإسـلاميـة) فالعبـرة بمضمون الـرسـالة لا بحاملها، ولا نظير لهذا المفهـوم الإداري المتقـدم سـوى نظـام الـ (Franchise) الذي تُدار به الشركات الأخطبوطية (متعددة الجنسيات) والتي غطت المعمورة.

• نكون أو لا نكون:

مهمة تركيا والمنطقة لن تكون سهلة وكذا الخيارات ليست متعددة؛ فالخريطة السكانية التاريخية للمنطقة تتغير تحت



عناويــن مختلفة بأدوات متقدمة (اقتصاد، ســياحة دينية، تهجير، اغتيالات، هدم المعالــم التراثية للمدن، مهور عالية للعربيــات لزيجات مختلطة)، والجيــوب الطائفية والعرقية تمزِّق المجتمعات المدنية؛ هذا بالنسبة للعرب.

أما تركيا دولة المؤسســات والقانــون الوحيدة المتبقية في المنطقة بعد زوال الدولــة المدنية العربية؛ فهذه هي المرة الأولى التي يدافع فيها الأتراك عن عمق أمنهم القومي من مواقع دفاعية متأخرة، بل من وراء حدودهم التي يحتشد قُبالتها الخصوم.

وإذا كانــت أمريــكا قد عجزت عن وقــف عبور الفقر المحتشد على حدودها مع المكسيك الطامع إلى الوصول إلى قلبهــا ونهش اقتصادها؛ فهل تكون تركيــا أقدر على وقف عبور الفوضى الطائفية والعرقية المحتشــدة على حدودها والتي تتوق إلى نهش مؤسســاتها؟ أمريــكا باتت مقتنعة أن الجدار الخرســاني والقناصة على طول الحدود لن يعصما اقتصادها من البطون الجائعة، ولــن تنفعها الاتفاقيات مع الحكومة المكســيكية، ولا بد مــن مواجهة هذه البطون على أرضها بمشروعات اقتصادية، ومثلها فعل الاتحاد الأوروبي مع إفريقيا رغم الفاصل البحري؛ فشــطبّ الديون واستثمر في الاقتصاديات المحلية.

الدرس فــي المثالَيْن الأمريكي والأوروبــي هو: أن دول المؤسسات والقانون بأنظمتها المتطورة كالساعة السويسرية إعطابُها ســهل، ولا يسعها أن تحيط نفسها بحزام ناري من الفوضى، ومن غير الواضح كيف ســتطمئن تركيا حين تتجه غرباً للبناء وهي تدير ظهرها للفوضى المنظمة.

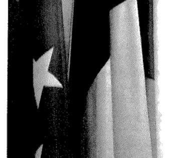
ســواء دخلت تركيا الاتحاد الأوروبي أو لا فإن مسارها الأوروبي المهم لاقتصادها وإصلاحاتها السياسية سيستمر، وسيســتمر نزيف حــزب العمال الذي قد تخثــر المبادرات الدبلوماســية دماءه، لكنها لن تجفِّفه، ثم تعود - نفســها - لتَكُئه في ظرف مختلف. وبذلك يتجاذب تركيا مشــروعان متعاكسان: مشروع بناء وتنمية على جبهتها الغربية ببرنامج راسخ ورؤية واضحة، ومشروع استنزاف على جبهتها الجنوبية الشرقية بتردُّد وحيرة.

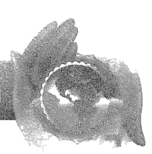
يقــول الكاتــب التركي (ســايغي أوزتورك) فــي كتابه (الجنــرال): «إننا نتعامل مع إرهاب حــزب العمال على أنه قضية أمنية محضة. ونســلك طرقاً مختصرة. والمؤسســة العســكرية تتعامل مــع الأزمة بمعزل عن باقي مؤسســات الدولــة». تتمة هذا الــكلام هو أن تركيــا تتعامل مع أزمة إقليميــة بأدوات محلية محضة، وبمعزل عن باقي شــعوب المنطقــة، ولو لم تزج حكومة العدالــة والتنمية في معركتها مع حزب العمال ســلاحاً جديداً لا يملكه، والْتَفَّت عليه ببني جلدته؛ لما رقص الأكراد.

الحديث عن الأيديولوجية الإقليمية وإن بدا غريباً اليوم فلا ينبغي أن يكون باعثاً على التشنُّج في الأوساط الفكرية؛ فالمشهد الفكري العربي عشــيةَ تقسيم المنطقة العربية في القرن الماضي كان سجالاً بين معسكرين: معسكر نادى بفكّ الارتباط الكامل مع العثمانيين، وآخر نادى بالإبقاء على النظام السياســي الإقليمي العثماني مع منح العرب حقوقاً سياسية أكبر، وامتدَّ هذا النظام من المغرب العربي إلى العراق مروراً بمصر وبلاد الشــام، ومن أكبر رمــوزه عبد العزيز الثعالبي (تونس)، ورشــيد رضا - محمد عبده (مصر)، وجمال الدين القاسمي (سورية)، ومحمود الآلوسي (العراق).

تمَّ حسم ذاك الســجال لصالح المعسكر الأول، لكنه لم يكن حســماً فكرياً، وإنما كان حسماً أمنياً في ظل الاحتلال الإنكليزي، مثلما تُحســم قضايا الدستور والنفط والفدرالية في العراق اليوم في ظل الاحتلال الأمريكي.

تسعون عاماً من تبعات ذلك الحسم ومن الواقع الذي وصلنا إليه فرصة كافية لإعادة تسوية ذلك السجال بطريقة مختلفة.





التقسيم العقدي في العراق... والجناية على أهل السُّنة

د. عبد العزيز كامل
kamil@albayan.co.uk

تبـدو في الأفق البعيد - أو المنظور - معالم (مشـروع سلام) عراقي - أمريكي، على غرار (مشاريع السلام) بين العرب والصهاينة، أو بين الصرب والبوسنة، أو بين السودان الشمالي والسودان الجنوبي، بحيث يكون هذا المشروع في النهاية على حساب المسلمين بعامة وأهل السُّنة بخاصة.

وفـي مقالـي الأخير عن (تقسـيم العـراق: الضرر والضرورة)[1] انتهيت إلى أن شـأن التقسيم بوصفه خطة نظرية قديمة عمرهـا لا يقل عن أربعة عقود؛ وَجَدَت من يسـير بها في طريق شـبه خالية، تحولت فيها من تفكير نظري إلى تدبير عملي، ينتقل من مرحلة إلى مرحلة، حتى وصل إلى اللحظة التي لا يستطيع فيها أحد يعقل ما يقول أن يزعم إنها مجرد «مؤامرة» وهمية!

وقد ظهر جلياً أن ذلك التقسـيم ليس عرقياً تاريخياً فقط، ولا طائفياً شـكلياً فحسـب، بل هو تقسيم عقدي، يهدف إلى ضرب العقائد المختلفة ببعضها، ولو كانت تنتسب لقبلة واحدة، حتى يشتعل العراق، ولا يبقى حل إلا التقسيم بين الفرقاء، ثم عَقْد اتفاقيات (سلام) مع الأعداء!... إنه شيء شبيه جداً بما يحدث الآن في فلسطين.

وبعد أن قدَّم شـيوخ أمريـكا (بأغلبية الثلثين) مقترح التقسـيم إلى حكومة بوش كان فحوى الرد: أن الوقت لم يحن بعد، تاركة ذلك للظرف المناسب!

إذا كان صحيحاً أن المسـألة أصبحت (مسألة وقت) فهل نحن على أبواب مرحلة تقوم فيها دولة شيعية عراقية مجـاورة للدولة الإيرانيـة، متعاضدة عقديـاً مع الكيان الفارسـي ومتعارضة مع جوارها العربـي؟! هل أصبحنا على مقربة من مرحلة وضع حجر الأساس لدولة (الرفض العربي) لكل ما هو إسلامي وعربي، خاصة إذا كان منطلقاً من عقائد ومصالح أهل السُّنة في العراق وما حوله؟!

وهل آنَ أوان تمكين زعامات الأكراد العَلْمانيين المعادين للدين فـي أرض الفرات، ليكونوا جسـراً يعبر من فوقه أولياؤهم من اليهود محققين حلمهم القديم (من النيل إلى الفرات)، بدءاً من السفارات وتطبيع العلاقات، ريثما تأتي مرحلة الامتدادات والتوسعات؟!

كابوس رهيب، يزيده رهبـة تنامي الحديث عن فكرة إنشـاء (دولة الأحواز) الشيعية أو (عربسـتان الإيرانية)

(١) انظر: العدد (٢٤٣) من مجلة البيان.

لتكون خنجراً آخر في خاصرة أهل السُّنة، إذا ما قدِّر لها أن تقوم[1].

التقســـيم القائم فعلاً من الناحيـــة الواقعية إذا فُعِّل بالصورة الرســـمية؛ فإنه ســـيكون نموذجاً مشـــجعاً على التطبيق في أماكن أخرى من العالمين العربي والإســـلامي، يمكن أن تتكرر بشأنها أوضاع مشابهة لما حدث في العراق، مثل: السودان ولبنان وسورية ومصر وباكستان وأفغانستان وتركيا وإيران وأكثر بلدان الخليج العربي، وهذا ما تحكيه (خريطة الدم)[2] التي نشرت أخبارها في الآونة الأخيرة!

أمـــا البداية فكانت في بـــلاد البلقان التي كانت تابعة للخلافة العثمانية وذلك قُبيـــل الحرب العالمية الأولى، ثم فلسطين بُعَيد الحرب العالمية الثانية، حيث تزامن تقسيمها مع تقسيم الهند ليبدأ صراع مرير بين المسلمين والهندوس لم ينته إلى اليوم. واليوم وفي أجواء تشبه حرباً عالمية ثالثة، يجيء تقســـيم بلاد الرافدين، حيث المســـتهدف الأول في مخطط التقسيم ذلك هم أهل السُّنة في العراق وما حوله؛ لأن زلزال التقسيم إذا أصاب أرض الرافدين فشقَّقها إلى أخاديـــد عميقة؛ فإن توابعه لن تتوقف هناك، بل ســـتمتد على أرض بركانية، محملة بالحمم الطائفية والعرقية التي لم تُســـكِّنها على مدى القرون إلا حبال العقيدة الإسلامية وعُرى الأخوة الإيمانية.

• الحلول السياسية وخُفَّا حنين:

إن أهل السُّنة المستهدفين في العراق هم الذين شاء الله أن يُذِلَّ بهم أعداءَه، فهم الذين قاموا وحدهم في وجه الاحتلال الصليبي وهم الذين شاهوا وجهه وكسروا أنفه ووضعوا كبرياءه، في الوقت الذي تسابق فيه المنافقون والرافضة والعَلْمانيون لتقديم الخدمات المجانية ومدفوعة الأجر لقوات الغدر القادمة من وراء الحدود، ومع هذا تفوح روائح التآمر عليهم من جميع الأطراف!

أيكون هذا جزاء من دافعوا عن العراق وعن جواره العربي، بل عن بقية العالم الإسلامي المستهدف بالتغيير والتدمير؟! إن أهل السُّنة يُراد لهم - في حال التقسيم - أن يرجعوا مـــن كـــل ذلـــك بـــخفَّي حُـــنين، أو بدونهما، في أرض مقفرة من الخيرات الزراعية والمعدنية التي تغمر ما حولهم، حيث إن منطقة الجنوب - المخصصة للشيعة (منذ وضعت مخططات التقسيم) - تحوي ما نسبته ٨٠٪ من احتياط البترول في العراق، وذلك في محافظات البصرة وميسان وذي قار. أما في الشمال العراقي، حيث باقي ثروة العراق النفطية، فإن هناك اتفاقاً قديماً يجرى إحياؤه، هو اتفاق (حيفا - كركوك) لتوصيل نفط العراق إلى الكيان الصهيوني.

وتبقَّى لأهل السنة أرض قفراء صفراء ينازعهم الشيعة عليها لاشتمالها على مدنهم (المقدسة) في النجف وكربلاء والحلة! حيث الجماهير المليونيـــة التي تأتي إلى المزارات والأضرحة والقبور. قال عالم الشيعة (محمد بحر العلوم) في كلمة ألقاها في ٢٠٠٥/٤/٧م، في مؤتمر جامعي تحت شعار (إقليم الوسط مطلب جماهيري) -: «إنه حق طبيعي نقف إلى جانبه، ونحيي خطوة الفيدرالية؛ فهي مشـــروع وحدة، لا مشروع تقسيم»!

وقد دعا عادل عبد المهدي نائب الرئيس العراقي مؤخراً إلى البدء في فعاليات الفيدرالية وتشمل نصف محافظات العراق البالغة ١٩ محافظة.

مع كل هذا؛ فـــإن أرض أهل السُّـــنة المتنـــازع عليها

---

(١) دولة الأحواز أو (الأهواز) دعا إلى إنشائها هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي اليهودي المخضرم منذ ثلاثة عقود، وتمتد المنطقة بطول ساحل الخليج الشرقي، ومحاذية للحدود الغربية الجنوبية للعراق، وهي منطقة غالبية سكانها من الشيعة العرب الذين يبلغ عددهم ٨ ملايين نسمة، وتحوي أرض الأحواز نحو ٩٠٪ من نفط إيران، وكان لبريطانيا وجود استعماري فيها وفي جنوب العراق في القرن التاسع عشر، وكان الشيخ (خزعل الكعبي) - آخر أمراء العرب في الأحواز - من أهم حلفاء بريطانيا في بداية القرن الماضي، ولما سقطت الخلافة العثمانية قررت بريطانيا تسليم إقليم الأحواز إلى إيران، ليتقوى بها نظام الشاه الذي كان مواليا لها، وعقدت مع إيران عقدا مدته مئة عام، من ١٩٢٥م إلى عام ٢٠٢٥م. يلاحظ أن بريطانيا ركزت قواتها في الغزو الأخير للعراق في المنطقة المحاذية للأهواز، وهي تعدُّ تلك المنطقة خاصة بنفوذها، وأن الامريكيين الذين استدرجوا نظام الشاه للتحالف معهم لا بد أن يرفعوا أيديهم عنها، ولذلك دبرت هي وفرنسا لإنجاح ثورة الخميني نكاية في أمريكا..!!

(٢) نشرت تلك الخريطة مع مقال بعنوان (حدود الدم) للجنرال الأمريكي المتقاعد (بيتر رالف) وذلك في مجلة (القوة الأمريكية) التابعة للقوات المسلحة، عدد يونيو ٢٠٠٦م، وخلاصة المقال الذي يشرح الخريطة: أن التقسيم الحاصل اليوم في العالم الإسلامي غير عادل؛ لأن الدول الاستعمارية القديمة (إنجلترا وفرنسا) شكلت حدود بلدان المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية على أسس وظيفية عشوائية تخدم مصالحهما الاستعمارية، وهو ما تسبب في انحصار بعض الطوائف ذات القوميات والمذاهب المتفقة فيما بينها والمختلفة مع غيرها في صراع دائم داخل البلد الواحد، والحل هو إعادة تقسيم العالم الإسلامي على أسس عقدية وعرقية حتى يحل السلام!!

لا يُراد لهم أن يقيموا فيها سُـنَّتهم وشـريعتهم، كما يقيم الشيعة في الجنوب بدعهم وخرافاتهم، وكما يقيم الأكراد القوميون العَلْمانيون في الشـمال قوميتهم وعَلْمانيتهم، بل يُراد لأهل السُّنة أن يكونوا كياناً عَلْمانياً مسخاً تابعاً ذليلاً ضعيفاً فقيراً، يسـتجدي المعونـة الاقتصادية من جيران الجور في الشـمال والجنوب، ويسـتمد المعونة السياسية من دول الشـرق أو الغرب! فالمرتَّب لأهل السُّنة ـ كما قال الخبيثان اللَّذان صاغا مشـروع قرار (تقسيم العراق) في الكونجرس الأمريكي ـ هو أن يُورَّطوا في حلول سياسـية بأجندة أمريكية للتخلِّي نهائياً عن نهج المقاومة أو المشروع الجهادي الفاعل، باستبداله بمشروع سياسي فاشل.

لقـد كتب هذان الرجلان (جوزيـف بايدن) و (ليزلي جيلـب) مقالاً مشـتركاً في صحيفـة (النيويورك تايمز) (٢٠٠٦/٥/١م) جاء فيه: «إن فكرة التقسـيم تسـتند إلى ما تحقق في البوسنة، حيث يدير الأكراد والسُّنة والشيعة شـؤونهم، بينما تهمش الحكومـة المركزية، ونحن قادرون على تحقيق ذلك مع «إغراءات» تمنح للسُّـنة، كي يشاركوا فـي الحكم من خلال خطة مسـبقة للانسـحاب وإعادة نشـر القوات الأمريكية، وعَقْد حِلف عدم اعتداء»! يعني: معاهدة سـلام على نمط (كامب ديفيـد) أو (أنابوليس). واستطرد المـقال: «إن سُنـة العـراق ـ وهم القوة المحركة وراء (التمرد) ـ سـيرحبون بخطة التقسيم بوصفها بديلاً لحكومة مركزية تهيمن عليها حكومة يسيطر عليها الشيعة، إن تقسيم العراق سيكون على نمط ما حصل في البلقان، عندما قُسمت البوسنة قبل عقد من الزمن، وحين تم تقسيم البلاد التي مزقتهـا الحرب إلى فيدرالية عرقية، بموجب اتفاقية (دايتون)[١] التي توسطت فيها الأمم المتحدة».

إن معنى هذا الـكلام أن هناك تربُّصاً عقدياً بطائفة أهل السُّـنة، وعلى رأسـها الفصائـل الجهادية، كما كان التربص بمسلمي البوسـنة؛ كي يقبل أهل السُّنة الدخول في عمليـة (أنابوليـس عراقية)، مقابل الاشـتراك في الحكومة المركزية، التي ستكون مجرد هيكل شكلي، يديره الأقوياء، ويُدار مـن خلاله الضعفاء، وعندما تدخل بعض تلك الفصائل في حكومة من هذا القبيل فإن عليها أن تردَّ الجميـل، بأن تتمرد على ما سـماه الأمريكيون (التمرد)، لا بل تنوب عنهم في مواجهته، بعد أن تمعن في تشـويهه تمهيداً لحصـاره وضربه ـ كما يحصل لحمـاس حالياً ـ وعندمـا تُطهى هذه الطبخة، فليس على الأمريكيين جناح أن يقرروا الانسـحاب فراراً من الهزيمة، لكن تحت عنوان (إعادة الانتشار) والاسـتجابة لمطلب العراقيين بالتمركز فقط خارج المدن! وسيكون هذا انسحاباً (مشرِّفاً) ليحفظ لبوش ماء وجهه، ودماء جيشه!

هل هناك حقاً من سـيقبل بهذا من أهل السُّـنة في العراق؟! هل سـيظهر مَنْ يبيع انتصارات المجاهدين بثمن بخـس مقاعد معدودة فـي مجالس النخاسـة ومقاهي الساسة؟! هل سيبرز من سـيبني له كرسياً هشاً للسلطة من عظام الشـهداء مطلياً بدماء الضعفاء والأبرياء الذين قتلهم الأمريكيون بعشرات الآلاف؟!

هل نحن أمام نسـخة جديدة من «أبطال» الاستقلال، «خلفاء» الاسـتعمار، الذين سـرقوا انتصارات شـعوبهم ووهبوها للمسـتعمرين المسـتكبرين، مدَّعين أنهم أنقذوا أمتهم من الاحتلال وأوصلوهم إلى أحسن حال؟!

إن الصادقين يربؤون بأنفسـهم عن ذلك ويبرؤون إلى الله من ذلك.

• مستقبل العراق بين مشروعين:

شـهدت الآونة الأخيرة معالم تمايز بين المشـروعين الفاعلين لمواجهة تداعيات العدوان على العراق: المشـروع الجهادي والمشـروع السياسـي. ومن حيث المبدأ ما كان لهـذا التمايز أن يوجد؛ لأن الأصل ألا يكون هناك تناقض بين المشروعين في ظل المشـروعية الإسلامية العليا؛ لأن

(١) جرى التفاوض بشأن تلك الاتفاقية في مدينة (دايتون) الامريكية، في إحدى قواعدها الجوية، وبإشراف الامريكيين استمرت المفاوضات بدءاً من أول نوفمبر عام ١٩٩٥م، حتى العشرين منه؛ بهدف وضع حد للاقتتال الذي استمر إلى ثلاث سنوات، بين المسلمين البوسنيين من جهة، وبين الصرب الارثوذكس والكروات الكاثوليك من جهة ثانية، وقد راح ضحية هذا الاقتتال الديني نحو مئة الف مسلم بوسني، وقادت المفاوضات إلى قرار التقسيم الذي عرف بـ (اتفاقية دايتون للسلام)، وقسمت (يوغسلافيا) السابقة بموجبه إلى كيانين، الأول: كيان فيدرالي بين المسلمين والكروات، والثاني: جمهورية للصرب، في ظل حكومة مركزية هشة، أصبحت تلك الكيانات في ظلها أشبه بدول مستقلة لكل منها جيش وشرطة، لكن الحلقة الأضعف فيها هي حلقة المسلمين البوسنة الذين لم تستقر أحوالهم حتى الآن!



الطريقــين مكملان لبعضهما، حيث لا جــدوى من جهــاد بلا خطة ولا ثمرة، ولا فائدة من سياسة مجردة من الحق الذي تحميه القــوة. إلا أن الواقع على الأرض في العراق يكرِّس مع الوقت هذا التمايز والتفريق، حتى صار يُشــار إلى أناس بأنهم أصحاب مشــروع سياســي، وإلى آخرين بأنهم أصحاب مشــروع جهادي! بــل الأدهى من ذلك أنه وُجد اختلاف في المعايير، بين ما هو شــرعي وبين ما هو سياسي، مع أن المفترض أن تكون المعايير كلها عند المسلم مستمدة من ضوابط الشريعة وثوابتها، سواء في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو غير ذلك.

إننا نفهم أن الشيء بالمعايير السياسية - غير الإسلامية - قد يكون قمةً في الذكاء والحيلة، وإبداعاً في ابتكار الوسيلة، لكن ذلك الشيء نفسه قد يكون في المعايير الشرعية غاية فــي الانحطاط، وذروة في الظلــم، ونهاية في الغباء وقلة الدهاء وقصر النظر...!

خذ مثــلاً معاهدة (كامب ديفيد) بــين مصر والكيان الصهيونــي في سبعينــيات القــرن الميلادي الــماضي، أو معاهدة (أوســلو) بــين منظمة التحرير الفلســطينية والمحتل الغاصب؛ فإنهما في نظــر بعض الناس - بالمعايير السياســية - عبقرية دبلوماســية، وإلهام ســبق عصره، واختراق قلَّ نظيره! بينما هما في المعايير الشرعية افتراء على الحقيقة وازدراء لثوابت الأمة، وافتئات على أهل الحل والعقد فيها، ومغامرة ومقامرة غير محسوبة العواقب.

ولو أخذنــا مثالاً مقابلاً كمواقــف (طالبان) المتعددة في تاريخها السياســي القصير؛ فإنها بالمعايير السياسية اللادينية البحتة تهوُّر في غير محله، وقصر نظر سياسي، وتخلُّف دبلوماســي، وجهل بالمآلات والحسابات والمعادلات الدولية والإقليمية، بينما هي - في أغلبها - بالنظر الشرعي إعزاز للمبدأ، وإحياء لروح العقيدة، وإعلاء لقيم الشريعة، وإضافة معالم واضحة في طريق الوصول إلى تمكينها.

• «التقسيم العقدي».. لصالح من؟

إذا كانت مشــروعات تقســيم العالم الإســلامي في الســابق ركزت على الجانب العرقي والجغرافي وغيرهما؛ فإنها في المرحلة المقبلة تريد التأكيد على الجانب العقدي، الذي يتكتل فيه المبتدعة مع المنافقين المظاهرين للكافرين ضد العرب والمســلمين المنتمين لعقيدة السُّــنة. والعقيدة الإســلامية الصحيحة على وجه التحديد إذا دخل أهلها فخَّ القســمة؛ فإن ذلك من أجل عزلها وحصارها؛ لتمكين أعدائها منها.

هذه ظاهرة تحتاج إلى رصد، فأهل السُّــنة في العالم - وليــس في العــراق فقط - يجري اســتهدافهم بانتظام واضطراد. وكلما كان أخذهم من الحق والسُّــنة أكثر كان التربُّص بهم أكبر. ومن تأمَّل في خطط التقســيم العقدي يمكن أن يكتشــف أن دوائر الحصار تضيِّق عليهم في كل مكان، وعلى جميع المســتويات، بدءاً بالمســتويات العالمية، وانتهاءً بالمســتويات المحلية، مروراً بالمستويات الإقليمية، وانظر ما يحدث في فلسطين. والعجيب أن اليد الباطشة المستعملة في كل حالات ذلك الاستهداف؛ هي يد العملاء المنافقين، الذين يتجرؤون في غالب الأحيان على ما يعجز عنه الأعداء الظاهرون. وأي قسمة في بلاد المسلمين تجعل من أولئك المعادين أصحاب اليد الطولى والكلمة العليا!

أمر لافــت حــقاً أنه لا على المســتويات العــالمــية أو الإقليمية أو المحلية يُسمح - في تلك القسمة الضيزى - أن يكون لأهل السُّنة الصادقين وجود له كفاية ونكاية، ولو للدفاع عن النفس، وذلك عن ســابق إصرار وتعمُّد، والأمر ليــس مصادفة، بل هو بالفعل عمل متعمَّد مقصود، فكيف يمكن أن نفسر سماح «الشرعية» الدولية بكيانات هندوسية وبوذية وشــيوعية وإلحادية ونصرانية ويهودية تكون قوية وغنية ونووية، في حين لا تسمح تحت أي ظرف بقيام دول أو كيانات تقوم قابلة للبقاء على الشــرعية الإسلامية، ولو كان هذا عن رغبة شعوبها وإجماع أهلها؟!

إن الاســتثناء الحاصل في حدود ضيقة جداً في هذا الصدد يُعد من الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، وإلا فإن العالم كله مستعدٌّ أن يُجيِّش ضد أي مشروع إسلامي سيــاسي أو جهادي يطمح في التحول إلى دولة إسلامية.

إن الدولة (الإســلامية) منزوعة العقيدة، أو منزوعة

القوة والسيادة؛ هي الصيغة الوحيدة المعتمدة في التقسيم العقدي القادم؛ إذا تُرك الأمر لأهواء الأعداء. وما يحدث في فلسطين اليوم مثال صارخ على هذا، فالعالم المطالَب بالاعتراف بالدولة الصهيونية بوصفها دولة «يهودية» كما ألحّ (أولمرت) قبل مؤتمر (أنابوليس) وبعده؛ لا يمكن أن يعترف بدولة فلسطينية إلا أن تكون عَلْمانية، وكذلك لا يمكن أن يعترف بدولة في البوسنة أو في تركيا أو الشيشان أو الصومال أو السودان أو غيرها إلا بهذا الشرط المجحف والمخيف، حيث لا يكتفي في هذه الحالة بعَلْمانية الدولة بوصفها شرطاً للاعتراف بها والتعامل معها، ولكن لا بد أن تكون حامية لهذه العَلْمانية بقوة الجيش والشرطة والقانون! فهل ستظل المشروعات الإسلامية تربط نفسها بذلك الاعتراف وبتلك المشروعية المفتراة؟!

إن «الشرعية الدولية» القائمة على المصالح الصليبية، في المقام الأول لن تسمح - لو طلب منها السماح - بدولة يقيمها السُّنة في العراق أو غيره، تقيم شريعة الله على الوجه الصحيح، مع أنها - ويا للعجب! - سمحت بدولة - بل أكثر - للشيعة الإثني عشرية والشيعة النصيرية وغيرها، وهي على استعداد للسماح بدولة درزية أو قبطية أو مارونية أو إسماعيلية؛ لو وُجدت مقوماتها.

في العراق الآن من الناحية الواقعية دولة شيعية، ليس في الجنوب فقط، بل إن الحكومة المركزية نفسها هي حكومة شيعية، وهناك أكثر من كيان شيعي شبه ممكن يستعد للانقضاض معلناً عن نفسه؛ كعصابة مقتدى الصدر، وثلّة عبد العزيز الحكيم، وكلا الكيانين له قوته العسكرية وإمكاناته المعيشية، وأرضه التي يسيطر عليها. ولا اعتراض عندهم على إنشاء أو بقاء تلك الكيانات أو الدويلات ما دامت لها وظائف تخدم المنظومة العامة لقوى الاستكبار الدولي في ضرب المسلمين بعضهم ببعض.

والأكراد فرغوا من أمرهم منذ زمن، فلهم حكومتهم المستقلة، ولهم برلمانهم وقواتهم، بل لهم عَلَمهم الرسمي ونشيدهم الوطني، ويبقى فقط أن يتبادلوا السفارات ويمنحوا التأشيرات ويزاولوا العلاقات مع بقية دول العالم، ولولا أن عَلْمانية زعماء الأكراد - المنسوبين للسُّنة - قد وصلت إلى القاع والنخاع لما مُكنوا وما تُركوا.

أهل السُّنة العرب في ورطة حقيقية في ظل خيارات خطة (بايدن)، والظاهر أنه لن يُسمح لهم في ظل الحلول السلمية السياسية التي تستجدي (الشرعية الدولية) إلا أن يكونوا في مثل حال مسلمي البوسنة؛ ففي ظل خطة (دايتون)! لن يستطيعوا مقاومة الشيعة من تحتهم أو الأكراد من فوقهم إذا أرادوا انتقاص الأرض من تحت أرجلهم، على طريقة المستوطنات اليهودية في فلسطين. وأيضاً لن يُسمح لهم في حال إقامة (حكومة سلطة وطنية) في الجزء المرسوم لهم أن تكون لهم قوات إلا كقوات عرفات سابقاً أو محمود عباس لاحقاً، حيث سيكون المسموح فقط لتلك الحكومة (السُّنية) أن تقاوم المقاومين، وتطارد المطاردين من المسلمين المستضعفين والمجاهدين الصامدين، حتى لو اضطرهم ذلك إلى التحالف مع (تحالف الشمال) الكردي، أو (تحالف الجنوب) الشيعي!

إن هذا السيناريو المزعج لا يمكن استبعاده في ظل عدد من التنازلات الخطرة التي قاد بعضها إلى بعض، والتي ستفتح شهيَّة العدو العنيد إلى المزيد والمزيد، حيث كان من هذه التنازلات والمخالفات:

- المشاركة في حكومة يترأسها حاكم عسكري تابع لدولة معادية معتدية.

- الموافقة على الاستفتاء على الدستور الباطل الموضوع من قِبَل المحتلِّين والمشرِّع للتقسيم (قبل إقراره)!

- الدعوة إلى الاستفتاء على هذا الدستور، وإعطاء المشروعية له بالموافقة عليه (بعد صدوره) مع مخالفته الصريحة لمبادئ الإسلام، ولمصالح العراقيين.

- دخول المجلس التشريعي (البرلمان) تحت سلطة الاحتلال، وإضفاء المشروعية عليه بهذا الالتحاق، رغم بطلان ذلك البرلمان، حتى بالموازين التي تعارفت عليها الدول.

- الدخول في الانتخابات التي أضفت شرعية قانونية



على النظام العميل.

- اتخاذ مواقف مناوئة للقوى المقاومة للاحتلال، سواء على المستوى السياسي أو المستوى العسكري، مع أن من ناوؤوا الاحتلال وقاوموه وجاهدوه؛ هم أصحاب الفضل - بعد الله تعالى - على كل العراقيين، بمن فيهم أولئك المتورطون في التنازلات والمخالفات، حيث إن مشروعاتهم السياسية، لم تُبنَ إلا على ما أقامه المقاومون المجاهدون من وقائع جديدة على الأرض.

إننا أصبحنا أمام مواقف تقول: إن من بذلوا في العراق كل شيء لا ينبغي أن ينالوا أي شيء، ومن لم يبذلوا على أرضه أي شيء ينبغي أن يأخذوا كل شيء!

وعندما يقال الآن: إن الأنسب للعراق أن يُسلَّم لحكومة (تكنوقراط)(1) انتقالية؛ فينبغي أن يكون حاضراً في الذهن أن تلك الحكومة ستمرر أو تبرر كل التنازلات والمخالفات التي وقعت، وستضيف إليها ما هو أكثر منها، وستكون أقرب إلى مصالح الأمريكان منها إلى مصالح العراقيين والعرب والمسلمين؛ فالتكنوقراطية هي البوابة الخلفية للعَلْمانية.

هل قاتل المجاهدون في العراق وقدموا آلاف الشهداء وعشرات الآلاف من الضحايا الأبرياء، لأجل أن يتحول ذلك البلد العظيم من عَلْمانية بعثية إلى عَلْمانية أمريكية تحت زعم حكم (التكنوقراطية)؟!

في الآونة الأخيرة طُرحت تصورات ومبادرات لمشروعات سياسية يُخشى أن تكون في المستقبل جزءاً من آليات التقسيم الذي سيكون على حساب أهل السُّنة. ومع أن ذلك الأمر قد لا يكون مقصوداً أو معروف العواقب إلا أن تجارب العمليات السياسية التي تحاول استباق نتائج الجهود الجهادية دائماً ما توصل إلى تلك النتائج.

لن أخوض في تفاصيل تلك المشروعات السياسية المطروحة على الساحة العراقية، ولا في رموزها وأطرافها، ولا في سلبياتها أو إيجابياتها، ولكن يكفي إثبات أن هناك ثوابت سياسية معيارية مستقاة من الأصول الشرعية للتعامل مع هذه الأزمة التي لا تخص نازلتها العراقيين وحدهم، بل تعم الأمة كلها، علماً أن هذه المعايير والأسس كافية - بإذن الله - للخروج من كل أزمات العراق، ومن ضمنها بل وفي مقدمتها مؤامرة التقسيم.

ومن هذه الثوابت والمبادئ التي لا ينبغي تجاوزها وَفْق ما هو معلوم من مقررات الدين ومن أقوال ومواقف علماء المسلمين:

* أن إخراج العدو المعتدي على ديار المسلمين والمتآمر على شعوبهم حق وواجب، واستخدام كل الوسائل المشروعة في ذلك على المسلمين كافة يتقلب بين فرضَيِ العين والكفاية؛ لقوله - تعالى -: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]. وإن القائمين بذلك في حالة الكفاية يرفعون الإثم عن القاعدين. وأما في حالة التعيين فليس على مضيعيها أي حق في الإنكار على من قاموا بالواجب؛ إلا فيما فيه تجاوز محقق خارج عن إطار الاجتهاد.

* أن كل من ظاهر الأعداء وانحاز إليهم في حال عدوانهم على المسلمين له حكمهم في وجوب التصدي بحسب القدرة، وأن موالاة هؤلاء على المسلمين لا تقل جُرماً عن موالاة الأعداء الظاهرين: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٨٨].

* أن إزالة آثار العدوان على الأمة يدخل فيه إزالة آثار عملائه الذين ظاهروا على المسلمين والذين يمكن للمعتدين أن يستخلفوهم في كل ما يريدونه لو خرجوا من بلاد المسلمين: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ

(1) حكومة الـ (تكنوقراط) هي حكومة مختارة من النخب المتخصصة المثقفة غير المنتمية إلى أفكار أو عقائد أو أحزاب أو (أيديولوجيات) معينة، وهي مشتقة من كلمتين (تكنولوجيا) وتعني: المعرفة والعلم، و (قراط) وتعني: الحكم، فيقصد بها على ذلك: الحكم بموجب آخر ما انتهت إليه خيارات العصر، وخيارات العصر (عندما يأخذ بها التكنو قراط) في السياسة: هي الديمقراطية الغربية وبالذات الأمريكية، والخيار المختار في الاقتصاد المعاصر هو الرأسمالية، وخيار التكنوقراط في مجال التشريع والتقنين والقضاء لا يمكن أن يكون إسلامياً، مهما ادعت حكومة التكنوقراط أنها إسلامية.

فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

* اعتبار أن التصدي للمعتدي على بلد من بلاد المسلمين فرع عن التصدي الواجب ضد الطغيان في كل مكان بحسب الإمكان، وفي ضوء المصالح والمفاسد، وبحسب ما يناسب المقاصد؛ فقضايا الولاء والبراء لا تقاس بالمعايير القومية أو الوطنية، بل تُقاس فقط بالمعايير الشرعية العقدية؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

* أن رصَّ الصفوف بين طوائف المسلمين لردِّ المعتدين هو أولى ما يبذل فيه السياسيون جهود التقارب، وأسبق ما يستفرغون فيه الوسع في عمليات التفاوض، حيث إن تقريب وجهات النظر بين فصائل المسلمين، وفتح الجسور معهم وردم الهوّات بينهم؛ أولى آلاف المرات من تقريبها مع المعتدين وأعداء الدين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

* مراعاة أن الحدث العراقي ضخم، والنازلة فيه عظيمة جاءت في ظرف ضعف عام في الأمة، حيث لا ريادة ولا قيادة ولا مرجعية عامة تُلزم الجميع، فالنازلة هنا كالحريق الكبير، الذي تداعى الناس على إطفائه لا يلوون على شيء، من دون فرصة للتنسيق أو الترتيب أو التأنّي، وفي مثل تلك الحال لا يعاب على المبادرين لإطفاء النار بقدر ما يعاب على من ساهموا في شبِّها أو سكتوا عن ذلك بغفلة أو سوء قصد.

* الاعتبار بتعدد الاجتهاد فيما لا نص فيه، والتعاذر والتغافر وَفْقاً لذلك، وهذا أولى من التنافر والتناحر الذي قد يفضي إلى انشغال المسلمين ببعضهم بدلاً من الاشتغال بعدوهم، وقد قال النبي ﷺ: «لا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً»[1]، وقال ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم»[2].

* الاستناد إلى القيمة الإسلامية العظيمة، التي تَعُدُّ الرابطة العقدية أوْلى من كل الروابط القومية أو العنصرية أو الوطنية أو المذهبية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. فالأصل أن أهل السُّنة يد واحدة على من عاداهم، وأنهم مع بقية أهل القبلة على من سواهم، ذلك كان هؤلاء على أصل الولاء لله وللرسول وللمؤمنين.

* الانطلاق من مبدأ العمل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وأن يكون ذلك العمل (في سبيل الله) بمعنى أن يكون لله وعلى الطريق الموصلة إلى الله، وذلك في كل الأعمال المشروعة، وفي أعلاها وفي ذروه سنامها: الجهاد في سبيله جل وعلا.

* اعتماد اليقين في الحكم على الآخرين، قبل التقاذف بالتهم، والتهجم بالظن، واستحلال الكلام في النوايا والخوض في الأعراض الذي يقود إلى إحلال الدماء وإهدار الحرمات.

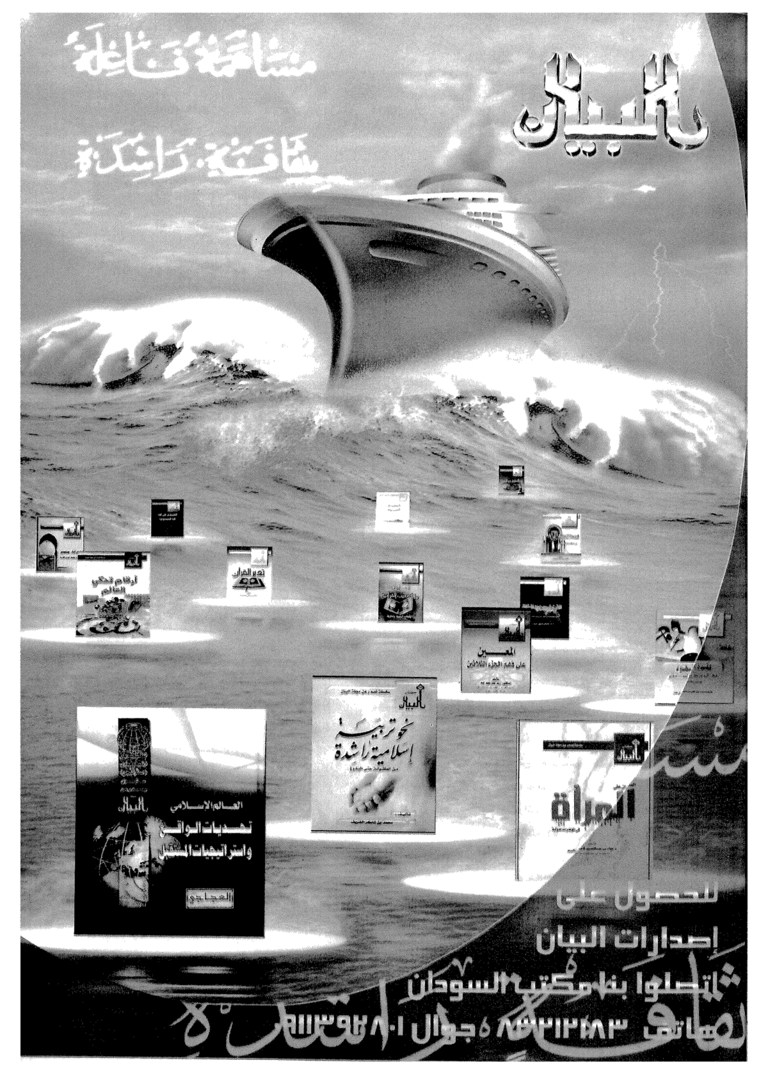
* المزاوجة بين المشروعين الجهادي والسياسي هو الخيار الأمثل، بعد ترشيدها وضبطها بمحكمات الشرع وثوابت الدين، وإذا كان لا بد من اكتفاء فصيل بأحد المشروعين فلا ينبغي أن يكون على حساب المشروع الآخر، وليأخذ كل منهما مداه - مع استمرار الترشيد - حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

نرى أنه إذا خلا أي خطاب أو خطة أو مشروع (إسلامي) من هذه المعاني، في مثل نازلة كاحتلال العراق، التي لا تقل عن نازلة اجتياح التتار أو هجوم الصليبيين؛ فإنه لا يستحق وصف (إسلامي) ولا كرامة.

والله نسأل أن يحفظ العراق وأهله من مكر الماكرين وكيد الكائدين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٠٦٤).

(٢) رواه الضياء المقدسي في المختارة (٣٤٩/٥)، وابن الملقن في البدر المنير (١٥٩/٩)، وقال: صحيح، ورواه ابن حزم في المحلى (٣٥٣/١٠)، وقال: إنه من رواية الثقات.


مشاركة فاعلة
ثقافة راشدة
البيان
أرقام تحكي العالم
تدبر القرآن
المعين على فهم الجزء الثلاثين
نحو تربية إسلامية راشدة
العالم الإسلامي
تحديات الواقع واستراتيجيات المستقبل
المرأة
للحصول على
إصدارات البيان
اتصلوا بنا مكتب السودان
هاتف ٨٣٢١٢١٨٣

قراءة تحليلية لانتشار الفساد في أجهزة الحكم الصهيونية

ظاهرة الفساد في أجهزة الحكم الصهيوني



مقولة صادقة ومعبِّرة أعلنها رئيس الكنيست السابق «أبراهام بورغ»، حين صرَّح قائلاً: «إن (دولتهم الصهيونية) غدَتْ دولة من المستوطنين تقودها زمرة من الفاسدين»، أُطلقت هذه العبارة قبل ثلاثة أعوام... تُرى ماذا عساه سيقول اليومَ وفضائحُ الفساد تطارد قادة «واحة الديمقراطية» في الشرق الأوسط؟

أسئلة مهمة تطرحها فضائح الفساد الأخيرة التي هزَّت دولة الكيان، لدرجة أنها نالت مختلف مستوياتها، بدءاً بصغار الموظفين في الوزارات المختلفة، مروراً بأعضاء الكنيست وكبار الوزراء ورئيسي الحكومة والدولة، وانتهاءً بسُلطتي القضاء والجيش، اللتين يعوِّل عليهما الصهيوني في توفير الحماية له.

عدنان أبو عامر(*)

• أولاً: مسلسل الفساد.. يبدأ ولا ينتهي:

ليس بالإمكان في هذه العجالة إجراء مسْح إحصائي دقيق لمسلسل الجرائم الأخلاقية والفضائح المالية التي أصبحت تغطي الصفحات الأولى والساعات الثمينة لوسائل الإعلام الصهيونية، ومع ذلك فليس بالإمكان المرور بهدوء على أبرزها وأفدحها، ومنها:

- الفضيحة الجنسية التي طاردت رئيس الدولة «موشيه كتساب»؛ حيث اتُّهِم بالتحرُّش، بل محاولة اغتصاب عدد من الموظفات العاملات في مكتبه.

- الفضائح المالية المتتالية التي تلاحق رئيس الحكومة «إيهود أولمرت» بدءاً بالرِّشى المقدَّمة له، وانتهاءً بصفقة خصخصة بنك «لئومي» لدرجة أطلقت عليه وسائلُ الإعلام وصفَ «ورقة الشجر الذابلة».

- التورُّط المشين لمديرة مكتب أولمرت «شولا زاكين» في قضايا غش وفساد وإساءة الائتمان، واستغلال موقعها الحساس في تعيين موظفين كبار، علماً بأنها ترافق أولمرت منذ ثلاثين عاماً.

- الزلزال الكبير الذي أصاب سُلطة الضرائب، التي تَبيَّن أنها تحوي مجموعة من الفاسدين الذين يُفترَض أنهم مؤتَمَنون على أموال الدولة؛ بمعنى أن «حاميها حراميها» حيث اعتُقِل رئيس سُلطة الضرائب «جاكي ماتسا». ويتم التحقيق مع ٢٠ مسؤولاً في الجهاز الضريبي، وأربعة مقاولين بتُهم تلقِّي وتقديم رِشى.

- الوصمة المعيبة التي ثبتت بحق وزير العدل «حاييم رامون»، المتَّهَم بمحاولة (تقبيل) سكرتيرته رغماً عنها.

- الفضيحة التي غدَتْ تلاحق وزير المالية المستقيل «أبراهام هيرشيزون»، المتَّهم بشُبهة السرقة وتبييض الأموال،

*) باحث فلسطيني في الشؤون الصهيونية.

والخداع والتآمر على تنفيذ جريمة.

علماً بأن قائمة الفســاد الصهيونية طويلة؛ فقد اضطُر الرئيس «عيزر وايزمن» للاســتقالة في يوليو ٢٠٠٠م؛ بسبب فضيحة تهرُّب من الضرائب وفساد. وقد شكَّل رئيس الوزراء «أريئيل شارون» علامة فارقة مع عائلته في تاريخ الفساد من حيث تلقِّي الرِّشــى، وجاء الحكم على وزير الحرب «إســحاق مردخاي» بالســجن ١٨ شهراً مع وقف التنفيذ بتهمة الاعتداء الجنســي على موظفة في وزارتــه، وملاحقة القضاء لرئيس حزب الليكود «بنيامين نتنياهو» المشتبه بأنه أراد تسديد كُلْفة أعمال ترميــم أجراها في منزله الخاص مــن أموال دافعي الضرائب، وأنه حاز هدايا تلقَّاها بصفته رئيســاً للوزراء، في حين يفترض به أن يعيدها إلى الدولة.

وعليه، فثمة من يرى أن الكيان الصهيوني دولة قائمة على نســبة فســاد عالية، وهو ما خلُص إليه تقريرٌ للبنك الدولي، رفضت معظــم الصحــف الصهيونية نشْــرَه؛ لأنه اعتبَر أن نسبة الفساد في المؤسسات الرســمية الصهيونية فاقت النســبة المقبولة في الــدول المتقدمة؛ حيث وصلــت إلــى ٨,٨٪، بينما في الدول الغربية لا تزيد على ٤,٩١٪، مما وضع دولة الكيان في أسفل سُلَّم الدول الغربية، وعلى رأس قائمة الدول الأكثر فســاداً في مجموعة الدول المتقدمة، كما اعتبرها مــن الدول الأكثر خطورة من حيث عدم تطبيق القانون، والفلتان الاقتصادي، وترسُّــب ظاهرة الفســاد في المؤسسات الأهلية والحكومية والخاصة على حد سواء.

" نسبة الفساد في المؤسسات الرسمية الصهيونية فاقت النسبة المقبولة في الدول المتقدمة "

• **ثانياً: نخبة سياسية مادية تعبد المال:**

ليس من تحليل منطقي لحالات الفســاد المتلاحقة سوى أن المســؤولين في دولة الكيان الصهيوني غدوا ماديِّين جدّاً، وبصورة شرهة، بل يســجدون للمال! ويرون أن الدنيا والدين موجودان في البورصة وأســهم شركات الهاي تك. ولذا، فإن التســابق المحموم نحو جَمع أكبر قَدْر ممكن من الثروة والمال، يفتح الباب على مصراعيه على صفقات الفســاد وشــبهات السرقة، لا سيما في ضوء ضعف جهاز القانون، وارتفاع سقف الشبهات حول الشرطة والنيابة العامة وجهاز المحاكم.

هنــاك تأثيــرات كبــرى وهــزات ارتدادية لزلــزال الفساد المتوالي من فضائح الفساد، ومنها:

١- التأثير الأول يتعلق بالمواطن العادي واتســاع زعزعة الثقة بالمؤسسة الحاكمة، وَفقاً لاستطلاع معهد «داحاف» الذي أكَّد مؤخــراً أن غالبية الصهاينة يؤكــدون بما لا يدع مجالاً للشــك، أنهم لا يثقــون بقادتهم، واتهامهم لهــم بالتورُّط في قضايا فساد.

٢- تأثيــرٌ لا يقــل أهمية، يتعلق بمســتقبل نظام الحُكم السياســي الصهيوني؛ ذلك أنه عندما يتم التحقيق مع رئيس الدولة ورئيس الحكومة وأقطاب المؤسسة الحاكمة في قضايا فساد وضلوعهم فيها؛ فإن ذلك يهدِّد استقرار الحكومة، بحيث إنْ قرَّرَ المستشــارُ القضائي تقديمَ لائحة اتهام ضد «أولمرت»، فلن تكــون هناك حكومــة عملياً؛ لأنه ســيتم حلُّها على الفوْر بعــد أن يقدم استقالته طوعيّاً.

٣ – التأثيــر العالمي لهذا الفســاد المتنامــي وصل إلى حد قيام الســفراء والقناصــل الصهاينــة بإبــلاغ وزيرة الخارجية «تســيبي ليفني» بأن الدول التــي يخدمــون فيها قلقــةٌ من حجم الفساد في الدولة. وقال الدبلوماسيّون: إنَّ نشْــرَ قضايا الفســاد بصورة يومية ألحق ضــرراً كبيراً بصــورة «الدولة» على مســتوى العالم، بحيث يطغى حدثُ الفساد على كلِّ لقاء يعقدونه مع أيِّ وفد سياســي وصحافيين وصناع رأي عام في تلك الدول، لا سيما في أوروبا الغربية والولايات المتحدة.

٤ – التأثير الأكثر أهمية لهذه الفضائح، لخَّصها الخبيران الأكاديميان: البروفيســور «يســرائيل أومان» والبروفيســور «أهارون تشاحنوفر» حيــن أقــرّا بتــدهور القِيَــم واضطراب الروح وأُفولها فــي دولة الاحتلال، التي تســير – بنظرهما – فــي الاتجاه غير الصحيح، وتنجرُّ فــي الظُّلْمة نحوَ هلاكٍ محتَّم، ليس بســبب أعدائها الخارجيين؛ وإنما «بسببنا نحن

الشـــعب وقياديِّينا أو من يدَّعون القيادة.نحن ـ الإسرائيليين ـ لدينا قيادة تعيش الوقت كله تحت علامة اســـتفهام أخلاقية، والجمهور لا يثق بها».

كما كانت عضوة الكنيســـت «زهافا غالؤون» أكثر صراحة حين قالت على منصّة الكنيست كلاماً خطيراً جداً، نُورده هنا لأهميته: «يقال: إن القوة المطلقة تُعتبر فاسدة بصورة مطلقة، ولهـــذا فالامتحان ليـــس بوجود أو عدم وجود فســـاد، وإنما الامتحان في وجود أجهزة ومؤسســـات تحارب هذا الفساد، وهل هذه المؤسسات والأجهزة تعمل عندنا».

الفســـاد السياسي في الكيان الصهيوني واضح، فالجميع يراه، لا سيما مظاهر الامتيازات الحكومية: الرشوة، والتعيينات السياسية. وهذا الفساد منتشر بدءاً برئيس الحكومة، ومروراً بالوزراء وأعضاء الكنيســـت، وانتهـــاءً بالموظفين الكبار وقادة الجيش، هذا كله يؤدي لأنْ تكون الشـــرطة وسُـــلطة القضاء مشلولةً بصورة تامة.

• ثالثاً: مستقبل حكومة أولمرت «الفاسدة»:

فـــي الوقت الذي أقرّ فيه الكنيســـت الموازنةَ العامة للعام الجديـــد دون عقبات جدِّية، وبينما تتمتـــع الحكومة الحالية بقاعدة برلمانية قوية (٧٧ نائباً من مجموع ١٢٠ عضو كنيست) فإن الأسابيع المقبلة هي التي ستحدد مصير هذا الائتلاف، دون اســـتبعاد أن تحفل هذه الأسابيع بتطورات تنعكس على عموم الأوضاع في الســـاحة الحزبية الصهيونية، لا ســـيما في ظِلِّ الترقُّب الحاصل لنشر التقرير النهائي للجنة (فينوغراد).

وتتحدث أوساطٌ إعلامية عن أجواء من الإحباط العميق تعمُّ مكتب (أولمرت)، وأنه شـــخصياً قلِقٌ من هذه الأجواء ومن قضايا الفساد الأخيرة، وأشارت إلى حقيقة أنه لم يعد يحظى بثقة الصهاينة الذين يشـــكُّون في كل خطوة يخطوها، أو في أيِّ تصريح سياســـي يُدلي به، ويُدرجونه فـــي إطار الاعيبه الإعلامية التي طالما اشتهر بها قبل أن يتسلّم منصبه الحالي، ويتّهمونـــه بضلوعه في أي قضية فســـاد يتمُّ الكشـــف عنها، ويعدون أن عهدَه «الأكثر فساداً» ممـــا سبّب إساءة بالغة لصورة الدولة وسمعتها على الصعيد الدولي.

ووفقاً لمصادر صهـيونيـــة مختـلفة، فـإن هـذه الجـرائم لا ترتبط فقط بسوء الأحوال الاقتصادية وتدهورها، وانتشار



البطالة وتدنِّي مســـتوى المعيشـــة، كما يـــروِّج بعض المحللين والباحثـــين الصهاينة؛ بل هي متجذِّرة في المجتمع الصهيوني، بل إن الفســـاد يستشـــري بصورة أكبر في الشرائح العليا من المجتمـــع التي تملك السُّـــلطة والنفوذ فـــي الدولة، مما دفع بـ «أوري أفنيري» رئيس كتلة الســـلام اليســـارية للقول: «منْ المتعارف عليه أنَّ رئيس الدولة يمثِّل القاســـم المشترك الأعلى لـــكل مواطنـــي الدولة، ولذلك فمن الحريِّ بـــه أن يمثِّل هذه الميزة أيضاً. وبالفعل، من الصعب أن تجد وقاحة أكثر تجسيداً للفســـاد من الســـلوك الحالي الذي أنتجه (فخامة) الرئيس «موشيه كاتساف» إنه المثل الأعلى للوقاحة الصهيونية».

في السياق ذاته، تُوجد في أوساط القيادة العليا في دولة الكيان مؤشرات مقلِقة جدّاً من الفساد الشخصي والمؤسساتي والزعماءِ الذين يعانون من انعدام خطير في تخطيط السياسة بشـــكل معمق، وهم عديمو المعرفـــة والفهم لدرجة الجهل في مواضيع معينـــة... هكذا كتب البروفيســـور «يحزقيل درور» عضو لجنة (فينوغراد).

«درور» هو الرئيس التأسيسي لمعهد تخطيط سياسة الشعب اليهودي في القدس، كتب ذلك في وثيقة داخلية ســـرِّيَّة تحت عنوان «زعماء كبار للشعب اليهودي للقرن الـ ٢١»، عُرِضت في المؤتمر الذي عُقِد مؤخّراً المكَرّس للشـــعب اليهودي، ويحرص على عدم ذكر أســـماء الزعماء الذيـــن يقصدهم، لكن أقواله موجهة للقيادة الصهيونية في الســـنوات الأخيرة: للموظفين الكبار، للنواب، ولزعماء الشـــعب اليهودي في الشـــتات. وفي ضـــوء التحديات التـــي تواجه دولة الكيـــان، يتحدث (درور) عن الحاجة العاجلة لتطوير وتحســـين القيادة العليا للشـــعب اليهودي.

• رابعاً: الفساد .. مقدّمة لانهيار الدولة:

عند الحديث عن الفساد في الكيان الصهيوني بالمقارنة مع جميع دول العالم الغربي، سنجد أنها تقع في الدَّرْك الأسفل؛ فقد تدهورت خلال عشر سنوات من المكان الرابع عشر في مؤشر الفساد العالمي إلى المكان الـ ٣٤، بعد أن غدَتْ تتكشَّف بين الفينة والأخرى فضيحةٌ جديدة مثيرة أكثر من سابقاتها، والدولة ما زالت ماضية في السقوط إلى الهاوية الفظيعة.

الفساد في الكيان الصهيوني، كما يقول خبراء الإدارة والحُكم أنفسهم، مفزِعٌ ومخيف، وإذا لم تستدرك الدولةُ ذاتَها، فإنها ستنهار مثلما انهارت دول فاسدة في الماضي، وسيأخذ هذا الانهيار أشكالاً عدة:

– سيفقد المستثمرون ثقتهم بالاقتصاد الصهيوني؛ إذ إنهم سيدركون أنه لا توجد هنا استقامة ومعايير نزيهة، ومن ثَمَّ سيعزِفون ببساطة عن استثمار أموالهم في الدولة.

– فضلاً عن ذلك؛ فإن نتائج حجْب ثقة الشعب عن الطبقة السياسية والفجوات الفظيعة الآخذة بالتفاقم بين شرائح المجتمع والطبقات الاقتصادية، ستؤدي بالجمهور إلى فقدان ثقته بالمؤسسة برُمَّتها والمطالبة باستبدالها أو تصفيتها.

– سيتفاقم الفساد المستشري، وسيشجع ذلك ثقافة الكذب والغش، وستكون العواقب الاقتصادية وخيمةً وكارثية، والتاريخ حافل بالأمثلة والشواهد على ذلك.

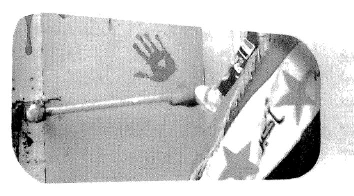
والسؤال هنا: كيف يمكن أن تُدار شؤون دولة الاحتلال التي تدّعي أنها الديمقراطيةُ الوحيدة في الشرق الأوسط، في وقت لا يكترث فيه قادتها سوى بمصالح مقرّبيهم الأثرياء القلائل، دون أن يعبؤوا بالجمهور الذي يئنُّ تحت نِير الفساد والفقر والضرائب؟ فهناك رواتب هزيلة وظروف اجتماعية بائسة من جهة، وهناك ضرائب جنونية من جهة أخرى. هناك من جهةٍ عملٌ شاقٌّ ومضنٍ لا يتناسب بأيِّ شكلٍ أو معيارٍ مع الأجور، وهناك من جهة أخرى خدمات بائسة ومخزية تقدمها الدولة.

أكثر من ذلك: أيُّ إنسان عاقل ونزيه يمكن أن يستثمر أموالَه في دولة كهذه؟ أيُّ إنسان عاقل مستعدٌ لأنْ يجازف بأمواله في دولة يمكن أن تنهار في أية لحظة جرّاءَ انهيار شامل ناجمٍ عن عَفَنٍ وفساد عميق، وعن عجز الوزارات والدوائر الحكومية عن القيام بعملها؟ أيُّ إنسان عاقل سيرغب في الخدمة في جيشٍ يدافع عن دولةٍ عالَم ثالث لا يوجد له فيها أيُّ مستقبل، دولةٍ سيكون فيها عبداً مأجوراً لشركات المقاولات، دون تقاعد ودون شروط اجتماعية، ودون رفاهية ودون أمل؟ كيف يمكن لإنسان عاقل أن يرغب في الخدمة في جيش وهو يعلم أنه لا توجد له أية فرصة، فيما بعد، للنجاح في عملٍ أو مشروع تجاري يتطلّع لإقامته؛ وهو يعلم أنه لن يستطيع العيش من تقديم خدمات لوزارات ودوائر حكومية؛ لأن أحد «المقربين» سيفوز بالعطاء، بغضّ النظر عن نوعية وجودة الخدمة التي يستطيع تزويدها؟

إن الدولة الفاسدة هي الدولة التي يحظى فيها أحد المقرّبين بوزارة أو منصب رفيع، على الرغم من أن شخصاً آخر أوسعَ ثقافة وعلماً وأكثر ملاءمة تقدَّم لإشغال المنصب. الدولة الفاسدة هي الدولة التي يتقاضى فيها الأكاديميون رواتب أقل ويعملون أكثر بكثير. الدولة الفاسدة هي الدولة التي تقلِّص موارد التعليم وتُلحِق به ضرراً جسيماً وتتسبّب بهبوط حادٍّ في إنجازات ونتائج طلبتها ومواطنيها يؤدي لإلحاق ضرر جسيم آخر في كل الأماكن التي سيعملون فيها. الدولة الفاسدة هي دولة لا يعبأ السياسيون فيها، ولو بأبسط قدْرٍ من الاهتمام بالمواطنين؛ بل ينصبُّ كل اهتمامهم وجهودهم على خدمة وتحقيق مصالحهم الشخصية ليس إلا. الدولة الفاسدة هي الدولة التي تنهار فيها النُّظُم من تلقاء ذاتها أثناء أية حالة طوارئ يمكن تصوُّرها، في دولةٍ فاسدةٍ كالدولة العبرية تهاجر العقول الكبيرة إلى دول الغرب التي تنتظر بأذرُع مفتوحة قدوم العلماء والباحثين ليقفزوا بها للأمام.

• • •

أخيراً وليس آخراً.. كلمة لا بد أن تقال، وهي أن الفساد رافَقَ الدولة الصهيونية منذ قيامها، وأن الكنيست يتصدَّر برلمانات العالم من حيث تدنّي مستوى أخلاق أعضائه، وتورُّط عدد كبير منهم بارتكاب جرائم أخلاقية ومالية، وتلقّي رشى، والقيام بعمليات ابتزاز، ومن ثَمَّ سيكون الوضع خطيراً جداً، وسيؤدي في النهاية إلى حدِّ انهيار دولة الكيان من تلقاء ذاتها. على الأقل هكذا يتوقع العلماء الصهاينة، وليس كاتب هذه السطور.



السيستاني وتسمية ما يجري في العراق

إبراهيم العبيدي

في تصريح نُسِب للسيستاني بالواسطة، وهو ما جرت عليه العادة بأن يتعامل العالم والعراقيون على وجه التحديد مع ما يُسمى بالمرجعية العليا، عبّر وسطاء ووكلاء يحملون للشارع العراقي والرأي العام ما يُعتبر فتاوى وتصريحات ومواقف سياسية، وعلى الرغم من الوضع العراقي المتفاقم خطورةً ومأساة؛ فقد دأبت المرجعية على أن لا تكلِّف نفسَها وتخاطب الشعب العراقي الجريح مباشرة وعبر الأثير ليسمع الناس أحاسيس ومشاعر هذه المرجعية التي يقال عنها: إنها محطُّ أنظار جميع العراقيين وتحظى باحترام وتقدير كبيرين.

ويبدو أن المرجعية لم تبادل الناس هذا الشعور، لدرجة أنها لا ترى أيَّ ضرورة أو استحقاقاً لهذا الشعب بأن تواسيَ جراحَه الغائرة ولو بظهورٍ علنيٍّ مرةً واحدة، وتوجيه رسائل مباشرة للناس من غير وسيط مُسيَّس، ليُوقِن الناس أنّ مرجعيتهم لا زالت حيةً تُرزق، ناهيك عن أنها تتكلَّم وغير مصابة بالصمم، ولا سيما بعد أن كثُر الحديث عن ظاهرة الصمت المطْبِق للمرجعية على الرغم مما يمرُّ به العراق من محَنٍ وويلات ينطق على أثرها حتى الحجر.

نقلتْ لنا وسائل الإعلام دعوةَ المرجعية العليا في النجف (آية الله علي السيستاني) الداعيةَ إلى الوقوف صفّاً واحداً ضد الفضائيات التي تحاول تصوير ما يجري في العراق حرباً طائفية. ونَقَلَ بيان وزّعه المكتب الإعلامي للمجلس الإسلامي الأعلى الذي يتزعّمه عبد العزيز الحكيم عن السيستاني قولَه، بعد لقاء وفد من العشائر: إن بلدكم بلدٌ غنيٌّ ومعطاء بخيراته، فأدعوكم إلى نبْذِ الفُرقة فيما بينكم وبين إخوانكم من أهل السُّنَّة، والوقوف كالجبل الشامخ ضد محاولات بعض القنوات الفضائية لتفتيت هذه الوحدة؛ عندما يضخِّمون أخبار القتلى والتفجيرات ويصوِّرونها بأنها حرب طائفية.

ويبدو فعلاً من خلال هذا التصريح المنسوب إليه، أنّ المرجعية بعيدة كلَّ البعد عمَّا يجري في العراق، لدرجة أنها تعدُّ ما يحدث مِنْ قتْلٍ وتهجيرٍ واعتقال طائفيٍّ «منظّم» نالَ

العراقيين على مدار السنوات الأربع الماضية التي أعقبت الاحتلال الأمريكي الغاشم ليس مهماً. وهنا أودُّ أن أذكِّر المرجعية ببعض الإحصائيات التي تناقلتها وسائل الإعلام عن جهات معنيَّة خلال المدة الماضية، وهي متواضعة جداً لما يحدث.

تفيد الإحصائيات المعلَنُ عنها بأن عدد القتلى بسبب العنف الطائفي، فقط خلال هذه المدة، قد بلغ مائتي ألف عراقي (سُنَّة وشِيعة)، بينهم أكثر من ٣٠٠ إمام وخطيب وعالم دين، حتى وصل القتلُ على الهويَّة «الاسم، اللقب، والعشيرة» أمراً معروفاً في أوساط العراقيين؛ وهو الأمر الذي جعلهم يبدِّلون أسماءهم التي تُسبِّب لهم القتلَ؛ كعمر وعلي وعثمان وحسين، ويحملون أكثر من بطاقة شخصية للنجاة من الموت. ويكفي أن نذكِّر المرجعيَّة بما قاله مؤخراً أحد المسؤولين في حكومة المالكي الحالية وفي تصريح رسميٍّ، مِنْ أنَّ مقبرة دار السلام في النجف استقبلت ٤٠ ألف جثة مجهولة الهويَّة لعراقيين. وعدد المهجَّرين داخل العراق بسبب الطائفية تجاوز المليون ونصف المليون عراقي، لدرجة أن مناطق بغداد المختلطة (سُنَّة وشيعة) أصبحت اليومَ تعيش حالة التخندق الطائفي الخالص؛ فمثلاً لا يمكن للشِّيعي أن يدخل منطقة سُنيَّة ولا العكس. ناهيك عن المحافظات ذات الأغلبية الشيعية وكذلك ذات الأغلبية السُّنِّية؛ فالأمر أصبح متبادلاً.

أما عن المَساس بالمقدَّسات لدى الطائفتين، فالأمر أكثر من بيِّن؛ فهناك عشرات المساجد للسُّنَّة تم تدميرها وحرقها وعشرات المساجد المغتصبة من قِبَل الشيعة، يقابله في ذلك تدميرٌ لعشرات الحسينيَّات الشيعية تم استهدافها وتدميرها، مع كل ما يقال عن وجود (أصابع خفيَّة لأطراف خارجية).

أما عن السجناء، فالسجون العراقية الأمريكية مليئة بأكثر من مائة ألف سجين؛ بسبب مناهضتهم للاحتلال وسياساته، أغلبهم ينتمي للطائفة السُّنيَّة؛ وبدوافع طائفية أصبحت مكشوفة حتى عبر وسائل الإعلام، حتى أصبح دارجاً عند العوائل التي لها سجين لدى الأجهزة العراقية أنْ تقيم له عزاءً باعتباره ميتاً لانقطاع الأمل في عودته، بعكس الذي يتم احتجازه من قِبَل الأمريكيين على اعتبار أن عودته فيها أمل كبير.

ويكفي وجود مئات الأحداث من الصبية في السجون العراقية تم اعتقالهم بسبب المنطقة والعشيرة والاسم، وهو ما كشف عنه نائب رئيس الجمهورية العراقي الدكتور طارق الهاشمي أثناء زيارته لأحد السجون في بغداد، ولك أن تتصور يا سماحة المرجعية العليا ما تتصور، أطال الله ظلك!

نقول: إذا كانت المرجعية لا ترى ضخامةً في مثل هذه الإحصائيات «المتواضعة إعلامياً» وتعدها تضخيماً متعمَّداً لعدد ضحايا العنف والسلوك الطائفي البغيض المنظَّم؛ الذي وفد إلى العراق من جارة السوء إيران بواسطة الأحزاب الموالية لها، التي اعتلت سُدَّة الحكم بمنحة أمريكية نظيرَ تآمرها مع المحتلِّ لغزو العراق وتدميره، والذي قوبل بردود أفعال مشابهة من قِبَل بعض التجمُّعات السُّنية كمحاولة للوقوف بوجه الهجمة الطائفية الشرسة لهذه الأحزاب المدعومة من إيران، التي تريد استئصالهم من العراق وكما يقال: «البادي أظلم». إذن هنا نُطَمْئن المرجعية العليا

» مئات الأحداث من الصبية في السجون العراقية تم اعتقالهم بسبب المنطقة والعشيرة والاسم «

إلــى أنَّ ما تنقله القنوات المطلوب الوقوف بوجهها بحســب دعوتكم المشار إليها، إنما هو غيْض من فيض، وما خفي كان أعظم. والميليشــيات المسلحة للأحزاب الشيعية وفرق الموت الطائفيّة، ومعها أجهزة الدولة الأمنية (الطائفية) ورئاســة الوزراء، هي أعرف بحجم الجرائم البشــعة ومسلسل القتل والتهجير والســجن التي ترتكبها بحق العراقيين المناهضين للاحتلالين (الأمريكي والإيراني) وأذنابهما.

إن ما أريد أن أقوله، تعليقاً على دعوة المرجعية بالوقوف أمام القنوات التي تعد ما يجــري في العراق حرباً طائفية: نعم! إن ما نُســب للمرجعية بهــذا الخصوص كان غاية في الحصافة والتكتيك ومحاولة تصوير أنّ ما يجري ليس حرباً طائفية؛ وذلك بدوافع رئيسية، منها:

١ - عدم استثارة واســتفزاز الأغلبية السُّنية في العالم؛ لأنها تعلم جيداً أن إعلان حربٍ تحت شعارها الطائفي ليس من صالحها، لما هو معلوم من الأكثريَّة الساحقة لأهل السُّنَّة مقابل أقلية شيعية معروفة في عموم البلاد الإسلامية، وهو الأمر الذي يعني أنَّ من الحماقة إعلان الحرب الواقعة حالياً تحت هذا الشعار الطائفي، على الرغم من ممارسة التطهير الطائفي الواضح للعراقيين قتلاً وتهجيراً وســجناً، من قِبَل ميليشــيات الأحزاب الشــيعية وأجهزة الدولة الطائفية، مع ردود أفعال من الطرف المقابل. لذلك تم تغيير شــعار هذه الحــرب الطائفية المحْضة إلى شــعار محاربــة «الإرهاب» لتحقيق أهداف طائفية لا يجادل فيها أحد.

٢ - ولأن كِفَّة الأحزاب الشــيعية وميليشــياتها المسلّحة وفرق الموت الطائفية فيها هي الراجحة حالياً؛ بسبب النفوذ في السُّلطة والدعم غير المحدود من جارة السوء (الشرقية)، وهم من بدأ بمشروع التطهير الطائفي واستخدام العنف في القتل والتهجير، لا ســيما في محافظات الجنوب العراقي، وصولاً إلى بغداد، مســتغلّين إمكانيّاتهم المالية والعســكرية (وهو ما يعتبرونه مكاســب تم تحقيقها؛ لأنها تمهّد لتحقيق أطماع توســعية عنصرية صفوية مشــبوهة)، بالإضافة إلى

> » تم تغيير شعار هذه الحرب الطائفية المحْضة إلى شعار محاربة «الإرهاب» «



الدعم الأمريكي الذي يلتقي معهم في استهداف أهل السُّنَّة؛ لكونهم يشكِّلون أغلب المقاومة ضد الاحتلال.

ما نريــد أن نخلُص إليه من القول حــول الموضوع، أن هذه الدعوة دعوة تضليلية للرأي العام عموماً والرأي السُّنِّي تحديداً، لغضِّ الطرف عمَّا يجري لإتمام مسلســل التطهير الطائفي؛ لإنجــاح المخطط التوسُّــعي العنصري الصفوي الإيرانــي في العــراق والمنطقة، وهو ما ينبغــي النظر إليه بجديَّة وحــزم بالغَيْن من قِبَلِ العالميْن العربي والإســلامي، والتدخل السريع لإيقاف الســرطان الصفوي العنصري في العراق والمنطقة قبل فوات الأوان.

ونكرر مرة بعد أخرى، أنَّ الحرب الحالية ليست طائفية بالمعنــى التقليدي المعــروف، بل إنها حربٌ سياســية أراد أصحابها من الأحزاب الموالية لإيران أن يُلبسوها ثوباً طائفيّاً لتحقيق مآربهم السياسية والعنصرية الصفوية التوسُّعية في العراق.

نسأل الله أن يحفظ العراق وشعبه من كل سوء ومكر.






ثالثة الأثافي

د. يوسف بن صالح الصفير(*)

يمر لبنان حالياً بالأزمة الثالثة منذ استقلاله؛ فالأولى في أواخر الخمسينيات الميلادية نتيجةً لتنامي المدِّ القومي الناصري وتعرُّض سلطة النصارى المطلقة للتهديد، وانتهت بدعوة الرئيس اللبناني كميل شمعون للأسطول الأمريكي السادس المرابط في البحر الأبيض المتوسط للتدخل. وتكررت الأحداث بعد عقد من الزمن بتأثير الوجود العسكري والتنظيمي للفلسطينيين بعد أحداث الأردن، وقام حزب الكتائب الماروني بإشعال الصراع مع السنة والفلسطينيين، وتكتَّل النصارى تحت ما يسمى بالقوات اللبنانية، وتكتلت القوى الفلسطينية والسنية وانضمَّ إليهم الدروز لعداوتهم التقليدية للنصارى في الجبل. ومع تقهقر النصارى استنجد الرئيس سليمان فرنجية بسورية التي دخلت لبنان بعد التنسيق مع أمريكا والدولة الصهيونية. ويلاحظ أنه إذا كان هدف النصارى الحفاظ على تفرُّدهم بالسلطة؛ فإن هدف الدولة الصهيونية مع أمريكا هو تصفية الوجود الفلسطيني سياسياً وعسكرياً، أما سورية فإن هدفها إعادة لبنان إلى أحضان سورية الكبرى.

ونلاحظ هنا أن مَنْ قبلوا الطلب الماروني دخلوا لتحقيق أهدافهم التي لم يكن من بينها الحفاظ على مصالح الموارنة، ولذا كانت النتيجة خروج الفلسطينيين من المعادلة اللبنانية، وتراجُع نفوذ الموارنة وخروج قادتهم الذين ناهضوا استمرار الوجود السوري إلى المنفى في باريس. ومن الغريب أن بعضهم عاد حليفاً لسورية، مثل: ميشيل عون، وبعضهم الآخر بقي مناوئاً لها، مثل: أمين الجميِّل الذي اغتيل ابنه في خضم الصراع الحالي.

أما الهدف السوري؛ فقد بدا أنه تحقق كليًّاً مع إطلاق يد سورية في لبنان وتمكُّنها من بناء قوة موالية لها لم يكن لها وجود مؤثر في الأحداث السابقة، إنها الطائفة الشيعية التي تغيرت أسماء منابرها مع تعاظم دورها؛ من حركة المحرومين أيام موسى الصدر، إلى حركة أمل، إلى حزب الله، ثم بدا أنه دخل دور الاضمحلال مع إخراج القوات السورية من لبنان، وتضييق الخناق على سورية بدعوى التحقيق بمقتل الحريري، ومحاصرة تمدُّد حزب الله بعد بروز الاستقطاب الطائفي السني الشيعي، ثم عاد الدور السوري للبروز اعتماداً على القوى الشيعية وحلفاء سورية من الموارنة، مع تشكيل تيار المعارضة تحت شعار إسقاط الحكومة.

وكان تصرُّف الشيعة بوصفهم طائفة في مجلس الوزراء ومجلس النواب وإبراز قادة الشيعة للبُعدَين الإيراني والسوري في إدارة الصراع السياسي مع ما يسمى تيار الأغلبية؛ عاملاً مهماً في رسم خريطة جديدة للصراع في لبنان، يمثِّل فيه السنة والشيعة طرفي الصراع الرئيسي، ويقف فيه دروز (جنبلاط) مع بعض الموارنة (أمين الجميل) مع تيار المستقبل (الحريري)، أمام تحالف مضاد يقوده حزب الله وأمل مع تيار (ميشيل عون). إنه صراع جديد قد يعصف بلبنان، مما يعني نهاية الكيان الذي أقيم ليكون وطناً للموارنة؛ فهم تحولوا من طرف أساسي في الماضي إلى مجرد قوى متصارعة فيما بينها تبحث عن حليف تخوض من خلاله حربها ضد منافسيها؛ إنها الحرب الأخيرة للموارنة. وإذا كان بطريرك الموارنة نصر الله صفير يدعو أهل الحل والربط إلى أن يبرهنوا على رصانتهم ومسؤوليتهم؛ فإن ميشيل عون مرشح المعارضة لرئاسة الجمهورية يصرِّح أنه لا يتخيل وجود شخص في لبنان يُدَّعى (فؤاد السنيورة) يقوم بمهمات الرئيس. إنه خوف ماروني من فقدان منصب الرئاسة، ولذا حاول السنيورة طمأنة الموارنة عندما دعى النصارى إلى عدم الخوف من عدم وجود ماروني على رأس هرم الرئاسة. أما حزب الله فهو يؤكد على أن الرئيس غير موجود والحكومة غير شرعية، ولذا أعتقد أنهم يعلنون موت لبنان ليبشروا بمولود جديد في رَحم الأيام..

(*) أستاذ مشارك في كلية الهندسة، جامعة الملك سعود، الرياض.





أحمد فهمي
afahmee@albayan_magazine.com

من هنا وهناك

● أقرَّ وزير التنمية الاقتصادية في مصر د. عثمان محمد عثمان - حسب الدراسات الاقتصادية الحكومية - أن ٢٠٪ من السكان في مصر تحت خط الفقر، و٢٠٪ آخرين فوق حد الفقر مباشرة. [ميدل إيست أون لاين ٢٠٠٧/١١/٢٤م]

● زعم المتحدث العسكري الأمريكي الأدميرال غريغوري سميث، أن كل أشكال الهجمات في العراق تراجعت بنسبة ٥٥٪، منذ أن طبِّقت عملية الانتشار الأمريكية الأخيرة بالكامل، غير أن سميث حذَّر من أن هذا التقدم هش وليس نهائياً.

[وكالات ٢٠٠٧/١١/٢٥م]

● ذكرت صحيفة الجارديان البريطانية أن الفرقاء اللبنانيين شرعوا في تسليح ميليشياتهم وأن بعض الأحزاب السياسية تعيد بناء كوادرها العسكرية، وقال مراسل صحفي في بيروت: إن الشوارع تشهد مشاجرات بين أنصار القوى المتصارعة، وهو ما جعل بعض السكان يمنعون أولادهم من الذهاب إلى المدارس خوفاً من تفجُّر الأوضاع بشكلٍ مفاجئ.

[٢٠٠٧/١١/٢٢م]

● نقلت صحيفة التايمز البريطانية عن محللين سياسيين في إسلام آباد اعتقادَهم أن بونظير بوتو لا تريد أن تظهر وكأنها عَقَدَتْ صفقة مع مشرّف، ولذلك هي تحاول أن تبدو للناس وكأنها أجبرت مشرّف على تقاسم السُّلطة معها بسبب الضغط الذي تستطيع أن تمارسه، وقالوا: إن حزب (بوتو) كان غائباً عن التظاهرات التي قام بها المحامون احتجاجاً على فرض حالة الطوارئ، وهو ما يثبت وجود الصفقة بالفعل.

[بي بي سي ٢٠٠٧/١١/٩م]

علامة تعجب

دعت جماعات لحقوق الحيوان في إيطاليا إلى مبادرة (يوم القطة السوداء)، في محاولة لوقف قتل الآلاف من القطط على يد مواطنين بدعوى أن القطط السوداء تجلب الحظ السيئ، ويرجع ذلك الاعتقاد إلى مرسوم بابوي صدَر في العصور الوسطى يقول: إن القطط السوداء أدوات للشيطان ويجب حرقها. وذكرت الجمعية أن ٦٠ ألف قطة قُتلت العام الماضي دفعاً لما يوصف بأنه «حظ سيئ».

[ميدل إيست أون لاين ٢٠٠٧/١١/١٨م]

أثار الزعيم الليبي معمر القذافي أزمة بروتوكول في فرنسا بسبب طلبه نصب خيمته الشهيرة في قلب باريس أثناء زيارته إلى فرنسا! ومعروف أن القذافي لا ينام في الخيمة ولكنه فقط يستقبل فيها الزوار. وأثناء زيارته إلى بلجيكا عام ٢٠٠٤م وفّر له المسؤولون متنزّهاً قرب بحيرة على أطراف العاصمة لنصب الخيمة.

[وكالات]

تم إصدار قرار يُمنَع فيه دخول وسائل الإعلام كافة إلى قاعة اجتماعات مجلس النواب العراقي، وكان سبب المنع - كما ذُكر - أن كلاب حراسة قاعة الاجتماعات - الواقعة في المنطقة الخضراء - في إجازة هذه الأيام! علماً أن هذه الكلاب المدربة هي التي تقوم بتفتيش القادمين إلى القاعة وحمايتها من التخريب؛ فعلى وسائل الإعلام المختلفة أن تعود مرة أخرى إلى مزاولة نشاطها وعملها، بعد أن تتمتع كلاب الحراسة بإجازتها وتعود من جديد للقيام بمهامها!

[موقع شبكة أخبار الناصرية]

صرح المسؤول البارز في السلطة الفلسطينية - جناح أبي مازن - ياسر عبد ربه، أن الجانب الفلسطيني يرى أن وضع جدول زمني لا يزيد على عام لإنجاز مفاوضات السلام مع الدولة الصهيونية؛ يمثل أجندة جريئة لكنها «واقعية»، وقال عبد ربه: «نعلم أنه تم تجاوز جداول زمنية في السابق ولم تُحترم إطلاقاً، لكننا نعتقد أن وضع جدول زمني لا يزيد على عام من الآن يعدُّ أمراً واقعياً».

[وكالات ٢٠٠٧/١١/١٥م]

واشنطن لن تتخلى عن «الصنبور»

تلازمَ النفط والدم دائماً يداً بيد خاصة في الشرق الأوسط أكثر من أي مكان آخر، هذا ما عبر عنه البروفسور مايكل كلير مؤلف كتاب (النفط والدم) حول مخاطر وعواقب الاعتماد الأمريكي المتزايد على النفط المستورد من هذه المنطقة. كان البروفسور مؤخراً في أمستردام لإلقاء محاضرة بدعوة من جمعية التنمية الدولية، حيث قال: «من يسيطر على الخليج الفارسي يسيطر على القوة الاقتصادية في العالم». وأطلق على مضيق هرمز الواقع عند بداية الخليج - الذي يُنقَل عبْره ٤٠٪ من نفط العالم - اسم: الجائزة الاستراتيجية؛ لأنه يمثل «صنبور» النفط العالمي، وقال: « لن تسمح الولايات المتحدة لأي جهة أخرى بالسيطرة على هذا الصنبور». وقال كلير: إن الأمر لا يتعلق بالاستخدام المحلي للنفط، بقدر ما يتعلق بالسيطرة - لمن يمتلك السيطرة - على النفط. لذلك أعلن الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر منذ ٣٠ سنة مضت بأن منطقة الشرق الأوسط تحظى بأولوية استراتيجية لمصالح الولايات المتحدة، وأن أي تحرُّك من أي قوة معادية للسيطرة على منطقة الخليج يعدُّ «اعتداء على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية».

وهذه السياسة التي تعرف بـ (مبدأ كارتر) حكَمت الاستراتيجية الأمريكية في الخليج منذ ذلك الحين. وقال البروفيسور الأمريكي: إن عمر النفط يقترب من نهايته، وأن العمالقة الجدد المحتملين، مثل: الصين، الهند، والبرازيل، ينتجون السيارات باطِّراد، ويبنون طرقاً جديدة، وأن استهلاكهم للوقود يرتفع بسرعة الصاروخ. ولكن في نهاية الأمر لا تزال الولايات المتحدة وأوروبا أكبر المستهلكين بمسافة كبيرة، وأكثر المذنبين فيما يخص انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي لكوكب الأرض.

[إذاعة هولندا العربية ٢٠٠٧/١١/٢٥م]

كوسوفو تترقب

هاشم تقي هو القائد السابق لجيش تحرير كوسوفو، ويُنظر إليه الآن بوصفه الأوفر حظاً بين منافسي رئيس الوزراء الحالي جيكو. يفسر أحد المسؤولين شعبية تقي بالقول: «في أيام الحرب حقق لنا النصر، وسيكون هاشم تقي هو الرجل المناسب الذي سيقود كوسوفو نحو الاستقلال». ويضيف وهو يصغي إلى خطاب يلقيه تقيّ في جمْع من أنصاره: «كوسوفو بحاجة إلى قائد قوي».

يقول هاشم تقي: «إذا أصبحتُ رئيساً للوزراء فسوف أعلن الاستقلال من طرف واحد في اليوم الذي يلي العاشر من ديسمبر»، وهو الموعد المحدد من قبل الأمم المتحدة لإعلان مستقبل كوسوفو وعلاقتها بصربيا.

٧٠٪ من سكان الإقليم هم تحت الثلاثين من العمر؛ لذا فإن النشاط السياسي يهيمن عليه الشباب، وتعدُّ البطالة إحدى أهم المشاكل التي يعاني منها هذا الإقليم.

يخضع الإقليم الواقع في جنوب جمهورية الصرب إلى إدارة دولية تشرف عليها الأمم المتحدة، وتتمركز فيه قوة تابعة لحلف الأطلسي قوامها ١٧ ألفاً لحفظ السلام؛ حيث تبدي صربيا استعداداً لمنح الإقليم حُكماً ذاتياً بصلاحيات واسعة، لكنها تَعدُّ الاستقلال الكامل خطاً أحمر. ولا تتجاوز نسبة الصرب في الإقليم ٥٪، بينما يمثل الألبان المسلمون أغلبيته الساحقة.

وضَعَ ألبان كوسوفو أملهم كله فيما عُرف بـ «خطة تهيساري» نسبة إلى المبعوث الأممي الخاص، وتتضمن الخطة إنشاء دولة مستقلة في إقليم كوسوفو بإشراف دولي، مع ضمانات وإجراءات مفصلة لحماية حقوق الأقلية الصربية في الدولة القادمة، ويترقب الجميع ما سيقوله الأمين العام للأمم المتحدة (بان كي مون) في العاشر من ديسمبر حول مستقبل كوسوفو.

[الموقع العربي لإذاعة هولندا ٢٠٠٧/١١/١٦م]

عودة طالبان بطيئة لكنها أكيدة

لفت «مجلس سنليس» - وهو مركز للدراسات مقره لندن - النظر إلى أن حركة طالبان باتت تسيطر على «أجزاء واسعة» من أفغانستان، وأن ذلك يهدد البلاد بالتقسيم، ودعا المجلس حلف شمال الأطلسي إلى مضاعفة جهوده فيها.

وقالت نورين ماكدونالد الخبيرة لدى المجلس: «إن الوضع الأمني بلغ مستوى حرجاً؛ حيث إن حركة طالبان لها وجود دائم في ٥٤٪ من أراضي أفغانستان، فالمتمردون يسيطرون على أراضٍ واسعة؛ على مناطق ريفية، وعلى مناطق حدودية، وبعض مراكز الأقاليم وعلى طرق رئيسية». وأضافت في بيان خاص: «إن طالبان تحكم عملياً مساحات كبيرة من جنوب أفغانستان».

وقالت نورين ماكدونالد: «إن المسألة الآن لم تعد في معرفة ما إذا كانت طالبان ستعود إلى كابول، وإنما متى سيحصل ذلك. وإن هدفهم المعلن بالوصول إلى المدينة خلال عام ٢٠٠٨م يبدو اليوم قابلاً للتحقق أكثر من أي وقت مضى، ويتعيَّن على المجتمع الدولي تغيير استراتيجيته في العمق قبل فوات الأوان».

ودعا المجلس إلى زيادة عدد قوات حلف شمال الأطلسي في أفغانستان إلى الضعف، لتصل إلى ثمانين ألف عسكري، بينما يبدي كثير من الدول المشاركة بقوات في أفغانستان رغبتها في سحب قواتها أو تقليل عددها.

[ميدل إيست أون لاين ٢٠٠٧/١١/٢١م]

تقارير متفرقة من موقع بي بي سي

كشف رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير أنه كان رئيساً (متديناً)، وأنه حاول أن يخفي تأثير تديُّنه في اتخاذ قراراته السياسية، وقال: إنه خشي من الاعتراف بذلك وقت أن كان رئيساً للحكومة.

ونقلت صحف بريطانية تلك الاعترافات من مقابلة مع بلير في برنامج وثائقي تبثه بي بي سي. وأشار بلير إلى أن قبول الناس في أمريكا لتديُّن الحكام يختلف في بريطانيا، وذلك في إشارة إلى تدين الرئيس الأمريكي بوش؛ الذي صرح من قبلُ أنه «أوحي» إليه بشأن غزو العراق واحتلاله.

وكتب الصحفي البريطاني جون همفري عن تدين بلير مقالا بعنوان «نفضِّل سياسيينا بدون اتصال مع الرب»، وتحدث فيه عن حرص بلير على عدم التصريح بذلك أثناء حُكمه، وقال: «يبدو أن ما كان يخشاه بلير هو ترك الانطباع بأن تديُّنه وليس تعقُّله يملي عليه تصرفاته».

[٢٠٠٧/١١/٢٥م]

المهمة المستحيلة

هذا هو العنوان الذي اختارته صحيفة الإندبندنت البريطانية لوصف محاولة جورج بوش تحقيق السلام في فلسطين من خلال مؤتمر أنابوليس.

وتتصدر الصفحة الأولى لذلك العدد من الصحيفة صورة ثلاثية لبوش يتوسط محمود عباس وإيهود أولمرت، وعلى كل منهما لافتة؛ كُتب على لافتة عباس «يحكم نصف شعبه»، وعلى لافتة أولمرت «يرأس تحالفاً مفككاً»، وعلى لافتة بوش «لا يُوثق به وبلا شعبيته».

ويقول مراسل الصحيفة في واشنطن: «يأمل المفاوضون الأمريكيون أن العدد الكبير للدول العربية الحاضرة سيُطمْئن (إسرائيل) إلى أن أي صفقة سيتم التوصل إليها بعد الاجتماع تحظى بتأييد عربي، ما يعجِّل القبول بشرعية الدولة اليهودية في المنطقة».

لكن المشكلة كما تقول صحيفة التايمز أن (الإسرائيليين) والفلسطينيين لم يتفقوا حتى على إعلان إطار للمحادثات. في حين قالت (الديلي تلجراف) في افتتاحية بعنوان «آمال السلام الواهية»: إن الأمريكيين لم يرغبوا حتى في تسميته مؤتمراً حتى لا يُتوقع منه الكثير.

وتشير الإندبندنت إلى تعقُّد المشكلة الفلسطينية وارتباطها بالجولان ولبنان، فتربط بين «لقاء السلام» في أنابوليس وتعقيد الأزمة اللبنانية؛ إذ يتهم أنصار الحكومة اللبنانية سورية بأنها تعطِّل التوصل لصفقة بشأن رئيس للبنان، حتى تضمن طرح قضية الجولان في أنابوليس.

وذكرت (الفاينانشيال تايمز) أن العرب يدركون أن اللقاء مجرد محاولة لتحسين صورة رئيس على وشك ترْك منصبه بعدما اهتزت تلك الصورة بسبب أزمة العراق، كما أن أحداً لم يحصل على أي ضمانات ولو حتى بوقف الاستيطان (الإسرائيلي) وإزالة الحواجز التي تعيق تنقُّل الفلسطينيين. كما أن واشنطن لم تصر على ضرورة أن يخرج مؤتمر أنابوليس بجدول زمني للمفاوضات بين (الإسرائيليين) والفلسطينيين.

نتيجة لذلك اضطرت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس إلى التقليل من أهمية مؤتمر أنابوليس، عبر إنزاله من مرتبة (المؤتمر) إلى درجة (لقاء) وتقليص مدته من ثلاثة أيام إلى يوم واحد.

مرصد الأخبار

كشف الاستطلاع الذي أجرته مؤسسة بولمارك في أكتوبر - تشرين الأول عن استمرار تراجع التأييد التركي للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وأكد مرة أخرى رؤية الأتراك السلبية للولايات المتحدة بوصفها مصدر التهديد الأساسي للسلام في الشرق الأوسط.

وبلغت نسبة الأشخاص الذين قالوا: إنه يتعين على تركيا أن تنفّذ عملية عسكرية عبر الحدود ضد حزب العمال الكردستاني ٨١٪، وهو ارتفاع حاد مقارنة بآخر استطلاع أجري في يوليو - تموز حيث كانت النسبة ٤٦٪.

وأظهر الاستطلاع أن نسبة الأتراك الذين ينظرون إلى الولايات المتحدة بشكل سلبي ارتفعت إلى ٨٦ ٪ مقارنة بـ ٤٩ ٪ في نوفمبر - تشرين الثاني ٢٠٠٣م بعد الغزو الذي قادته واشنطن ضد العراق.

ويخشى كثير من الأتراك من أن تؤدي السياسة الأمريكية إلى قيام دولة كردية مستقلة في شمال العراق، وهو تحرُّك يعتقدون أنه سيؤجج مرة أخرى النزعة الانفصالية بين الأكراد في تركيا.

وكشف الاستطلاع أيضاً تراجع نسبة التأييد التركي للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي إلى ٥١٪ من ٥٢٪ في يوليو - تموز، وبات ٤٠٪ يعارضون الانضمام الآن. وقبل بضع سنوات كان تأييد انضمام تركيا إلى عضوية الاتحاد الأوروبي تزيد نسبته على٧٠٪.

[موقع أخبار العالم ٢٠٠٧/١١/١٧م]

أفضل وسيلة لـ «تكييف» الرأي العام

تحذِّر دراسة حديثة للحكومة المصرية من ارتفاع تعاطي المخدرات في مصر. وحسب المجلس الوطني لمكافحة إدمان المخدرات فإن نسبته تمثل ٨,٥٪ من الشعب المصري أي: ما يقارب ٦ ملايين شخص يتعاطون المخدرات. ويتعلق الأمر هنا بالمخدرات الخفيفة، وبخاصة منها مواد القِنّب الهندي والحشيش والماريجوانا التي تعرف في مصر باسم «بانجو».

ووفقاً للمجلس الوطني لمكافحة إدمان المخدرات فإن تعاطي المخدرات ارتفع في السنين الأخيرة في صفوف الشباب بشكل كبير. والجديد في الأمر أن تعاطي المخدرات يبدأ الآن في سن مبكرة، وفي مرحلة التعليم الابتدائي. ومنذ العام ٢٠٠٤م انخفض معدل العمر الذي يبدأ فيه تعاطي المخدرات من السن الرابعة والعشرين إلى سن الخامسة عشرة. ويتعاطى المخدرات الخفيفة ١٢٪ من الطلبة المصريين، وأما نسبة الرجال وحدها فتصل إلى٢٠٪.

[الموقع العربي لإذاعة هولندا ٢٠٠٧/١٠/٥م]

الحرب العالمية الثالثة

توقع الصحفي البريطاني المعروف روبرت فيسك قيام حرب عالمية ثالثة في منطقة الشرق الأوسط ومن أفغانستان إلى لبنان.

وكتب فيسك مقالاً من مسكنه في بيروت عن الظلام الذي يلف المدينة، ورغم انقطاع الكهرباء عن مسكنه إلا أنه يرمز إلى الظلام السياسي الذي يغلف العاصمة اللبنانية، واستعار ذلك في عنوان مقاله «الظلام يلف الشرق الأوسط» الذي يقول فيه: إن الناس في بيروت باتوا يتركون منازلهم كما يفعل الناس في بغداد. واستخدم فيسك مقاربات تاريخية استحضر فيها أقوالاً لوينستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني إبَّان الحرب العالمية الثانية، ومن ثم خلُص إلى نتيجة بأن الحرب العالمية الثالثة قادمة.

[بي بي سي ٢٠٠٧/١١/٢٥م]

انتفاضة شيعية في سجون نيويورك

ذكرت صحيفة (نيويورك صن) أن الخلاف بين السنة والشيعة بدأ يظهر في سجون نيويورك، خصوصاً في شأن الصلاة. وقالت: إن أتباع الفريقين يُظهران عداءً لبعضهم على نسق ما يحصل في الشرق الأوسط، وقد وصل الخلاف إلى قيام الشيعة بما يشبه الانتفاضة للمطالبة بالحصول على أماكن للصلاة خاصة بهم، يؤمُّهم فيها أئمة من مذهبهم. وأصدرت محكمة استئناف حُكماً يسمح بالفصل بين الشيعة والسنة في السجون، بعدما كانت محكمة فيدرالية حكمت بأن يصلّي السجناء المسلمون في زنازينهم أو في مكان مخصص لهم جميعاً، بغضّ النظر عن مذاهبهم. واعترض الشيعة على الحكم بوصفه يسمح بهيمنة السنة على أداء الصلاة.

[وكالة يو بي آي]

محمد عبدالعزيز الهواري
Al7adaka@hotmail.com

بابا الفاتيكان يطالب منظمات التنصير بالبقاء في الصومال:

طالب بابا الفاتيكان منظمات التنصير التي تعمل تحت غطاء الإغاثة بالبقاء في الصومال، وتحمُّل مخاطر تنامي قوة المقاومة الإسلامية أمام الجيش الأثيوبي النصراني.

وقال في محاولة لرفع معنويات المنصرين: (نشجع مجهود أولئك الذين على الرغم من فقدانهم الأمن والصعوبات إلا أنهم بقوا في تلك البلاد لمد يد العون ولتخفيف معاناة السكان) بحسب ادِّعائه.

يُذكر أنه على الرغم من أن المسلمين يشكلون نسبة ١٠٠٪ من السكان، إلا أن وسائل الإعلام الغربية تدّعي أن نسبة المسلمين ٩٨٪؛ لإيجاد المبرر للوجود الكنسي في الصومال.

[إذاعة الفاتيكان ٢١/١١/٢٠٠٧م]

عميد مجمع تنصير الشعوب في الفاتيكان يزور موزمبيق:

أعلن عميد مجمع تنصير الشعوب الكردينال «إيفان دياس» التابع للفاتيكان أنه سيقوم بزيارة إلى موزمبيق للالتقاء بمجلس الأساقفة فيها؛ لبحث نتائج الجهود التنصيرية في البلاد.

يأتي هذا في الوقت الذي زار فيه رئيس جمهورية موزمبيق «أرماندو غويبوزا» بابا الفاتيكان في مقره في روما لبحث جوانب التعاون بين الفاتيكان وموزمبيق.

وأشار بابا الفاتيكان أثناء اللقاء إلى إسهامات الكنيسة الكاثوليكية في موزمبيق، وبخاصة في التعليم الجامعي، واعداً بدعم أكبر لموزمبيق عن طريق منظماته التنصيرية.

جدير بالذكر أن عدد سكان موزمبيق ١٩ مليون نسمة، وشمال موزمبيق تقطنه أغلبية مسلمة، غير أن النصرانية بدأت في الانتشار مع افتتاح العديد من الكنائس الجديدة والنشاط المكثف للبعثات التنصيرية، والذي يستهدف مناطق المسلمين أكثر من غيرها.

[إذاعة الفاتيكان ٨/١١/٢٠٠٧م]

إخلاء سبيل منصرَيْن من النيابة في مصر:

أخلت النيابة المصرية سبيل منصِّرَين تابعين لمنظمة (مسيحيو الشرق الأوسط) والمتهمين في تنصير المصري «محمد حجازي» الذي طالب بتغيير ديانته رسمياً إلى الديانة النصرانية.

وكان قد قبض عليهما لقيامهما بنشر مواد تسيء إلى الرسول ﷺ والدين الإسلامي على الموقع الإلكتروني لمنظمة «مسيحيو الشرق الأوسط»، منها ما يسمى بـ «قرآن رابسو» و«قرآن سافو» التي هي عبارة عن مؤلفات حاول مؤلفها محاكاة نسق القرآن الكريم. والمصطلَحان الأخيرَان يشيران إلى نوعين متداولين من المنظفات.

وقاما بتوزيع نسخ إلكترونية من كتاب يسمى «المضطهدون» على السفارات الأجنبية في القاهرة ووسائل الإعلام ومنظمات حقوق الإنسان، والذي يزعم أن النصارى يتعرضون لحملة اضطهاد في مصر.

[المصريون ٤/١١/٢٠٠٧م]

أحمد الغريب
Ahmedm2@hotmail.com

ترجمات:

● أقر الكونجرس الأمريكي مشروع قرار يسمح بشراء معدات عسكرية من تصنيع الشركات العسكرية (الإسرائيلية) بقيمة ٧٠٠ مليون دولار، وتشتمل الصفقة على أنظمة استشعار متطورة وطائرات بدون طيار وخُوَذ خاصة بطياري الطائرات المقاتلة، وسوف يستخدم الجيش الأمريكي الأسلحة (الإسرائيلية) في حربه في العراق وأفغانستان.

[يديعوت أحرنوت ٧/١١/٢٠٠٧م]

● عملت وحدة عسكرية تابعة للجيش (الإسرائيلي) في مرفق سري للتنصت يقع تحت الأرض، وأشرفت هذه الوحدة على عمليات تنصُّت لمدة ثلاثين عاماً للمكالمات الصادرة إلى خارج (إسرائيل) حتى ٢٠٠٤م، وقامت الوحدة بالتنصت على جميع المكالمات التي كان يجريها الصحفيون الأجانب العاملون مراسلين لوكالات الأنباء والإعلام الأجنبية، بحجة أن عمليات التنصت منعت مرات كثيرة المساسَ بأمن (إسرائيل).

[القناة العاشرة الإسرائيلية ١٠/١١/٢٠٠٧م]

● أظهر بحث جديد أجرته جامعة حيفا (الإسرائيلية) أن نحو ٢٠٪ من الأشخاص الذين يزورون القبور هم من اليهود الغربيين، بخلاف ما كان يُعتقد في السابق من أنهم لا يترددون أبداً عليها. وتنتشر قبور الحاخامات اليهود في أنحاء (إسرائيل) ويزورها الناس اعتقاداً منهم في جلب البركة والخير والذرية. البحث الجديد هدف إلى تقصِّي صورة حقيقية عن زائري القبور؛ حيث أظهرت النتائج أن ٥٨٪ من الزوار من الرجال، و٤٢٪ من النساء، و٣٦٪ من ذوي المؤهلات المتوسطة، ونسبة مماثلة من المؤهلات العليا، و١٩٪ من خريجي المعاهد الدينية اليهودية.

[معاريف ٨/١١/٢٠٠٧م]

تصريحات:

● إن الهدف من مؤتمر أنابوليس للسلام بين الفلسطينيين و (إسرائيل) هو تشكيل جبهة موحدة بقيادة الولايات المتحدة ضد الإسلام المتطرف، كما أن الأهداف الحقيقية للمؤتمر ليس تسوية قضية اللاجئين أو الحدود ولا حتى النزاع العربي - (الإسرائيلي)، ولكن تشكيل جبهة جديدة لمواجهة الإسلام الراديكالي الذي تقوده إيران وحلفاؤها، مثل: حزب الله وسورية.

[الدكتور عيدان ليرمان عضو في اللجنة اليهودية الأمريكية، موقع (القناة السابعة) الإسرائيلي ١١/١١/٢٠٠٧م]







من أجلها.. أكتب

نور الجندلي

ليسَ غريباً أن تذوبَ كلُّ شموعِ الدّنيا وتفنى، وتظلَّ شمعتها (هي) باقيةً مع الأيّام..
فعطرها الفوّاح يطغى مع كلِّ ثانيةِ احتراقٍ، ليترك أثراً جميلاً، أو حكمةً خالدةً، أو ذكرى طيّبة صنعتها يداها ونسجها قلبها الحنون، فكانت (هي) في حياتهم الشّمس والقمر، النجم والضّياء، الفرح والأمل.
ولولاها ما كان للبسمةِ أن تعذُب في شفاه، ولا كان للسعادة معنى، ولا للدنيا متاع.

المرأة..

كثيراً ما تكونُ مركز الأضواء، وفاكهة الحديث، واللونَ الزاهي بين الألوان.

كلٌّ يتحدّث عنها كما يهوى..

وسأحكي عنها ليسَ كما أهوى، بل كما هي حقيقة في الإسلام، وكما يجب أن تكون.

نهر حنانٍ جارٍ بسخاءٍ لا يتوقّف، لا يتردّدُ في سكبِ عذوبة في كُلِّ قلب!

المرأة هي الأمّ..

مهما مرَّ بالمرء زمانٌ وكبر مع السنين، لا شيءَ يعدلُ قلبها المحبَّ يحتوي كلَّ الهموم بلحظة، ويمسحُ عناء رحلة الأيّام بلمسة، ويرسم على الثغر بسمة.. كما تفعلُ الأم.

على دين الفطرة أقسمتْ أن تبني جيل النهضة، أرضعته القيَمَ مع كلِّ قطرة لبن، وأسبغت عليه من حنان قلبها الكثير من المشاعر الصادقة، فجعلت وليدها يتعلّم لغة الصّدق، ويتذوّق الأمور بصفاءٍ وشفافية، فيدركُ مع الأيام الطريقَ الصّحيح.

رقيقة في حين ألمها، تمسح الجرح بدمعٍ حانٍ فيبرأ، قاسية هي عند الباطل، تنتزعُ قلبها فتلقيه ولا تلتفت.. إن رأت خطيئة أمامها أو حقاً يدنَّس.

وهي الأختُ..

في كلِّ مضمارٍ ناصحة بصدق، قد أُشبِعت علماً وفهماً، فتشرّبت الخير من مَعِينه، وجرت أنهار الحكمة على شفتيها فنصحت وعلّمت.

في كلّ أزمة لها وقفة راسخة، وفي كلِّ ضيق لها يد تمتدُّ خيراً.

مهما كانت معاركُ الحياة قاسية تبقى المرأة خير ممرّضة تداوي الجراح، وتسقي عطشى القلوب والأرواح جرعة ماءٍ من طيبِ كلام فترتوي رِواءَ خيرٍ، فتنبتُ في أوصالها أشجارُ الجدّ فتنطلق عاملة مُعِينة.

وتقفُ وِقفة أبطالٍ في حروبٍ، ولا تفرُّ إن فرّ الرجال، بل تبقى لِتشدَّ أَزْراً، وترفع هِمَماً، وتعين محتاجاً.

وهي الابنة..

ذلك العودُ الريّانُ الذي تُعقَدُ عليه الآمالُ، خير سندٍ






لوالديها، وزهرةُ الأسرة الفواحة.

من دونها لا يطيبُ لهــم مقام، ولا يحلو لهم حديث إلا عنها.

فقد ســرَّت قلوبَهــم بحيائها وطيب قلبها وحُسْـــنِ توجُّهها، فرفعت أعناقهم شــامخة بها، فكانت لهم عزّاً وفخراً.

وهي الحبيبة..

الزوجة القريبة، الواعيــة الحصيفة، الأميرةُ في مملكة زوجها، القائمة على حقوقه، لا يستبدلها أبداً بنســاءِ الأرضِ وإن فُقْنَها حُسْناً وجمالاً، ولا ينظرُ إلا إليها... إلى إشراقةِ عينيها؛ فقد استأثرت بلبِّ القلب بفطنتها، تبنــي في بيتها أعشــاشَ الحبّ، فترفرف طيوره محلّقة بسعادة حولها.

وماذا بعد..؟!

وماذا بوسعي أن أكتب عنها..؟

إنهــا الطيــبُ والعطــر والحــبّ وشــطرُ الحياة، وشمعتها..

فكيف تضيءُ إن أُهملت فلم تُوقد شعلتُها بعلم؟

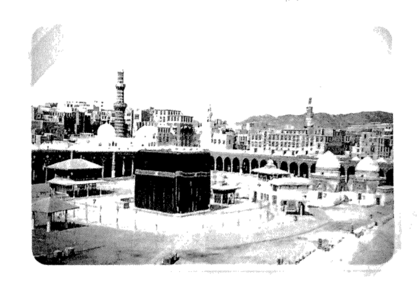
وكيف تشــرقُ إن لم تُغرَس في داخلها شمسُ الدِّينِ والفضيلة والعفّة والحياء؟

وكيف تكونُ نوراً للأمّة إن أُهملت شجرةُ الحبّ هذه لتتساقط أوراقها في مهبّ الحياة؟

فليوقِدْ كلٌّ منا شمعة الدِّين في قلبها، وليَرسِمْ خُطى النبيّ في مســيرها، تكن لها ألــفُ حياةٍ في قلبها، وفي قلوب من تحبّ ويحبّها.

نص شعري

من وَحي مكة المكرمة



أسامه كامل الحزيبي

أيامُ (مَكَّةَ) هَزَّ القلبَ ذكراها ... وأرضُ (مكة) يسبي العينَ مرآها

مُذْ مَسَّ جبريلُ باسم الله جانبَها ... أفاضَ منها على الدنيا فأغْناها

وخصَّها اللهُ بالتنزيلِ فأْتَلَقَتْ ... بها الروابي.. رسولُ الله يغشاها

خَطَا الحبيبُ على حَصْبائها فَمضَتْ ... بالشُّكْرِ تلهجُ إذ مَسَّتْ خُطَى (طه)

حتى تلألأ من أنوارِه قمرٌ ... ما زال يُشرِقُ في الدنيا ويرعاها

نورٌ تفجَّر من عينيه دَاعبَها ... وآخرُ مَسَّ من كَفَّيْهِ مغناها

فعانَقَتْه شُجيراتٌ وأروقةٌ ... وظَلَّلَتْهُ سحاباتٌ.. فماشاها

نورٌ على النورِ يخطو: النورُ مَنطقُهُ، ... والنورُ مظهرُهُ، والنورَ آتاها

والعِطْرُ مخبرُهُ، والمِسْكُ جوهرُهُ، ... والطِّيبُ يصحبُه أنَّى تَغَشَّاها

سبحانَ رَبٌّ أفاضَ النورَ في بَلَدٍ ... واختارَهُ آيةً للخَلْقِ سَوّاها

ربٌّ تفيض عطاياهُ فتغمرُنا ... وكان منه بناءُ البيتِ أزكاها

هنا (الخليل) و (إسماعيلُ) قَدْ وقفا ... حَتّى أتَمّا بناءً كان أعلاها

فكانت القِبْلةُ العُظْمَى لأُمَّتِنا ... ويا (محمدُ) أنّى جئتَ.. ترعاها

وأذَّنَّا في فضاءِ الكونِ فانتفضتْ
مِنّا القلوبُ: أجَلْ! يا ربِّ نهواها

سِرٌّ عجيبٌ يسوقُ القلبَ مُندفِعاً
ما كاد يسمعُهُ.. إلاّ وَلَبَّاها:

لَبَّيْكَ.. لبيّكَ يا رَبّاهُ تُعْلِنُها
مِنّا الحناجرُ.. والأرواحُ نجواها

بيتٌ حرامٌ إذا ما مُسَّ طائرُهُ
أوْ غِيلَ زائرُهُ، فاللهَ.. اللهَ!

الأمْنُ سائدُهُ.. والطُّهْرُ رائدُهُ،
والسِّلْمُ يَغْمُرُ مَنْ يَحْظَى بمرآها

لا جِنْسَ.. لا لَوْنَ.. لا نُطقٌ يُفَرِّقُنا
فالكُلُّ ذابَ مع التّهليلِ أوْ تاها

اللهُ عَظَّمَها.. واللهُ حَرَّمَها..
واللهُ نَوَّرها.. والقلبُ يهواها

يا أرضَ مكة، تيهي في الدُّنا شَرَفاً
فأنتِ أَطْهَرُ أرضِ اللهِ أمواها

أهيمُ فيها.. كأنّ القلبَ يسكنُها
والجسمُ يَسْرَحُ في الدنيا ويغشاها

عِشْنَا بها لَحظاتٍ طابَ مسكنُها
مهما تناءتْ دياري لستُ أنساها

أكادُ أغفو على حُلْمٍ بعُمْرتِها
وأستفيقُ على طَيْفٍ لمرآها

حتى كأنيَ أخطو في شوارعِها
وأَطْرُقُ الحيَّ تِلْوَ الحيِّ تيّاها

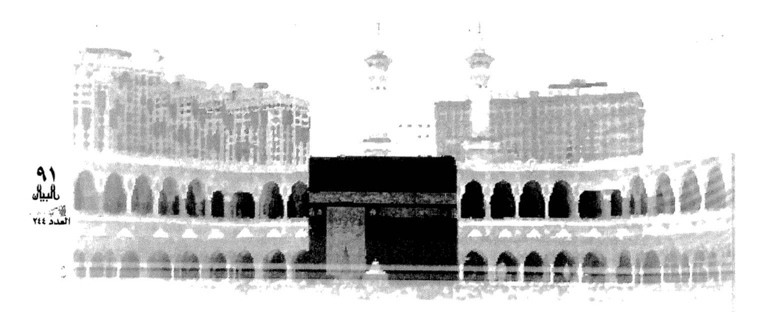
ما بين (أجيادَ) حتى حَيِّ (مَسْفَلَةٍ)
إلى (الشُّبَيْكةِ) أياماً قضيناها

* * *

يا زائرَ الكعبةِ الغراءِ أمنيتي
بدعوةٍ عندَ بيتِ اللهِ ترعاها

ودمعةٍ في خشوعٍ عندَ (مُلْتَزَم)
وقد تَعَلَّقْتَ بالأستارِ أوّاها

بأنْ أعودَ لحجِّ البيتِ ثانيةً
وأغْسِلَ النَّفْسَ مِنْ أدرانِ بلواها





المسلم واختلاف العلماء

علي بن فهد أبا بطين(*)

مما لا ريب فيه أن الشريعة الإسلامية نصوص وأدلة تُبنى عليها الأحكام والمسائل الشرعية، لا مجال فيها لآراء الرجال واستحسان العقول ووجهات النظر والنظريات المختلفة، وهذه النصوص هي حجة الله على عباده، يجب تقديمها والتعويل عليها وترجيح الراجح بها، فلا يحل لمسلم العدول عنها لقول أحد من الناس كائناً من كان.

والكثير من هذه النصوص والأدلة ظنِّيٌّ في دلالته، فينشأ بذلك الخلاف بين العلماء لتفاوت مداركهم وقدراتهم في استظهار الحق واستنباط الأحكام وفهم وجوه الكلام، ومن نعمة الله على هذه الأمة عدم وقوع الخلاف في أصول دينها، وإنما كان في مسائل وأحكام فرعية لا تؤثر على وحدتها وتماسكها، وهذا الخلاف بين العلماء لم يكن القصد منه مخالفة نصوص الشرع، وإنما هو اختلاف بينهم في الوصول إلى الحق وتحقيق مقاصد الشريعة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (ولْيُعلَمْ أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة - قبولاً عاماً - يتعمَّد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته؛ دقيق ولا جليل، فهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتِّباع الرسول ﷺ)(1).

فالخلاف بين العلماء ظاهرة طبيعية في حياة الأمة اقتضتها دلالة النصوص، ولكن الشأن كل الشأن في موقف المسلم أمام هذا الخلاف الذي حادَ عن الجادَّة وجانبَ الصواب فيه طوائفُ من الناس.

فظنَّت طائفة أن وجود الخلاف بين العلماء يعني: حرية الإنسان في اختيار ما يوافق هواه من أقوالهم في المسألة المختلَف فيها؛ فتجد الواحد منهم يتتبَّع رخص العلماء ويأخذ ما يتوافق مع رغبته ويهواه هواه، دون النظر إلى كونه راجحاً أو مرجوحاً.

وطائفة أخرى استغلَّت وجود الخلاف بين العلماء؛ لنشر وترويج الأقوال المرجوحة والشاذة؛ لهدم الإسلام ونقض عُرَاه، تحت شعار احترام الرأي الآخر وعدم إقصائه وتهميشه، ونحو ذلك من المصطلحات والعبارات التي يُروَّج لها عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ لينخدع بها عوام الناس وجهلتهم.

وطائفة ثالثة هي في الواقع من المنتسبين إلى العلم اشتغلوا في البحث عمَّا فيه تيسير للناس بين أقوال وآراء واجتهادات الأئمة في المسائل المختلَف فيها، متغافلين عن تتبُّع نصوص الكتاب والسنَّة في هذه المسائل التي هي في الواقع الحجَّةُ والبرهان وفيها التيسير الحقيقي للأمة، فزلَّت أقدام كثير منهم، ولا شك أن هذا منزلَق خطير يُنَحِّي الأمة عن مصادرها الأصلية: الكتاب والسّنة، إلى آراء وأقوال بشرية يعتريها الخطأ والنسيان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعدما ذكر أسباب الخلاف بين العلماء: (لكن نحن، وإن جوَّزنا هذا، فلا يجوز لنا أن نَعْدِل عن قول ظهرت حجته في حديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم

(*) عضو هيئة التدريس في الكلية التقنية في بريدة.

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج (20).

إلـــى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه ما يدفع به هذه الحجّـــة وإن كان أعلم، إذ تطرُّقُ الخطـــأ إلى آراء العلماء أكثـــر من تطرُّقه إلى الأدلة الشرعية؛ فإن الأدلة الشرعية حجّة الله على جميع عبـــاده بخلاف رأي العالم، والدليل الشـــرعي يمتنع أن يكون خطأً إذا لم يعارضه دليـــل آخر، ورأي العالم ليس كذلك...) إلى أن قـال: (وليس لأحد أن يعارض الحديث عن الرسول ﷺ بقول أحد من الناس)(١).

ومما ســـبق يتضح جلياً غفلة طوائف من النـــاس وبُعْدهم عن المسلك الشـــرعي الذي أوضحه الله لعبـــاده وأبانه لهم، بل ألزمهم به، وجعل الاهتداء إليه من مقتضيات الإيمان، وهو ردُّ النزاع إلى الكتاب والسّنة؛ فقال ـ سبحانه ـ: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النســاء: ٥٩]، قال ابـــن كثير: (وهذا أمر من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بأنَّ كل شـــيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يُردَّ التنازع في ذلك إلى الكتاب والسُّـــنَّة)(٢)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشـورى: ١٠]، قال ابـــن كثير: (أي: مهما اختلفتم فيه من الأمور ـ وهذا عامٌّ في جميع الأشـــياء ـ فحكمه إلى الله، أي: هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه ﷺ)(٣).

فهذه هي طريقة الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ وهذا هو نهجهم ونهج من ســـار على طريقهم واقتفى أثرهم من الأئمـــة المتبوعين والعلماء الناصحين؛ فكانوا إذا تنازعوا في شـــيء ردّوا ما تنـازعوا فيه إلى الله والرســـول ﷺ، وإن كان بعضهـم أعلم في مواضـع أُخَر، ولهـذا تـرك الصحـابة ـ رضـــي الله عنهـم ـ قول عـمر وابن مســـعود ـ رضي الله عنهما ـ في مســـألة (تيمُّم الجنب)، وأخـــذوا بقول من هو دونهما كأبي موســـى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ وغيره لـمَّا احتج بالكتاب والسّنة.

وتركوا قـــول عمر ـ رضي الله عنه ـ في (دية الأصابع)، وأخذوا بقول معاوية ـ رضي الله عنه ـ لـمَا معه من الســـنّة. وكان بعـــض الناس يناظر عبد الله بـــن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في (متعة الحجّ)، فقال له: قال أبو بكر وعمر، فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال الرسول ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!

وكذلـــك عثمان ـ رضي الله عنه ـ لم يكن عنده علم بأنَّ المتوفَّى عنها زوجها تعتدّ في بيت الموت حتى حدَّثته الفريعة ابنة مالك بقول النبي ﷺ لها حين توفِّي زوجها: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» فأخذ به عثمان(٤).

وكان الإمـــام أبو حنيفة النعمان بـــن ثابت ـ رحمه الله ـ يقول: (قولنا هذا رأي، وهو أحســـن مـــا قدرنا عليه؛ فمن جاء بأحســـن من قولنا فهو أَوْلى بالصـــواب منا)(٥)، وكان الإمـــام مالك ـ رحمه اللـــه ـ يقول: (إنما أنا بشـــر أصيب وأخطئ؛ فاعرضوا قولي على الكتاب والسنّة!)، وقال الإمام الشـافعـي ـ رحمه الله ـ: (إذا صح الحديث فاضربوا بقولي بالحائط)(٦)، وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: (مِن قلَّة فقه الرجل أن يقلِّد دينه الرجال)(٧).

فهؤلاء هم الصحابة وأعلام الأمة، رأوا الحق فيما ظهر لهـــم ولم يجعلوه حجّة يعوّل عليها، بل عدّوا الحجّة في اتِّباع الدليل الصحيح؛ فقد زهـــدوا في أقوالهم وانصاعوا للحق، واتســـعت صدورهم لقبوله، ورغبوا في خلاص أنفسهم من آثار الفتوى.

فردُّ النزاع إلى الكتاب والسُّـــنَّة هو مقتضى الشريعة في حق العالم الذي رزقـــه الله علماً وفهماً، وعنده من مقومات الردِّ إلى الكتاب والسُّنَّة ما يؤهله لذلك؛ فواجب عليه النظر في النصوص والاجتهاد في المسألة والإفتاء بما يترجح عنده من الأدلة.

وأما المســـلم العامي الذي لا يحســـن النظر في الدليل؛ فالمتعيّن في حقه سؤال أهل العلم؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ [النحل: ٤٣ ـ ٤٤]، ولا يعرِّض دينه للهوى والشـــهوة بتتبُّع رخص العلماء. وأمَّا المسلم الذي هو في درجة من العلم والفهم فوق العامي ودون العالم المجتهد؛ فهذا لا يجوز له الأخذ بقول أحد دون معرفة دليله، وعليه بذل ما يستطيع من النظر في الاختلاف حتى يترجح لديه شيء، فإن لم يمكنه الترجيح نزّل نفسه في هذه المسألة منزلة العامي.

نســـأل الله ـ ســـبحانه ـ أن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا الاســـتقامة على دينه والثبات عليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وســـلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج (١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج (٤).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج (٢٠).

(٥) تاريخ بغداد، ج (١٣).

(٦) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية.

(٧) إعلام الموقعين، لابن القيم، ج (٢).



ما لكم لا ترجون لله وقاراً؟!



د. عبد العزيز بن محمد آل عبداللطيف[*]
www.alabdlltif.net

دعا نوح ـ عليه السلام ـ أولُ رسول إلى أهل الأرض إلى تعظيم الله ـ عز وجل ـ فقال لقومه: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته؟! كما دعا خاتم النبيين والمرسلين نبينا محمد ﷺ إلى تعظيم الله ـ تعالى ـ وتقديره حق قدره، كما في حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية يوماً على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها، يُقْبِل بها ويُدْبِر «يمجِّد الربُّ نفسه: أنا الجبّار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم» فرجف برسول الله ﷺ المنبر، حتى قلنا: ليَخِرَّنَّ به[1].

وإذا كان تعظيم الله ـ عز وجل ـ هو سبيل المرسلين فقد ظهر في الآونة الأخيرة ما ينقض ذلك؛ إذ استفحل التطاول على ربنا ـ عز وجل ـ والانتقاص من جناب مقام نبينا الأكرم ﷺ، والاستخفاف بالدين وشعائره وحرماته، وصارت هذه «الردة المغلَّظة» في مؤلفات وروايات ومجلات، وعبر قنوات ومواقع شبكات المعلومات. وتولّى كبر ذلك فئام من كفرة الغرب ومنافقي هذه الأمة وزنادقتها، كما نفر طائفة من المحتسبين من أجل مدافعة هذا الفساد العريض والكفر الصريح.

وفي غمرة الانفتاح وانكباب المعلومات بعُجَرها وبُجَرها، ووفرة وسائل الاتصال وكثرتها؛ فإن بعض الـمُتديِّنة والمتسنّنة ـ فضلاً عمن دونهم ـ قد تساهلوا في اقتناء مؤلفات الزندقة والضلال، والاطلاع على روايات الكفر البواح، واعتادوا الدخول إلى مواقع إلكترونية تدعو إلى الردّة والانسلاخ من الإسلام والسنة، فأفضى بهم ذلك إلى استمراء سماع ومشاهدة الكفر الشرك والضلال، وهان عليهم التفوّه به ونشره، وتوسعوا في ذلك بدعوى الرصد والمتابعة لسبيل المجرمين.

فربما حذّر بعضهم من السحر، وضمّن هذ التحذير مشاهد مصورة للكفر المغلّظ الواقع من السحرة الأفاكين وأذنابهم، مثل: كتابة المصحف بدم الحيض، وتعليق هذه الصور الشنيعة في بيوت الله تعالى!

وقد يعمد البعض إلى بيان ضلال الرافضة وزندقتهم، فينقل طعنهم في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ صوتاً وصورة، ومن ذلك: قذفهم أم المؤمنين عائشة الصدّيقة بنت الصدّيق ـ رضي الله عنهما ـ بما برّأها الله منه. مع أن التحذير متحقق دون الولوج في هذا المضيق، بل إن معاينة وسماع هذه المشاهد «الكفرية» في هذا السياق لا ينفك عن مفاسد متعددة؛ إذ إن الإفراط والإدمان في سماع ومشاهدة الردة المغلّظة ـ كالاستهزاء بالله ـ تعالى ـ وسبّ رسول الله ﷺ،

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض.

(١) أخرجه أحمد: ٢/٧٢، وابن خزيمة في كتاب التوحيد، ح (٩٥).

وتضليل الصحابة رضي الله عنهم، والتهكم والانتقاص من شعائر وحرمات الشرع المطهّر - قد يؤول بأقوامٍ إلى ضعف الغيرة الإيمانية، ورقّة الدين، وتهوين شأن هذه النواقض، فلا يتمعّر وجهه غضباً لله - عز وجل - كما يجب، بل ربما علق القلب بشيء من ذلك الضلال، فالشُّبَهُ خطّافة، والقلوب ضعيفة؛ فواغوثاه بالله!

إن الإيمان بالله مبني على تعظيم الله وإجلاله، قال - سبحانه -: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾. [مريم: ٨٨ - ٩٣]

قال الضحاك بن مزاحم في تفسير قوله - تعالى -: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾: «يتشققن من عظمة الله عز وجل»[١].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآيات: «اقشعرت الجبال وما فيها من الأشجار، والبحار وما فيها من الحيتان، وفزعت السماوات والأرض، وجميع المخلوقات إلا الثقلين، وكادت أن تزول، وغضبت الملائكة، فاستعرت جهنم، واكفهرت الأرض حين قالوا: اتخذ الله ولداً»[٢].

وقد سار سلف الأمة على سبيل الإجلال والتعظيم لله - عز وجل - وآياته وشعائره، فقال الإمام سفيان بن عيينة: «سمعت من جابر الجعفي (رافضي هلك سنة ١٢٧هـ) كلاماً خشيت أن يقع عليّ وعليه البيت»[٣].

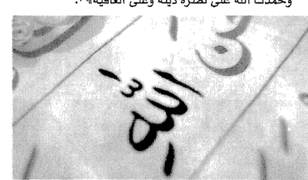
ولما ناظر الإمام الشافعيُّ حفصاً الفردَ (أحد المتكلمين) قال الشافعي: «لقد سمعت من حفص كلاماً لا أقدر أن أحكيه»[٤].

وناظر الإمام أحمد القائلين بخَلْق القرآن، فكان مما قاله - رحمه الله -: «ما رأيت أحداً طلب الكلام واشتهاه إلا أخرجه إلى أمر عظيم، لقد تكلموا بكلام واحتجوا بشيءٍ مَا يقوى قلبي ولا ينطق لساني أن أحكيه..»[٥].

هكذا كان سلف الأمة يتورعون عن حكاية ضلالات المتكلمين، مع أن زندقة المعاصرين أشنع وأشنع من زندقة المتكلمين بمراحل، فإن بين هاتين الزندقتين مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي، فكيف يحلو للبعض أن يقتني كتب الردة وروايات الزندقة دون موجب شرعي؟! لقد قرر ابن القيم أن الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها، فلا ضمان في تحريق الكتب المضلة ومحقها[٦].

فماذا يقال عن كتب الكفر والردة؟!

ومن طريف ما يُحكى في هذا المقام أن الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) أصابه داء أعيا الأطباء، فجيء له بكتاب «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيلي، وكتاب «المضنون به على غير أهله» لأبي حامد الغزالي[٧]. قال الصنعاني: «فطالعت الكتابين، ورأيت فيهما ما هو والله كفر لا يتردد فيه إيمان، فحرّقتهما، ثم جعلت أوراقهما في التنور وخُبِزَ لي على نارهما خبزٌ نضيج، وأكلته بنيّة الشفاء من ذلك الداء، فذهب - بحمد الله - ذلك الألم، ونمت الليل أو أكثره، وحمدت الله على نصرة دينه وعلى العافية»[٨].



ومع القناعة بأهمية معرفة سبيل المجرمين على سبيل التفصيل، واليقين بأن معرفة ذلك مما يزيد العبد إيماناً ورسوخاً، إلا أن المقصود هو مجانبة الإفراط والتوسع في ذلك، فلا يشتغل كل من هبَّ ودبَّ بحيازة علوم (الزندقة) وموادها، بل إنما يتولى ذلك عالم راسخ أو باحث ثقة ونحوهما، وبالقدر الذي تتحقق به معرفة الباطل، ومن أجل نقضه وهتكه، كما أن مخاطبة العامة وتحذيرهم من زندقةِ وردّةِ كُتّابٍ وحَمَلة أقلام ينبغي أن يكون بحذر وقدر، فالاسترسال بعرض باطلهم وزخرف قولهم وتزويق كلامهم قد يفضي بالعامة وأشباههم إلى انخداع وشكوك، ويوقع في جرأة ورعونة في التفوّه بهذه الضلالات.

نسأل الله الثبات. ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة: ١/٣٤١.
(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١١/١٥٨، وتفسير ابن كثير: ٣/١٣٦.
(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم: ٢/١١٦.
(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم: ٢/١١٦.
(٥) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة، (ت: الوابل)، ٢/٥٥.
(٦) انظر: الطرق الحكمية، ص ٢٥٤.
(٧) هذان الكتابان حافلان بالضلال المبين والزندقة والشطح.
(٨) مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الصنعاني، لعبد الرحمن بعكر، ص ١٢٩.